التفسيرات الأولية لدوافع السلوك الإجرامي في العصور القديمة

دراسة

تاريخية وفلسفية عن الجذور الأصولية لمبادئ علم الإجرام التي تأسست ونمت بفكر علماء وفلاسفة المجتمعات التي تألقت حضاريًا في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى الأخص حضارة مصر الفرعونية

دكتور

سمير عبد المنعم أبو العينين

أستاذ تاريخ وفلسفة القانون

بكلية الشريعة والقانون ـ جامعة الازهر ـ بطنطا

والمحامي بالنقض والادارية العليا

رقم الإيداع القانوني
بدار الكتب والوثائق القومية
٢٠٠٠/١٩٥٠٢

الناشر
دار النهضة المصرية - ٩ ش عدلي بالقاهرة

المقدمـــــة

إن العلوم الإنسانية التي تكونت معطياتها بفكر العقول الناضجة لابد أن تكون لها جذور عميقة أسست جوهرها وأصولها الثابتة في الماضي البعيد، لأن تيار الفكر الإنساني لم يكن وليد الحاضر وإنما تدفق منذ بداية ظهور الجماعات البشرية وانساب بدون توقف عبر الأجيال حتى عالم اليوم، وحيث أن علم الإجرام يدخل في دائرة العلوم الإنسانية ومن نتاج الفكر الإنساني فإن أصوله الحديثة ليست سوى امتداد لجذور قديمة لبست بحكم الاستجابة لضروريات حركة الحياة عبر العصور المختلفة ثوباً جديداً من التطور في الوقت الحاضر.

ولذلك فإن كان علم الإجرام يعتبر الآن من العلوم الإنسانية الهامة لقيامه ببحث ودراسة العوامل أو الدوافع التي تؤثر على السلوك الإجرامي، وأن معظم الفقهاء والعلماء والباحثين المهتمين بالدراسات الإجرامية قد أشاروا في أبحاثهم ومؤلفاتهم بأن هذا العلم من العلوم الحديثة، ولم يظهر إلى الوجود إلا منذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر وعلى الأخص بعد الأبحاث والدراسات والنتائج التي حققتها المدرسة الوضعية الإيطالية التي قامت على أكتاف سيزار لمبروزو [Cesar Lambroso] [١٨٣٥ - ١٩٠٩م] وانريكو فري [Enrico Ferri] [١٨٥٦ - ١٩٢٩م] ورافائيلي جارو فالوا [Raffaele Garofalo] [١٨٥١ - ١٩٣٤م] والتي استندت في تفسيراتها على الفلسفة التجريبية التي انتهجها العالم الرياضي أوجست كونت [Aoguste Conte] [١٧٩٨ - ١٨٥٧م] التي تقرر بأن التوصل إلى حقائق الأمور والكشف عن جوهرها لا يكون إلا عن طريق التجربة وما تسفر عنه المشاهدة من

نتائج[١] - إلا أن الحقائق الثابتة في الفكر الإنساني القديم تشير إلى غير ذلك وتثبت بأن هذا العلم له جذور وتفسيرات نبتت في العصور القديمة، وأن هذه الجذور والتفسيرات لم تكن كما يقول فقهاء الغرب مجرد آراء مبعثرة أو اجتهادات فردية أو بحوث عشوائية بعيدة عن المنهج العلمي السليم وإنما هي جذور أصولية وتفسيرات علمية لنظريات عميقة عن العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي - وتوجد اعتبارات عديدة تشير إلى ذلك أهمها يتلخص في الآتي :

١ - أن علم الإجرام يستند أساساً في البحث والتحليل والدراسة على تفسير السلوك الإنساني للوصول إلى الدوافع التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم - ومجال السلوك الإنساني هو من أقدم المجالات العلمية التي شغلت عقول العلماء والفلاسفة على مر العصور المختلفة لتحديد الجوانب العملية لمظاهر الصراع بين الخير والشر - ولذا فإنه لابد أن تكون أساسيات علم الإجرام قد تكونت ونمت جذورها منذ بداية الحياة الإنسانية ولعل قتل هابيل لأخاه قابيل تصديقاً لقوله تعالى { واتل عليهم نبأ بني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين. لئين بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين } [٢] خير دليل على ذلك .

---

١ - د. رؤوف عبيد. مبادئ علم الإجرام - الطبعة الثانية ١٩٧٢ - دار الفكر العربي - ص ٤٨ وما بعدها -
د. خالق سند - علم الإجرام - الطبعة الثالثة ١٩٨٩-١٩٩٠ - كلية الحقوق - جامعة الزقازيق - ص١٣ وما بعدها.

٢ - سورة المائدة - الآية ٢٦ ، ٢٧.

٢- مفهوم الجريمة عرف منذ بداية ظهور الجماعات البشرية - وهـــذا المفهوم يتضمن معنيين - الأول قانوني ، والثاني واقعي حقيقي.والمعنى القانوني يمثله قانون العقوبات أو قواعد التجريم، والمعنى الواقعي يمثلـه السلوك الإجرامي الذي يرتكب ويشكل خطراً على النظـام الاجتمـاعي الذي ارتضاه أفراد المجتمع وهذا من المبادئ الأساسية لعلم الإجرام.

وحيث أن مفهوم الجريمة متطور من زمن لآخر، وأن هذا التطور لابـد أن يحدث في المعنيين وليس في المعنى الأول فقط دون المعنى الثاني[1] - فإنه في ضوء هذا الواقع لابد أن تكون مبادئ علم الإجرام قد عرفـت في المجمعات القديمة وتطورت مع المعنى القـانوني عـبر العصـور المختلفة حتى عالم اليوم.

٣- إن كان علم الإجرام لا يهتم كثيراً بالجريمة من الناحية القانونيـة أو الشكلية باعتبارها خروجاً على نصوص قانون العقوبات ممـا يقتضـي توقيع عقوبة على الجاني - ويهتم بالجريمة كواقعة اجتماعية أو كظاهرة سلوكية تتضمن خروجاً شاذاً على النظام الاجتماعي إلا أن الحقيقة التـي لا يمكن تجاهلها هي وجود ارتباط تاريخي وثيق الصلة بين الجريمة من الناحية القانونية أو الشكلية وهو ما يمثل على وجه التحديـد القـانوني الجنائي [الذي يشمل موضوع الجريمة والمجرم ورد الفعل الجنائي مـن جانب المجتمع وتصاغ أحكامه في نصوص مكتوبة، وقانون الإجـراءات الجنائية [الذي ينظم خطوات سير الدعوى الجنائية بداية مـن ارتكـاب الفعل الإجرامي حتى صدور الحكم القضائي بالعقوبة المقررة على هـذا

١- د. نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٤٣ وما بعدها.

- Gaston Stefani et Georage Levasseur - Droit penal - General et procpen - Dalloz - 1971 - pp - 9 - 17.

الفعل] – وبين الجريمة كواقعة اجتماعية أو كظاهرة سلوكية وهو ما يمثل موضوع علم الإجرام – وذلك لأن البحوث والدراسات الخاصة بعلم الإجرام في مجال تحديد دوافع السلوك الإجرامي ومراحل تكوين الجريمة وتطورها تؤثر بشكل واضح ومباشر على القانون الجنائي عند صياغة نصوصه، وعلى القاضي الجنائي عندما يطلع على النتائج والمسلمات التي أسفرت عنها هذه البحوث والدراسات الإجرامية قبل أن يصدر أحكامه – وأيضاً يؤثر القانون الجنائي على علم الإجرام حيث يمده بمضمون الجريمة ونماذجها باعتبار أنها تمثل أساس الدراسات والبحوث الإجرامية. كما يمده بالأشخاص محل هذه الدراسات والبحوث لأن علماء الإجرام يلجئون دائماً إلى القواعد الجنائية للتعرف على الشخصية السوية والغير سوية في المجتمع(١).

وحيث أن القانون الجنائي قد تأصلت مبادئه في الماضي البعيد وصيغت أحكامه في مدونات قانونية عديدة ظهرت في كل مجتمعات العالم القديم – فإنه في ضوء هذا الارتباط التاريخي لابد أن يكون لعلم الإجرام جذور أصولية نبتت في العصور القديمة وتطورت بعد ذلك في مسارات متوازية مع القواعد الجنائية على مر العصور المختلفة.

٤ – حيث أن الجرائم تتطور من زمن لزمن ومن مجتمع لآخر باتفاق جميع الفقهاء والعلماء – وأن علم الإجرام يبحث في تفسير دوافع

١– د. علي راشد – فلسفة وتاريخ القانون الجنائي – طبعة ١٩٧٤ – القاهرة – كلية حقوق جامعة عين شمس – ص ٢١١.

– د. عبدالفتاح الصيفي – علم الإجرام – طبعة ١٩٧٣ – كلية حقوق جامعة الإسكندرية – ص ٩٧.

- G .. Stefani et G. Levasseur. Droit penal general et proc pen - op. Cit - pp 50 - 52.

السلوك الإجرامي وفي مقاومته لإرجاعه إلى الخير والاستقامة - فإن تطور الجرائم لابد أن يصاحبه تطور مماثل في البحوث والدراسات الخاصة بعلم الإجرام منذ أقدم العصور - وذلك من أجل حماية المجتمع بصفة دائمة ومستمرة من الأخطار التي يمكن أن تهدد كيانه من أثر التطور الذي يحدث في الجرائم وفي أساليب ارتكابها.

٥- معظم التشريعات الجنائية المدونة التي ظهرت في بعض المجتمعات الحضارية القديمة قد تم إعدادها وصياغة نصوصها بناء على دراسات وبحوث فلسفية خاصة بدوافع السلوك الإجرامي التي تمثل موضوع علم الإجرام - ونلمس ذلك مثل التشريعات التي أصدرها الإمبراطور (تشن شي هوانج دي) [٢٥٩ق.م - ٢١٠ق.م] الذي أسس إمبراطورية تشين التي وحدت المجتمع الصيني في عام ٢٢١ ق.م، وكانت معظم نصوصها تستند على الدراسات الفلسفية التي قامت بها [المدرسة الشرائعية] عن دوافع السلوك الإجرامي(١) - والتشريعات التي أصدرها ملوك الفرس في عهد الأسرة الساسانية وتأثرت نصوصها بفلسفة زرادشت عن مفهوم الفطرة الإنسانية الخيرة وأثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي(٢) - والتشريعات التي أصدرها معظم ملوك الدولة الحثية وكانت أحكامها تستند على الدراسات والبحوث الخاصة بالدوافع المؤثرة على السلوك الإجرامي التي كان يقوم بها بعض الفلاسفة وكبار رجال الفكر والقضاء الذين كانوا من ضمن

١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - الصين - ترجمة - د. محمد بدران - احتارته واتفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية - غير محدد سنة الطبع - ص ٩٧ وما بعدها.

2- A.T. Olmstead - History of persian empire achaemenid period. Chicogo 1972 - the university of chicago press. Pp 70 - 78.

أعضاء [المجلس الأعلى] الـــذي كــان يضــم كبــار رجــال الدولــة الأرستقراطيين أصحاب السلطة العليا في الدولة[١] - وأيضــاً صـــدرت تشريعات جنائية عديدة بهذا النظام في المجتمعات الأخرى التي ظــهرت في شرق وغرب العالم القديم وسنشير إليها فيما بعد خلال عرض هــذه الدراسة.

وإذا كان علم الإجرام يعتمد حالياً في تفسير الظاهرة الإجراميــة على الدراسات والبحوث الخاصة بعلم النفــس [الســيكولوجيا] ، وعلــم الإنسان [الأنثروبولوجيا]، وعلم الحياة [البيولوجيـــا]، وعلــم وظــائف الأعضاء [الفسيولوجيا] [٢] - فإنه كان في العصور القديمة يعتمد علـــى الدراسات الفلسفية الخاصة بمفهوم الفطرة الإنسانية وذلك نتيجة ظــهور فكر فلسفي عميق عن طبيعة الإنسان في جميع المجتمعات القديمة وهــذا الفكر قد أدى إلى تأسيس ثلاث مذاهب للفطرة الإنسانية، كـــل مذهــب اختلف مع المذهبين الآخرين في تحديد أصل الفطــرة الإنســانية وفـــي تفسير العوامل المؤثرة على السلوك الإجرامي وذلك كالآتي :

<u>المذهب الأول :</u> هو مذهب الفطرة الشريرة - ويقــول أصحابــه بــأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الشر منذ مولدهــم، وأن الخــير خارج عن أصل الفطرة ويكتســـب فقــط مــن البيئــة الطبيعيــة والاجتماعية الصالحة، وعلى هذا الأساس قد اعتقدوا عندما قـــاموا بتفسير الظاهرة الإجرامية، بإن العوامل والدوافع التي تحرك سـلوك

1- L. Deloporte. Les Hittite - paris - 1936 - pp. 37 ets.

٢- د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - المقدمة.

الإنسان نحو ارتكاب الجرائم جميعها داخلية وموجودة في أصل طبيعة الإنسان.

المذهب الثاني: هو مذهب الفطرة الخيرة - ويقول أصحابه بأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الخير منذ مولدهم، وأن الشر طارئ وخارجي عن أصل الفطرة، وعلى هذا الأساس قد اعتقدوا بأن العوامل أو الدوافع التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم جميعها خارجية ووليدة البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة.

المذهب الثالث: مذهب الفطرة المختلطة - ويقول أصحابه بأن البشر ليست طبيعتهم واحدة وإنما منقسمون إلى ثلاث طوائف الأولى تضم الذين طبعت فطرتهم على الخير ولا يمكن أن يتحولوا إلى أشرار أو مجرمين والثانية تضم الذين طبعت فطرتهم على الشر ولا يمكن إصلاحهم وتحويلهم إلى أخيار أسوياء والثالثة تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم يمكن تحويلهم بأثر العوامل المركبة إلى أخيار صالحين أو إلى مجرمين أشرار[1].

وعلى هذا الأساس - فلكي نثبت بأن علم الإجرام ليس علم حديث، ووليد الفكر الغربي في القرن التاسع عشر، وإنما علم قديم تأسيس في الماضي البعيد وله نظريات تفسيرية عميقة عن العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي وأن هذه النظريات قد تكونت وانتشرت في معظم المجتمعات

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع - الطبعة الثانية ١٩٧٢ - مكتبة الأنجلو المصرية - بالقاهرة - ص٢٠٠ وما بعدها.

- ور صن - وحدة الإنسان في فلسفة العين القديمة - طبعة ١٩٨٩ - ترجمة محمد حلال - عباس - كلية آداب جامعة القاهرة - ص٣.

الحضارية التي ظهرت في العصور القديمة سنعرض دراستنا في ثلاث أبواب على النحو التالي :

الباب الأول : سنعرض فيه مفهوم مذهب الفطرة الشريرة وتفسيره لأثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين وضعوا أسس هذا المذهب ومنهج تفسيره لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الباب الثاني : سنعرض فيه مفهوم مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لأثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين قاموا بوضع أسس هذا المذهب ومنهج تفسيره لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الباب الثالث: سنوضح فيه مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفسيراته للعوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي وعلى الأخص العوامل المركبة بالنسبة لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر إلى جانب عرض موجز عن أهم الفلاسفة الذين أسسوا هذا المذهب وأطر تفسيراته لظاهرة الإجرام خلال العصور القديمة.

الخاتمة: سنشير فيها إلى أهم النتائج التي تحققت من خلال هذه الدراسة والتي تؤكد بأن علم الإجرام له جذور عميقة تأصلت ونمت في العصور القديمة من خلال فكر وآراء أشهر فلاسفة العالم القديم.

الباب الأول

مفهوم مذهب الفطرة الشريرة

وتفسيره لظاهرة الإجـــــرام

[أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي]

١٨

تقديـــــــم :

ظهرت نظريات عديدة في معظم المجتمعات الحضارية القديمـــة تفســر ظاهرة السلوك الإجرامي بأنه يرجع فقط إلى دوافع أو مؤثرات مصدرها الأساسي نابع من عوامل داخلية بحتة في الإنسان – وأن هذه العوامـــل متعددة وذات طبيعة ذاتية، وتكمن جميعها أو بعضها في كيانه وفي حالة عدم السيطرة عليها تتفاعل وتحدث موجات مؤثرة تحرك سلوكه نحـــو ارتكاب الجرائم أو الشر عموماً – وعلى أساس هـــذه النظريـات قـد انتشرت بين الشعوب القديمة آراء ومفاهيم تفيد في مجملـــها بـــأن كـل إنسان يحمل عند مولده مرض الإجرام، وهذا المرض يوجد في تكوينـــه الذاتي ويلازمه طوال حياته، ولا ينتهي أثره من داخله ويصبح في حكـم العدم إلا بوفاته – وعندما يتحرك ويزداد نشاطه يحدث تفاعلات تحـرك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم أو الشر، ويصبح على أثر ذلك إنسان مجرم أو شرير، وعندما يتم السيطرة عليه ويصبح ساكن أو كامن بـــدون أي تفاعلات من خلال عوامل التهذيب والتربية الحســـنة والتعليـم النـافع والقوانين العادلة والرادعة يتخذ سلوكاً مستقيماً ويكون على أثـــر ذلـك إنساناً سوياً أو خيراً.[١].

- جميع أصحاب هذه النظريات هم الفلاسفة الأوائل الذين ظهروا فـــي المجتمعات الحضارية القديمة وأسسوا مذهـــب الفطـرة الإنســانية الشريرة الذي يقرر بأن جميع البشر قد ولدوا وفطرتهم مطبوعة على

---

١ – ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – مرجع سابق – ص ٨٤ وما بعدها

– رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ١٤ .

الشر، وأن الخير ليس من أصل طبيعتهم وإنما اكتسبوه فقط بالعوامل الخارجية الصالحة.

- ولكي نوضح مفهوم هذا المذهب وتفسير المؤسسين له لظاهرة الإجرام سنعرض دراستنا في هذا الباب على النحو الآتي:

الفصل الأول: سنبين فيه أهم العوامل الداخلية التي عرفت في العالم القديم بأنها تؤثر على الإنسان وتدفع سلوكه نحو الإجرام ثم نوضح أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام.

الفصل الثاني: سنطرح فيه موجز عن أهم فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الشريرة - وقاموا في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظاهرة الإجرام - وذلك لكي نثبت من خلال فكرهم الفلسفي وجود نظريات تفسيرية في العصور القديمة عن أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي .

الفصـــــل الأول

أهم العوامل والأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير السلوك الإجرامي

تقديـــــم:

سنعرض في هذا الفصل أهم العوامل الداخلية التي عرفت وانتشرت بين شعوب العالم القديم بأن لها أثر فعال في تحريك سلوك الإنســـان نحـــو ارتكاب الجرائم أو الشر عموماً، وتجعله إنسان مجرم أو شـــرير - ثـــم سنوضح بعد ذلك أهم الأسس التي يرتكز عليها مذهب الفطرة الشـــريرة في تفسير ظاهرة الإجرام وإسنادها إلى عوامل داخلية بحته كامنة فـــي ذات الإنسان.

ولكي نعرض دراستنا في تسلسل موضوعي سنطرحها على النحو التالي

مبحث أول: سنعرض فيه أهم العوام الداخلية المؤثـــرة فـــي الســـلوك الإجرامي في مفهوم مذهب الفطرة الشريرة.

مبحث ثاني: سنوضح فيه أهم الأسس التي يرتكز عليها مذهب الفطـــوة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجـــرام وإســـنادها لعوامـــل داخلية.

المبحث الأول

أهم العوامل الداخلية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقاً لمفهوم مذهب الفطرة الخيرة

فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الإنسانية الشريرة وفسروا في ضوء فكرهم الفلسفي ظاهرة الإجرام وأسندوها إلى عوامل داخلية بحتة كامنة في ذات الإنسان، واعتبروها الوحيدة التي تؤثر على السلوك الإجرامي – قد قرروا بأن هذه العوامل قد ولد بها الإنسان وتعبر عن أصل طبيعته الشريرة وأهمها يتلخص في الآتي:-

أولاً: الإحساس بالذات (الثيموس) :-

كل إنسان يولد ولديه إحساس عميق بالذات – وهذا الإحساس يجعله يبحث عن نيل الاعتراف والتقدير بمكانته وقدرته من الآخرين – أي يسعى إلى أن يقيمه الآخرين كما يقيم هو نفسه – فإذا بدرت من أحدهم أي بادرة تشير إلى احتقاره أو الانتقاص من قدره، فإنه يندفع بكل ما يملك من جرأة ويعتدي على من ناصبه الاحتقار أو انتقص من قدره بهدف الانتقام منه ولكي يثبت له مكانته الذاتية ويجعله عبرة للآخرين ... وعلى هذا الأساس فإن الإحساس بالذات إذا لم يتم ضبطه وجعله في حالة اتزان يجعل الناس في صراع دائم من أجل نيل الاعتراف والتقدير. وهذا الصراع لا يقتصر على الضروريات فقط أي على الجوانب المهمة في كيان الإنسان وإنما يحدث أيضاً في التفاهات مثل [نوع شعر

الإنسان ولون عيونه وحركة رقبته وشكل ملابسه ... الخ] [١] ... وفي ذلك يقول كل من هيجل وهوبز أن جرائم كثيرة قد ارتكبت في المجتمعات البدائية بسبب قيام شخص بالاعتداء على آخر لكي يحصل منه على الاعتراف والتقدير بمكانته وقدرته أي من أجل ينال المنزلة التي يعتقدها هو في نفسه[٢].

وقد تحدث أفلاطون في كتابه الجمهورية عن الإحساس بالذات تحت مسمى [الثيموس] وعرفه بأنه تقييم المرء لنفسه - وقال بأن كل إنسان يؤمن بأن لنفسه قيمة ويطلب دائماً أن يقدرها ويعترف بها الآخرون كما يقدرها هو لنفسه - وحين يتصرف الآخرون على أن قيمته أقل مما يظن ولا يقدرونه حق قدره يغضب وينفعل عليهم وقد يؤدي هذا الانفعال إلى قيامه بارتكاب سلوك إجرامي معتقداً بأن ذلك من قبيل رد اعتباره وثأراً لمكانته وقيمته أمام الناس [٣].

وعلى هذا الأساس يرى جميع فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة في العالم القديم أن [الثيموس] يعتبر من أهم المصادر الرئيسية للشر بين البشر إذا لم يتم ضبطه وكبح جماحه عند الأفراد .

---

1 - Francis Fukuyama - the END of History and the last MAN - New York 1992 - p 135.

2 - Thomas Hobbes - Leuiathan - part 1 and 11 - Bobbs - Merrill indianapolis - 1958 - pp 87 ets.

٣ - أفلاطون - جمهورية أفلاطون - الكتاب الرابع - ترجمة الدكتور فؤاد زكريا - مراجعة عن الأصل اليوناني

د. محمد سليم سالم - طبعة ١٩٦٨م القاهرة - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - ص٤٤٠ وما بعدها.

ثانياً: الرغبة في المجد والتسلط (الميجالويثميا) :-

هي رغبة يولد بها الإنسان وتظل في كيانه حتى يموت، وهي عبارة عن السعي الضخم للتفوق على الغير بشتى الطرق لفرض الهيمنة عليهم أو لإجبار أكبر عدد ممكن من الناس للاعتراف بهذه الهيمنة - وهذه الرغبة في حالة عدم ضبطها أو في حالة عدم فرض قيود اجتماعية عليها لتحجيمها لدى كل فرد من أفراد المجتمع يحدث الصراع والتناحر وتزداد بالتالي الجرائم أي أن كل فرد قد يرتكب سلوكاً إجرامياً من أجل أن ينجح في فرض نفوذه وهيمنته على الآخرين ويحقق بذلك رغبته في المجد[١].

وقد أكد ذلك **هيجل** في كتابه **[فينومينولوجيا العقل]** وقال صراحة بأن [الرغبة في المجد والتسلط دون فرض ضوابط عليها، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الحرب وجرائم الاعتداء على حقوق الإنسان في المجتمعات القديمة ... وأنه على آثارها استطاع بعض الأفراد أن يكتسبوا صفة الطغاة ... كما تولد عنها العلاقة بين السيد والعبد حين اعترف أحد أفراد المجتمع القديم بقوة ونفوذ وسطوة فرد آخر عليه وأجبر على أن يصبح عبداً له ...] [٢].

وقال **جون لوك** أيضاً بأن الجرائم والانتهاكات البشعة لحقوق الإنسان كانت تزداد في مجتمعات العصور القديمة خلال الفترات التي كانت تظهر فيها رغبة المجد والتسلط عند الأفراد بدون ضوابط اجتماعية تقيد جنوحها وتحجم باتزان نزوعها نحو الإجرام أو عوامل

---

1 - Alpert Herch man - The passions and the interests - New Gersy 1977 - pp 9-11.
2 - G. F. F. Hegel .: The Phenomenology of Mind - new York - 1967 - p 233.

الشر الأخرى - لأن الإنسان في هذه الحالة تكون رغبته في المجد طليقة ويعتقد بأنه أفضل من الآخرين ومن حقه أن يفرض هيمنته عليهم بكافة الوسائل التي تكون في إمكانه أن يفعلها ...] [١].

وقد تحدث أفلاطون في كتابه [الجمهورية] عن الرغبة في المجد والتفوق على الآخرين تحت مسمى [ميجا لويثميا] وقال أنها تظهر بشكل واضح في الإنسان الطاغية الذي يغزو شعباً مجاوراً ويستعبده حتى يعترف له هذا الشعب بسلطته وتفوقه عليه، ويحقق رغبته الطليقة في المجد والتسلط على أكتاف الآخرين[٢].

وأيضاً يرى جان جاك روسو بأن الرغبة في المجد كانت عند عدم ضبطها وكبح جماحها من الأسباب الرئيسية في ارتكاب الجرائم وأنواع الشر المختلفة في حياة الإنسان الاجتماعي حيث اعتقد أن الإنسان في حياته البدائية كان يعيش حياة منعزلة وغير عدوانية، وعندما تطور تاريخيا وعاش لأول مرة في مجتمع إنساني ظهرت رغبته الطبيعية في المجد والتفوق على الآخرين، وعند افتقار المجتمع إلى ضوابط تحجم عشق هذه الرغبة الدفينة يحدث الصراعات والتناحر وتظهر منابع عديدة لنزوع الإنسان إلى الإجرام أو الرذيلة أو إلى أنواع الشر الأخرى وتصبح حياة الأفراد داخل المجتمع في شقاء ومليئة بمظاهر اللامساواة الاجتماعية[٣].

---

1 - Francis Fukuyama - The End of History And The Last Man - Op. Cit - p. 174.

٢ - أفلاطون [جمهورية أفلاطون] - مرجع سابق - ص ٣٧٥ وما بعدها.

3 - Arser Melzer - The natural Goodness of man - New American library - New York - 1990 - pp 70,71.

لذلك كان فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة في العالم القديم يعتقدون بأنه في حالة عدم ضبط رغبة الإنسان في المجد والتسلط يتولد لديه الجشع والطمع وفرض الهيمنة على الآخرين، ويتخذ على أثر ذلك سلوكاً مضاداً للمجتمع يرتكب فيه جرائم متنوعة ويصبح من خلال ذلك مجرماً خطيراً أو من الطغاة الفاسدين وسجلات التاريخ مليئة بمثل هؤلاء منذ بداية ظهور المجتمعات الإنسانية وعلى الأخص الملوك والزعماء مثل **الملك جيه والملك جوسبن** في الصين القديمة، والملك **احشو يروش** في بلاد فارس، والإمبراطور الروماني نيرون ... حتى **هتلر وموسليني واراكي** في القرن العشرين الميلادي(١).

ثالثاً: الأنانيــة :-

يؤكد أنصار مذهب الفطرة الشريرة فإن كل إنسان يولد وبه غريزة الأنانية المتمثلة في الإفراط في حب نفسه عن الآخرين، فكل الأشياء التي يراها يريد أن يستأثرها لنفسه ويحرم منها الآخرين أي ينحاز دائماً لنفسه في الحصول على الأشياء وفي فرض آرائه ووجهات نظره - وهذه الأنانية مضادة للترياق الذي يعني الاعتدال بإعطاء كل ذي حق حقه، ومن صورها الجشع، والطمع، والمادية، والإفراط في العداء، والرغبة في الأخذ دون عطاء، واستغلال الآخرين، والحصول على

١-د. أحمد سويلم العمري - أصول العلاقات السياسية الدولية - الطبعة الثالثة ١٩٥٩ القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - ص ٣٥ وما بعدها.

- برتراند رسل - حكمة الغرب - لندن ١٩٦١ م - ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا الطبعة الأولي - ١٩٨٣ م - عالم المعرفة - بالكويت - ص ١٧٩.

أجور تزيد عن العمل أو الجهد الذي يبذله، وعدم التوزيع النزيه للقيمة لمصلحة نفسه، والاستحواذ على المكافآت وحرمان أصحاب الحق منها، والاستئثار بالمراكز المرموقة والمناصب العليا ومنع من هو أحق في الوصول إليها، والتسلق على أكتاف الآخرين للوصول إلى الأهداف أو الغايات دون جهد أو عناء ... وصور أخرى عديدة من الأنانية تؤدي في حالة عدم ضبطها وكبح جماحها إلى حدوث صراعات ومنازعات وجرائم خطيرة داخل المجتمع (١).

وعلى هذا الأساس يقول **جون لوك** بأنه بسبب الأنانية الموجودة ضمن طبائع الناس [لا يمكن أن يكون الإنسان قاضياً عادلاً عندما يفصل في قضيته هو، لأنه من المستحيل أن يحكم بالعدل أو بالإنصاف ضد مصلحته ومن الصعب جداً أن يفصل بالحق وهو حكم وخصم في ذات الوقت ...] (٢).

وأيضاً يقول الفيلسوف الصيني **شيون تسي** [٣٠٥ - ٢٣٥ ق.م] وهو أشهر المؤسسين لمذهب الفطرة الشريرة في الصين القديمة. بأن [كل إنسان يولد وتصحبه شهوة الأنانية، فإن تبع شهوته هذه بما فيها من جشع وطمع واستغلال انبعث في المجتمع الخلافات والجرائم وصور الظلم المختلفة وتوارى الخلق الفاضل ...] (٣).

---

1 - R. Lesenne - Traite de Morale generale - Paris - 1947 - pp 576 - 585.

- د. القشيري - الرسالة القشيرية - طبعة ١٩٥٩ القاهرة - كلية آداب القاهرة - ص١٦٠ وما بعدها.

2 - Francis Fukuyama - The End History and the Last Man - Op. Cit - p 158.

٣ - د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور - الجزء الثالث ١٩٦٨ - تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلسفية - ونشره بدار المعارف بالقاهرة - ص ١٣٠ .

ولذلك يقرر أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بأن الأنانية غريـزة يولد بها الإنسان وفي حالة عدم ضبطها وكبح جماحـها تصبـح مـن العوامل الخطيرة التي تحرك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم وصور الشـر المختلفة، وتجعله في أغلب الأحيان من كثرة تتبعها إنسـان مجـرم أو شرير[١].

رابعاً: الكذب :-

يقول أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بأن الكذب مغروس فـي طبيعـة الإنسان منذ مولده، والدوافع إليه عديدة مثل حب البقـاء ، والمصلحـة، والغرور، والمبالغة ، والتجميل، والإثارة، والتـهويل، والـهروب مـن عواقب الحقيقة ، والتسلط... الخ.

والكذب هو حل مرتجل يولد إن آجلاً أو عاجلاً مشاكل متزايدة الصعوبة لأنه تسهيل مؤقت يؤجل الصعوبات ويزيدها شدة، ويؤدي فـي غـالب الأحيان إلى التخلي عن الفوائد البعيدة التي يهيؤها دائماً الصدق من أجل الحصول على المنافع القريبة التي يؤمنها هو بالهروب الباطن والجـهد الأقل والمقاومة الضعيفة.

ولهذا فإن الكذب اجتماعي وغير اجتماعي معـاً - اجتمـاعي لأنـه لا يحدث مطلقاً أو لا يتم اللجوء إليه إلا في داخل جماعة، وذلك لأنه ليـس من المنطق أو من المقبول عقلاً أن يكذب الإنسان وهو يعيش منعـزلاً، وغير اجتماعي لأنه يقوم على سوء النية ويبادل الثقة بالزيف ويـؤدي

---

١ - ول ديورانت - قصـة الحضـارة - الجـزء الرابـع - مرجـع سـابق - ص ٨٥.

إلى التباعد والتباغض والتفرقة بين الأفراد لأنه إثارة مليئة بالحماقة والسقوط والرعب وسوء التدبير والخداع.

ولذلك فإذا لم يتم وضع ضوابط وقيود تمنع الأفراد بقدر الإمكان من الكذب وتجعلهم يتحلوا بالصدق فإن المجتمع يفسد ويصبح مرتعاً للإجرام ولكل أعمال الشر الأخرى، وتحجيم الأفراد عن الكذب ممكن لأن الصدق بسيط وراسخ الأركان أما هو [الكذب] مهزوز دائماً ومزعزع ومعرض للهجوم باستمرار ولذا فإن التفسير الحقيقي لاضطرار المجرم في أغلب الأحيان إلى الاعتراف بجريمته ليس كما يقول بعض السطحيين بأنه قد فعل ذلك نتيجة استيقاظ ضميره وإنما هو قد اضطر إلى ذلك بعد أن افتضح أمره تحت وطأة وضوح كذبه وترنحه.

- الفلاسفة الأوائل الذين أسسوا مذهب الفطرة الشريرة في العصور القديمة مثل أبوور وشيون تسي وأفلوطين قد أجمعوا بأن الكذب من الطبائع المولود بها الإنسان، ومن أخطر العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم ونشر الإنحلال والفساد في المجتمع[١] وذلك كما سنرى فيما بعد

خامساً: التحاسد والتباغض:-

يجمع أنصار مذهب الفطرة الشريرة بأن الحسد والضغن يولد مع الإنسان، ويظل دائماً من طباعه حتى يموت وأن الإنسان إذا صاحبته

---

١ - د. عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - الطبعة الأولى ١٩٧٥م - الناشر وكالة المطبوعات بالكويت - ص ١٩٢ وما بعدها

- R. Le Senne - Le mensonge et le Caractere - Paris 1939 - p 46
- N.Hartmann , Ethies - London 1963 - p 283.
- Elie Metchnikoff - Etude sur la nature humaine, essai de philosophie optimiste - paris - Maloine - 1903 - pp 21 ets
- Thomas Hobbes - Leuiathan - Op Cit - pp 106 ets.

هاتان النزعتان ولم يتم ضبطها وكبح جماحهما غلب عليه طبع القسوة، وقد يصبح من أثر ذلك مجرم خطير - وذلك لأن تفاعل الحسد والضغن يؤدي دائماً إلى الكراهية والشعور بالاضطهاد والرغبة في الانتقام، وكل هذه الأمور تحرك بفاعلية سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو نحو أفعال مضادة لأمن واستقرار المجتمع عموماً[1].

ويقول كل من **هويز وهيجل وجون لوك ونتيشه** وهم من أشهر فلاسفة العصور الحديثة بأن التحاسد والتباغض كانا من أهم مصادر الشقاء والتعاسة في حياة المجتمعات البدائية، ومن أهم الدوافع التي كانت تحرك سلوك الإنسان القديم إلى ارتكاب الجرائم أو أعمال الشر المختلفة[2].

وفي ذلك يقول **شيون تسي** ، وهو من أشهر فلاسفة الصين القديمة ومن المؤسسين الأوائل لمذهب الفطرة الشريرة - بأن [ليس الحب والمودة من طبيعة الإنسان، وإنما الحسد والحقد والكراهية من طبيعته التي ولد بها، ولما كانت أفعاله لابد أن تكون صورة طبق الأصل لطباعه فلابد أن يرتكب الجرائم ويسلك طريق الشر ...] [3].

جميع فلاسفة المذاهب الأخلاقية التي ظهرت في العصور القديمة **مثل الطاوية في الصين والأوبنيشاد في الهند والرواقية في بلاد الإغريق** قد أشاروا بأن التحاسد والتباغض من العوامل الخطيرة التي

---

1 - J.C. Flugel. Man, Morals and Society - Apsyco Analylical study- A mace company - london 1945 - pp 41 ets

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٣٠.

2 - Francis fukuyama - The End of History and the LastMan - Op. Cit - pp 143 - ets.

٣ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٥.

تحرك سلوك الإنسان نحو الانحراف وارتكاب الجرائم ومن الأسباب التي تؤدي في حالة تزايد حدتها إلي ارتفاع نسبة الإجرام كما تؤدي إلي انهيار مفاهيم التضامن والتعاون والمحبة بين أفراد المجتمع(١).

سادساً: الإفراط في تحصيل اللذات:-

يقرر أنصار مذهب الفطرة الشريرة بأن كل إنسان يولد وطبيعته لا تعرف أي معنى للعفة، وإنما مغروس فيه حب الحصول على الشهوات واللذات والميل الدائم إلى الإفراط في تناولها وذلك مثل عدم الاعتدال في تناول الطعام والشراب والمتعة الجنسية ... إلى جانب الانزلاق في الأفعال التي تظهر عدم الحياء والاحتشام مع الناس(٢) .

وأنه في حالة عدم ضبط غرائز هذه الشهوات واللذات وعدم الاتزان في الحصول عليها أو الانهماك في تناولها يؤدي إلى اتساع دائرة الانحراف وزيادة ارتكاب الجرائم داخل المجتمع(٣).

ويقول الفيلسوف الأمريكي جون ديوي [١٨٥٩ - ١٩٥٢م] بأن [عدم الاعتدال في إشباع الشهوات واللذات يؤدي حتماً إلى ارتفاع نسبة الانحراف والإجرام في المجتمع - كما أن خبرة الحياة تبين أنه ليس كل تناول للرغبة والاشتهاء يقضي إلى الخير، وإنما كثيراً من الغايات أو اللذات أو المآرب تبدو خيراً عندما نكون واقعين تحت تأثير هوى جامح

---

1 - Shrirama Indradeva - Social Structure and Valuse in Later smrtis - New Delhey - India - 1972 - pp 61 ets
2 - N . - Hartmann - Ethies - Op. Cit - pp 273 - 279.
3 - j . C . Flugel - Feeling and the Hormic theory - Character and Personality 1939 London - p 211.

أو هيام حاد، في حين أنها في واقع الخبرة أو عندما نفكر في أمرها بتروٍ وعلى مهل - تكون فعلاً ضارة ومؤذية يعني شرا] [١].

ورغم الخطورة التي أعلن عنها أنصار مذهب الفطرة الشريرة ومعظم فلاسفة الأخلاق وعلى الأخص فلاسفة الشرق عن أثر الإنهماك في تحصيل الشهوات واللذات على السلوك الإجرامي - إلا أنه أمام قوة غرائز هذه الشهوات واللذات الموجودة في طبيعة الإنسان وضعف قدرة التحكم فيها، والصراع الذي حدث بينها وبين مفاهيم العفة والتقشف ظهر فكر فلسفي يخفف من خطورة هذا الإنهماك على السلوك الإجرامي وهذا الفكر قد تمثل في فلسفة اللذة والألم التي أسسها الفيلسوف اليوناني أرستبس القوريناني الذي ولد في مدينة قورينا إحدى مدن برقة في شمال أفريقيا عام ٤٣٥ ق.م - وتوفى عام ٣٦٦ق.م، ورغم أنه كان من تلاميذ سقراط إلا أنه ذهب بفلسفته إلى القول بأن [النفس حالتين ألم ولذة، وبأن الألم حركة عنيفة مؤذية، واللذة حركة حلوة ملائمة، وبأن قوة الغريزة في الإنسان عند تحصيله اللذات وتجنبه الآلام أقوى من قوة الضمير - إذ أن الضمير قد يضعف غالباً عن قمع الشهوات، والشهوة هي القوة المحركة لأفعال الإنسان، وتحصيل اللذة هي القاعدة التي يجري عليها السلوك الإنساني ويخضع لها، لأنها ضرورة نفسية والاعتراف بذلك يكون خيرا من نكرانه، واللذات لا تختلف عن بعضها البعض من حيث الكم لأن جميعها يتحقق فيها غاية واحدة، وهي خير حتى لو نجم عنها أشد الأمور المجلبة للعار...][٢].

---

١ - رالف. ب - وين - قاموس جون ديوي للتربية - نيورك ١٩٥٩م - ترجمة الدكتور / محمد علي العريان - تصوير عبدالعزيز سلامة - الطبعة الأولي ١٩٦٤ - القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة - ص ١٠٣.

٢ - د. إسماعيل مظهر - فلسفة اللذة والألم - القاهرة ١٩٣٧ - مكتبة النهضة المصرية - ص ٣١ وما بعدها.

وإذا كانت فلسفة أرستبس قد انتشرت وأصبح لها أنصار ومؤدين يمثلون مدرسة فلسفية أطلق عليها مدرسة اللذة والألم ، إلا أنها لم تصمد في مواجهة الانتقادات العنيفة التي وجهت إليها من معظم فلاسفة الأخلاق وأصحاب المذاهب الفطرية، وأهم هذه الانتقادات يتلخص في الآتي:

١ - أن الإنسان في كثير من الأحيان قد انتصر بضميره على الشهوات وتحمل كثيراً من مشاق الحياة دون أن يصاب بالألم.

٢ - قوة التمسك بالعقيدة تجعل الإنسان لديه القدرة والعزيمة الكاملة على مقاومة الشهوات.

٣ - أن فلسفة أرستبس فلسفة مادية، والخير والشر ليس في صورة عمل مادي فقط كما يري أرستبس وأنصاره بل هناك خير أدبي وشر أدبي أيضاً.

- وأمام هذه الانتقادات انهارت فلسفة اللذة والألم بأفكارها الخاطئة التي ترتكز على الطبيعة المادية أو الحسية الواقعية، كما لم تستطع أن تقدم أدلة مقنعة تنفي ما ثبت بالواقع واليقين بأن الإفراط في تحصيل اللذات والانسياق وراء الشهوات يدفع سلوك الإنسان إلى الانحراف وارتكاب الجرائم ويؤدي إلى انتشار الفساد والإباحية والإجرام داخل المجتمع[1].

٢- د. محمد عبدالمنعم القيعي - عقيدة المسلمين - الطبعة الثانية - ١٩٨٦ - القاهرة - وزارة الأوقاف - المجلس الأعلي للشئون الإسلامية - ص٩١

- J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op. Cit - p. 156

١- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - الطبعة الأولي ١٩٦٧-١٩٦٨ - دار التأليف بالقاهرة - ص ٥٦.

** وإذا كانت هذه العوامل الداخلية هامة وتتفاعل بشدة داخل الإنسـان في حالة عدم ضبطها وكبح جماحها وتدفع سـلوكه نحـو الانحـراف وارتكاب الجرائم - إلا أن فلاسفة مذهب الفطرة الشريرة لم يعتبروهـا هي فقط التي تعبر عن أصل طبيعته الشريرة، وإنما قرروا أيضاً بأنـه توجد عوامل داخلية أخرى عديدة أقل أهمية وخطـورة مـن العوامـل السابق مثل الغرام بالجمال وحب الربح وحب الثراء تعبر كذلـك عـن طبيعته الشريرة وتدفع سلوكه في حالة تفاعلها إلى الانحراف وارتكـاب الجرائم ولكن بأثر أخف وطأة على الآخرين من العوامل السابقة[١].

وعلى هذا الأساس يرى أصحاب مذهب الفطرة الشريرة بـأن أي عامل من العوامل الداخلية الموجودة في داخل الإنسان والمعـبرة عـن أصل طبيعته الشريرة يصلح بمفرده في حالة عدم ضبطه وكبح جماحـه أن يكون الدافع الرئيسي أو المحرك الفعال لسلوكه نحـو ارتكـاب أي جريمة معينة أو أي عمل من أعمال الشر الأخرى، اعتقادا منـهم بـأن السير وفق الطبيعة البشرية الشريرة وإطاعة أحاسيسها يؤديان حتما إلـى الإجرام وكل أمور الشر[٢].

ولذلك قد قرروا بفكرهم الفلسفي الذي انتشر في معظم مجتمعات العصور القديمة بأنه لكي يتم ضبط العوامل الداخلية الموجودة في أصـل طبيعة الإنسان الشريرة وكبح جماحها أو شل تفاعلـها لكـي يكتسـب السلوك المستقيم ويصبح خيراً داخل المجتمع، يجب أن يأخذ قسطاً كاملاً

---

2 - Thomas Hobbes - Leuiathan - Op. Cit - pp 170 ets.

٣- ول ديورانـت - قصـة الحضـارة - الجـزء الرابـع - مرجـع سـابق - ص٨٤.

من التهذيب والتربية الصالحة وأن يلقن بصفة مستمرة بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية، وأن يغرس فيه العلم النافع والمعرفة الصادقة بأمور الحياة، وأن تفرض عليه قوانين عادلة ورادعة تلزمه وتمنع عوج سلوكه[1] - وهذه الأمور الصالحة ستحقق أهداف عديدة أهمها ما يلي:-

- ستحد من كبرياء الإنسان وتحجم رغبته المتوهجة في المجد والتسلط - أي ستجعله يتخلص من ولع **الثيموس والميجالوثيميا** ويكتسب مفاهيم أخف وطأة منها وهي الإيوثيميا ومعناها رغبته فقط في أن يعترف له الأخرين بأنه مساوياً لهم في القدرة والصفات الانسانية فقط ، وبالتالي تغرس فيه مفاهيم الكرامة والأحترام وتقدير الذات بدلاً من الإحساس الفردي بالذات والتسلط والهيمنة وفرض النفوذ علي الأخرين .

- ستجعل كل فرد من أفراد المجتمع يعيش في ثمرة العقد الاجتماعي الذي يقرر بأن جميع البشر قد ولدوا أحراراً - وأن كل واحد منهم له حقوق طبيعية أهمها الحق في الحياة ، والحق في الحفاظ علي الذات ، والحق في السعى من أجل السعادة ، والحق في التملك والحق في التعبير عن الرأي والحق في أن يعيش حياة كريمة وغير ذلك من الحقوق الأخري .

- ستقضي علي العلاقة بين السيد والعبد ، وتحل بدلاً منها علاقة أخري تستند علي العدل وعلي الاعتراف المتبادل بالمساواة بينهم في الحقوق والواجبات وعلي ألا يتدخل أحدهما في حياة الآخر أو يعتدي

1- J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op. Cit. PP. 161 ets.

عليه وعلي ما يمتلكه ، وبالتالي ستسود بينهما كل مفـــاهيم الطيبـــة والصور الشرعية للمساواة .

- ستضبط سلوك الناس علي الاستقامة والاحتشام ، وتجعلهم يتفقـــون علي الغايات والأهداف الصالحة ، حتي لا تكون بينهم قضايا كـبري يتقاتلون بسببها ، ويشبعون احتياجاتهم بفضل نشاطهم العادل دون أن يضطروا إلي المخاطرة بحياتهم في منازعات وصراعات من أجـــل كسب الرزق .

- ستجعل المجتمع صالحاً وتنشر فيه كل مفاهيم العـــدل والانصـــراف والتعاون والتضامن والرحمة والمودة والمحبة والأخوة الجامعة .

- ستساعد علي قيام دولة صالحة وبها حكومة عادلة ، ويحقق فيـــها الشعب انجازات حضارية رائعة تكون رمزاً دائماً للخير والفضيلـــة لكل الأجيال المتعاقبة (١)

وحيث أن معظم فلاسفة العالم القديم وعلى الأخص الفلاسفة الشـــرقيون كانوا يربطون دائرة الدين بدائرة الأخلاق - فإن الخلاف بيـــن مفـــهوم مذهب الفطرة الخيرة ومفهوم مذهب الفطرة الشريرة كان ينحصر في أن فلاسفة الفطرة الخيرة كانوا يعتقدون بأن الأخلاق قوام السماء، ومـــا دام الإنسان جزءاً من السماء فهو خيّر بأصله في حين أن فلاسفة الفطـــرة الشريرة كانوا يعتقدون بأن السماء آلية محضة وتفتقر إلى المبدأ المثـــالي

---

1 - Francis Fukuyama - the End of history and th last MAN- op . cit . pp 171 ets .

- Shrirama indrodeva - social structure and valuse in later smrtis - op - cit - pp - 92 ets

أو الخلقي وبالتالي لا يتأتى للفطرة أن تضم بين طياتـــها مبـدأ خلقيـاً بالمقاييس الخلقية التي اصطنعها الإنسان ولذلك فـإن طبيعـة الإنسـان شريرة والخير فيه مكتسب وليس أصيل في فطرته[1].

١- د. فـؤاد محمـد شـبل - حكمـة الصـين - مرجـع سـابق - ص ١٣٠.

- Fredrich Nietzsche - on the Genealogy of Morals and Ecce Homs Trans . w. Kaufmann Vintage Book - New york 1967 - pp . 70 ets .

المبحث الثاني

أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام

حيث أن أصحاب مذهب الفطرة الشريرة قد قرروا [كما سبق أن وضحنا]بأن طبيعة جميع البشر قد فطرت على الشر منذ ميلادهم وخروجهم إلى الحياة، وأنه من خلال التربية الحسنة والتأديب والتهذيب والتلقين بالقيم والمبادئ الصالحة وضبط السلوك بالقوانين والأحكام العادلة والرادعة يمكن أن يتحولوا إلى أخيار صالحين - فلكي يؤكدوا رأيهم في ذلك ويبرهنوا اعتقادهم في تفسير ظاهرة الإجرام بأنها ترجع إلى عوامل داخلية موجودة في أصل طبيعة الإنسان الشريرة قرروا الآتي:-

* في العهود الأولى لتاريخ البشرية، وخلال أزمان العصر الحجري القديم كان يسود بين أفراد هذه الحقبة التاريخية مبدأ القوة تنشأ الحق وتحميه، وهو مبدأ نابع من أصل طبيعتهم الشريرة، وذلك لأنه على أساس هذا المبدأ كان البقاء للأقوى، ولا وجود للإنسان الضعيف ولا مكان للمرأة التي كانت في هذا الزمان من الضعفاء ومن الأفواه الجائعة التي لا تقدر بمفردها على كسب الرزق أو جمع القوت.

ولذا كان كل فرد يفتخر ويتباهى بقوته ليجبر الآخرين على الاعتراف بذاته ويحقق لنفسه الثيموس، كما كان يندفع لأتفه الأسباب إلى

ارتكاب جرائم الضرب والسطو والقتل ليرهب من حوله بقوته من أجل أن يفرض عليهم نفوذه وسطوته ويشبع رغبته في المجد والتسلط أي يحقق لنفسه الميجالوثيميا ليصارع بها كزعيم قوى قسوة الحياة البدائية التي كانت في ذلك الوقت تخلو تماماً من أي نظم أو ضوابط تحجم أو تكبد جماح الغرائز الموجودة في أصل طبيعة الإنسان الشريرة (١).

* بعد أن ظهرت العقائد الدينية في صورتها الأولى التي رافقت بداية رحلة تكوين الجماعات الفطرية، وكانت تتمثل في عبادة الروح ثم تعددت بتعدد محتويات هذا الكون، فمن الأفراد من عبدوا الشمس، والبعض الآخر عبدوا القمر والنجوم، وآخرون عبدوا الأرض وبعض الحيوانات والنباتات ... الخ الأمر الذي أدى إلى تعدد الآلهة بتعدد هذه المعبودات التي قامت على أساسها فكرة التوتم ؛ وعلى أثرها أخذ الأفراد يتطلعون إليها ويأملون معوناتهم وهم يتقدمون لها بالشكر والتبجيل من أجل استجلاب الخيرات لهم ودفع الشر عنهم حيث اعتقدوا تماماً بأنها تملك قوة عظمى خارقة تعلوا بآفاق شاسعة قوتهم، وتسيطر بالكامل على أمور معيشتهم، وستلحقهم في حالة غضبها عليهم بالمرض أو الجنون أو الخراب أو الموت – فإنه من خلال هذه العقائد الخرافية وما ولدته في نفوسهم من خوف ورهبة – انصرفوا إلى حد ما عن مبدأ استخدام القوة والجهر والعلانية في ارتكاب الجرائم، واتجهوا صوب مبدأ آخر جديد خفف إلى حد ما من شراسة طبيعتهم الشريرة وهو مبدأ تهذيب القوة الذي قام على نظام التصالح والتحكيم واعتبر أول خطوة في ضبط

1- Georg Hegel. The Phenomenology of Mind - Op - Cit - pp 36 ets.

سلوكهم حيث فرض بعض القيود وإن كانت ضئيلة جداً في البداية على أهم الغرائز الشريرة التي كانت موجودة في الإنسان البدائي مثل **الأنانية والثيموس والكذب والكراهية والميجالوثيميا** والإفراط المتزايد في تحصيل الشهوات واللذات وذلك بعد أن اعتقد تماماً بأنه توجد قوة خارقة تفوق بكثير جداً قوته ويمكن بسهولة جداً أن تلحق به ضرر جسيم أو تسحقه وتزيل كل أثر لوجوده[1].

* مع مرور الزمن تطورت عبادة الأفراد لهذه العقائد الدينية الخرافية حيث ارتكزت على الورع والتقوى بدلاً ما كانت قائمة على الخوف والرهبة، وأصبح لكل عقيدة دينية رجال دين أطلق عليهم اسم الكهنة، تزعموا إقامة الشعائر والطقوس الدينية وغرسوا مبادئ العقيدة في نفوس الأفراد، ولقنوهم بداية التعليم والتهذيب، ووفروا الحماية للضعفاء أمام الأقوياء بعد أن اكتسبوا صفة التبجيل وأخذوا مكانة عليا بين الأفراد حيث اعتبروهم رسل أو مبعوثين من الآلهة لهدايتهم ، أو بأنهم ممثلون لهذه الآلهة في الأرض لإرشادهم إلى الحق والعدل وحسن الصواب أو بأنهم الوسطاء الذين ينقلون إليهم إرادة الآلهة ليعيشوا في حياة جماعية مليئة بالأمان والاستقرار - وأنه على أثر ذلك ازداد اقتناع الأفراد ورغبتهم مرة أخرى في الحد من استخدام القوة واتجهوا إلى الكهنة ليعرضوا عليهم منازعاتهم لحلها حيث اعتقدوا بأن ذلك أكثر عدلاً

---

١ - د. أحمد الخشاب - دراسات في النظم الاجتماعية - طبعة ١٩٥٨ القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة - ص ٣٦٤

- G. R. Driver and John C. Miles - the Baby lanoir lowers Vol. 1. Oxford University pp. 17 etc.

وطمأنينة من نظام القضاء الخاص ومن نظام التصالح والتحكم، وبعد أن تولد في نفوسهم أيضاً بأن الكهنة قد أصبح لديهم قوة تفوق قوتهم ويملكون مكانة مقدسة ولذلك تعتبر هذه الوسيلة خطوة ثانية في ضبط سلوك الأفراد وتطويع طبيعتهم الشريرة نحو الخير . ورغم أن الكهنة كانوا يفصلون في المنازعات التي كانت تعرض عليهم إما بناء على رأيهم الشخصي أو من خلال ما استطاعوا أن يستنبطوه من عادات وتقاليد الأفراد – إلا أن أحكامهم قد أخذت صفة الأحكام الإلهية – وانتشرت بين الأفراد في ثوب القواعد الدينية المقدسة التي يجب اتباعها لتنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم داخل الجماعة [١].

* نتيجة تواتر هذه الأحكام مع تمسك الأفراد بالعادات والتقاليد المتوارثة ظهرت القواعد العرفية التي تعتبر من أقدم مصادر القانون إلى جانب ظهور قيم ومبادئ دينية وأخلاقية واضحة المفاهيم داخل الجماعة – وهذا قد أدى أيضاً إلى ازدياد اقتناع الأفراد نحو ضرورة عدم اللجوء إلى القوة كأساس لإنشاء الحق وحمايته، والانصياع لمبادئ وقواعد الدين والأخلاق والعرف لتنظيم علاقاتهم وضبط سلوكهم وذلك بعد أن توافرت في هذه المبادئ والقواعد القدرة على إمكانية تحجيم النزعات الشريرة الموجودة في أصل طبيعة الإنسان وكبح حجامها لكي يسلك كل فرد في الجماعة بالاكتساب الذي سيفرض عليه طريق الخير ويتجنب ارتكاب الجرائم أو أي عمل من أعمال الشر [٢].

١- د. محمود السقا – تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الأولي ١٩٧٠- مكتبة القاهرة الحديثة – ص ٦٩- ٧١ .

٢- ماكيفر – المجتمع – ترجمة أحمد عيسى – الطبعة الأولى ١٩٧٣ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر – ص ٣٣٣.

* وحيث أنه قد ترتب على ذلك حدوث تطور في الحياة الإنسانية إلى جانب تبلور مفاهيم نظام السلطة داخل الجماعة مع ظهور بعض الأفراد ادعوا المعرفة واحتكروا على أساسها علمهم بالقانون من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية وفرض نفوذهم وسطوتهم على الآخرين - ظهرت الدولة وقامت السلطة الحاكمة فيها بوضع شرائع ومدونات قانونية عديدة تمكنت بفاعلية في تنظيم علاقات الأفراد وضبط سلوكهم وردع من يحاول منهم أن يستجيب لدوافع طبيعته الشريرة وينساق ورائها ويقوم بارتكاب الجرائم[١].

* * تعرض هذا المذهب لنقد شديد من جانب فلاسفة مذهب الفطرة المختلطة حيث قرروا بأن مفاهيم وتعليلات مذهب الفطرة الشويرة في تفسير ظاهرة الإجرام تخالف تمام الحقيقة والواقع، لأنه إذا كان جميع الأفراد منذ ظهور الحياة الإنسانية قد طبعت فطرتهم على الشر، وانتقل بعضهم إلى الخير بالتعليم والتهذيب والتلقين والقوانين الصالحة - فمن الذي علمهم ومن الذي هذبهم ومن الذي لقنهم القيم والمبادئ الدينية والأخلاقية الصالحة، ومن الذي سن لهم القوانين العادلة لتنظم علاقاتهم وتضبط سلوكهم - فإن كان غيرهم فلابد أن يكون خيرا بطبعه وبالتالي لا يمكن أن يكون كل البشر أشرار بالطبع.

ومن ناحية أخرى إذا كان الناس قد تعلموا الخير من أنفسهم عندما اندمجوا في حياة الجماعة فإن ذلك يعني بأن طبيعة البشر قد توسطت بين الخير والشر أي أن فطرة الإنسان فيها ميل للشر إلى جانب

---

١ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٧.

الخير وهذا يشير أيضاً بأن طبيعة كل البشر ليست مفطورة بالكامل على الشر[١].

وأمام ذلك قام أنصار مذهب الفطرة الشريرة الذين يسندون السلوك الإجرامي لعوامل داخلية بمواجهة هذا النقد الشديد للدفاع عن مفاهيم وأساسيات مذهبهم، وقالوا بأن قوة المعرفة هي التي تكسب الإنسان الأخلاق الفاضلة وتحوله من إنسان شرير بطبعه إلى إنسان خير وصالح، وفسروا هذا القول بأن الإنسان الحقيقي عبارة عن وحدة مكونة من ثلاثة عناصر هي **انفعالات ورغبات وعقل** - **وأن الانفعالات** أو المشاعر مثل الحب والكره والسرور والغضب والحزن والفرح إلى غير ذلك كلها تمثل الجانب المادي من الطبيعة البشرية - **والرغبات** تمثل ردود فعل وانعكاسات للانفعالات والمشاعر تجاه المثيرات الخارجية - والانفعالات والرغبات أمور طبيعية في الإنسان وتعبر عن أصل فطرته الشريرة، فإذا أخذت الحرية كاملة ولم يتم تحجيمها أو كبح جماحها فإن النتيجة ستكون وبالا وعلى جانب كبير من الخطورة حيث سترتكب الجرائم وكل عوامل الشر الأخرى لأن الإنسان بطبيعته غير متوازن، وخاطئ، وثائر، وفوضوي، وغير ملتزم، وبعيد عن الطريق القويم، ولا يملك الآداب الاجتماعية ولا القسط في التعامل مع الآخرين[٢].

ونظراً لعدم وجود أخلاق فطرية أساسية في الطبيعة الإنسانية فإن الوسيلة الوحيدة لضبط الانفعالات والرغبات والسيطرة عليها ترتكز

---

١ - د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠١.

٢ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٧، ص٢٨.

- Mencius. Works of. Tr. By legge, 111, 1,iv, introd, p84.
- Thomas Hobbes Leuiathan. Op. Cit - p. 85.

فقط على العنصر الثالث وهو العقل إذا اكتسب المعرفة الكلية من خلال المشاهدة والتجربة وخبرة الزمان والانسجام الكلي مع الطبيعة، لأنه بذلك ستكون وظيفته فعالة في التفرقة بين الخير والشر ويتحكم بما اكتنزه من معرفة في الانفعالات والرغبات ويكبح جماحها بطريقة متزنة ومعقولة فيختار منها ما هو صالح وغير ضار لنفسه أو للآخرين وينصرف عن دون ذلك.

وعلى هذا الأساس فإن من خلال الفعل الذي يكتسب المعرفة الكلية يتم وضع نظم كل العوامل التي تكسب الإنسان صفة الخير وهي التربية والتعليم والتلقين والقوانين العادلة وغير ذلك وجميعها ليست سوى عوامل خارجية غير نابعة من أصل فطرة الإنسان وإنما تولدت من جهود الأشخاص الذين اكتسبت عقولهم المعرفة الكلية[1].

وفي ضوء هذا التفسير الذي يعتبر بداية مصادر علم النفس في تحليله للإنسان خلال العصور القديمة. لم يستطع هذا النقد أن يهدم أساسيات هذا المذهب ولا مفاهيمه في تفسير أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي والتي يتلخص أهمها في الآتي:-

١- الطبيعة الشريرة التي فطر عليها جميع البشر، لا يوجد بها مطلقا أي أثر للخير - أي أن طبيعة كل إنسان عند مولده مليئة بالشر وخالية تماماً من كل عوامل الخير[2].

---

١ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٢٨.
- أما نويل كانت - تأسيس ميتا فيزيقا الأخلاق - ترجمة وتقديم وتعليق د / عبدالغفار مكاوي - مراجعة د. عبدالرحمن بدوي - الطبعة الثانية ١٩٨٠ - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة - ص١٧ وما بعدها.
- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٤٥.

2 - Thomas Hobbes - Leviathan - Op.Cit - p. 86.

٢- الانحراف والجنوح نحو ارتكاب الجرائم هو الأصل في طبيعة الإنسان، والأخلاق الحميدة والاستقامة غير أصيلة فيه وإنما يكتسبها فقط من دعائم العوامل الخارجية الصالحة مثل التربية الحسنة والتهذيب الواعي التعليم النافع والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية – وهذه العوامل يقوم بوضعها داخل المجتمع الأشخاص الذين اكتسبت عقولهم المعرفة الكلية ويعيشوا في انسجام كلي مع الطبيعة[1].

٣-الطبيعة الشريرة التي ولد بها كل البشر، ليست صلدة، ولا تملك القوة الكاملة على مجابهة ما يغرس فيها من عوامل خارجية صالحة، وإنما تصنت لها وتستجيب لأوامرها وتعليماتها دون أي تردد أو أي انفعالات عكسية – ولذلك فإنه من السهل تحويل الإنسان الشرير بطبعه إلى إنسان خير إذا غرست فيه وبصفة مستمرة العوامل الصالحة منذ مولده ليكتسب بها الأخلاق الطيبة والسلوك المستقيم ويصبح في انسجام كلي مع الطبيعة، وبالتالي يبتعد عن الانحراف وارتكاب الجرائم[2].

٤- الدوافع الأساسية التي تحرك سلوك الإنسان نحو الانحراف وارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدرها نابع فقط من العوامل الداخلية الكائنة في طبيعة الإنسان الشريرة التي فطر عليها – وهذه العوامل لديها من القدرة في حالة عدم التصدي لها بالعوامل الخارجية

---

١ - رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص٢٥.

2 - J. C. Flugel - Man, Morals and Society - Op Cit - pp 103 ets.

الصالحة أن تجعل الإنسان طول حياته مجرماً أو شريراً ويشكل خطراً دائماً على حياة الآخرين داخل المجتمع الذي يعيش فيه[١].

٥-البيئة الاجتماعية والطبيعة التي تحيط بالإنسان أقوى من طبيعته الشريرة لأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها - فإذا كانت صالحة وتوافر فيها بالتالي كل القيم الطيبة والفضائل الحسنة تحول هذا الإنسان المفطور على الشر إلى إنسان خير ومن الممكن أن يصبح أيضاً من أهل الحكمة والفضيلة إذا اكتسب عقله المعرفة الكلية بكل أمور حياة الدنيا والآخرة - أما إذا كانت فاسدة، فأنه يتحول إلى مجرم خطير أو إلي شرير جداً وذلك لأن طبيعته الشريرة تجد في البيئة الفاسدة ما يناسبها لكي تتفاعل وترتع فيها دون أن تتصدى لها أي عوامل صالحة أو تقاومها وتردعها أي نظم أو قوانين عادلة وحازمة، وأن هذا يؤدي إلى اصباغ هذا الإنسان بالشر الكامل أو الإجرام الخطير، كما يصاب عقله بالشلل الكلي ويعجز تماماً عن اكتساب أي معرفة - ويصبح على أثر ذلك من المستحيل علاج هذا الإنسان وتحويله إلى إنسان خير[٢] - وهذا الإنسان كان يعيش غالباً مع أمثاله في هذه البيئة الفاسدة خلال العصور القديمة في المناطق النائية وحول حدود المدن والأقاليم المتحضرة ومصدر رزقه الوحيد كان من عمليات السطو والإغارة على سكان تلك المدن والأقاليم لسلب ونهب أموالهم وممتلكاتهم ... وكان يطلق عليه بربري وعلى الجماعة التي يعيش معها بالبرابرة. وتاريخ العصور القديمة به

---

1 - Francis Fukuyama - The End of History and the Last Man - 1992 - New York - p. 188.

٢ - د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٩ وما بعدها.

الكثير من الأحداث الدامية التي ارتكبها هؤلاء البرابرة - مثل قبيلة شيو نغنو التي كانت تتمركز في بعض مناطق الصين الشمالية، وقبائل القوط التي كانت تحترف بجدارة السطو ونشر الفساد في القارة الأوروبية، وقبائل الوندال التي هبطت من سهول جبال البرانس إلى أرض أسبانيا وأشاعت فيها الفوضى والإجرام، وقبائل الهون التي أشاعت الفوضى والانحلال في أوروبا الوسطى من غاراتها المفاجئة وهجماتها الشرسة لسلب ونهب خيرات المدن - وكانت معظم شعوب العالم القديم تنظر إلى هؤلاء نظرة مليئة بالرعب والنفور والتقزز من أثر خطورتهم وفظاعة جرائمهم[1].

٦-لا توجد علاقة مطلقا بين شكل الإنسان، وطبيعته الإجرامية على أساس أن كل البشر طبيعتهم مفطورة على الشر ... ولكن إذا الإنسان وهو شرير بطبعه قد انغرس في بيئة فاسدة تفاعلت فيها طبيعته وترعرعت وأصبح الإجرام هو حرفته الوحيدة التي لا يمكن الاستغناء عنها، والانحراف ونشر الفساد من العوامل التي تنعش بصفة مستمرة طبيعته الشريرة فإنه من الممكن هنا أن يأخذ شكله بعض الملامح التي تعبر عن سلوكه الإجرامي إذا عاش فترة طويلة

١- هـ. سانت . ل. ب. موس - ميلاد العصور الوسطى - نيويورك ١٩٣٥- ترجمة . عبدالعزيز جاويد مراجعة الدكتور السيد الباز العريني - الطبعة الأولى ١٩٦٧، القاهرة ، عالم الكتب ، ص٨٤ ، ص٩١، ص٩٥.

- د. اسحق عبيد - تاريخ العصور الوسطى المبكرة - طبعة ١٩٨٠/١٩٨١ - القاهرة - مكتبة الحرية - جامعة عين شمس - ص٥٦ وما بعدها.
- وأيضاً مؤلفنا عن العلاقات الدولية في العصور القديمة طبعة ١٩٨٩- دار النهضة المصرية بالقاهرة - ص٨٧ وما بعدها ... ومؤلف آخر عن الجرائم العدوانية على حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - دار النهضة المصرية بالقاهرة - ص٢٥ وما بعدها.

في المناطق النائية أو الجبلية مثل بروز الجبهة وضيق فتحة العين وفلطحة الأنف وكبر الفم وانعواج الأسنان .الخ] ولكن هذا ليس بحكم اللزوم أن يكون هناك ارتباطا دائماً بين المجرم الخطير وبين شكله وملامحه مثل ما هو مقرر عن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع كما سترى في الباب الثالث[١].

٧- الأصل عدم وجود ضمير فطري عند جميع البشر باعتبار أن طبيعتهم شريرة - ولذا فإن الضمير يكتسبه الإنسان من المران والتجربة، أي أن قوة الضمير لا يمكن أن تكون فطرية بل هي قوة مكتسبة ... واكتساب الضمير يكون ناتجاً من حصيلة آلاف الضغوط الاجتماعية على الإنسان بالإضافة إلى عوامل التربية في الأسرة وفي المدرسة، والقهر الرسمي الذي تمارسه عليه المؤسسات والنظم الاجتماعية والأعراف والتقاليد وسلطان البيئة في المجتمع الذي يعيش فيه، حيث تتضافر وتتحالف هذه العوامل في تكوين ضميره[٢]، وفي ذلك يقول الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي اميل دوركهايم بأن [قوة الضمير المكتسبة تجعل الضمير الفردي ما هو إلا انعكاسا صادقاً للضمير الجماعي الذي ولد فيه الفرد وبه نشأ وتكون][٣].

وعلى هذا الأساس فإن العوامل الخارجية التي تحيط بالإنسان هي التي تكسبه قوة الضمير فإذا كانت صالحة وحولته من إنسان شرير

---

1 - Friedrich Nietzsche - on the Genealogy of moral, and Ecce Homo - Op. Cit - pp 82 ets.

- د. حسن شحاته سعفان - مونتسكيو - سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة - غير محدد سنة الطبع - ص ١٤٤، ص ١٤٥.

2 - Gabriel Madiniar - La Conscience morale - Paris 1963 - pp 7 - 12.

3 - Emile Durkheim - L'education morale - Paris. 1925. P36.

بطبعه إلى إنسان خير يكتسب من خلال ذلك ضمير حسن وسليم ويحس دائماً بالمسئولية أما إذا كانت هذه العوامل فاسدة وجعلت الطبيعة الشريرة في الإنسان تتفاعل وتتوغل فإنه يكتسب من خلال ذلك ضمير فاسد يختزن دائماً براثن الشر إلى جانب عدم الإحساس بأي مسئولية، ومن الصعب جداً علاج هذا الضمير وإكسابه أمور الخير بعد ذلك[١]. وأصحاب هذه الضمائر هم أخطر المجرمين أو أخطر الأشرار في المجتمع. حيث يرتكبوا جرائمهم ولا يشعرون بأي ندم أو أي ألم من النتائج السيئة التي تحدث للغير من أثر هذه الجرائم. وكان يطلق عليهم قديماً ألفاظ عديدة منها أعداء البشر، وأعداء الشعب، وأعداء المجتمع، وأعداء الحياة الإنسانية[٢] والطب النفسي الحديث يطلق عليهم أصحاب [الحالة السيكوباتية] وذلك بعد أن أطلق هذه التسمية عليهم العالم الألماني كوخ في عام ١٨٨٨م ووصفهم بالاندفاعية واللا أخلقية والأنانية واللا تكيفيه التي تتجسم في اصطدامهم المتواصل مع المجتمع وفي ارتكابهم للجرائم بلا مبالاة لما قد يسببونه للغير من المحن والكوارث والآلام[٣]، وإذا كان أصحاب مذهب الفطرة الشريرة قديما يرون استحالة علاج أو إصلاح ضمائر هؤلاء المجرمين الخطرين - إلا أن الطب النفسي الحديث يرى عكس ذلك ويقرر بأن هناك وسائل علاج حديثة يمكن من خلالها إصلاح أحوال أصحاب هذه الضمائر الفاسدة المصابة بمرض السيكوباتية[٤].

1 - Henri Berr - La synthese en histoire - Paris - 1911 - pp 171 ets.
2 - Thomas Hobbes - Le viathan - Op. Cit - p 87.
3 - Hervery cleckly - the Mask of sanity - London - 1941 - pp 208 - 213.
٤ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - ١٩٧٢ - دار الفكر العربي بالقاهرة - ص ٣٠٩ وما بعدها.

- وكما يحتاج الإنسان إلى الاستمرارية في تلقينه بالعوامل الخارجية الصالحة وغرسها فيه حتى تخمد طبيعته الشريرة ويتحول إلى إنسان خير، فإن الضمير كذلك يحتاج أيضاً إلى الاستمرارية بالمران والتجربة بنفس هذه العوامل الصالحة حتى يكتسب دائماً قوة الإدراك في العدل والحكمة والإحساس بالمسئولية(١). وفي ذلك يقول **جون كارل فلوجل** أستاذ علم النفس الإنجليزي وهو من أنصار المذهب الكسبي للضمير بأن [إذا كان العمل الأخلاقي هو العمل الذي يطابق القيم - وهذه القيم تقررها أساساً طبيعتنا البيولوجية واستعدادنا السيكولوجي - إلا أنه لكي يعيش الإنسان عيشة طيبة في البيئة الاجتماعية المعقدة التي صنعها - لابد أن يفرض عليه عامل خارجي بالإضافة إلى الفضيلة الطبيعية التي تختلف أشد الاختلاف من شخص لآخر، وهذا العامل الخارجي هو عامل التوجيه والتحكم المكتسبين وهو عنصر يمكن اعتباره من بعض الوجوه أقل طبيعية وتلقائية من الغريزة ، وهو يحمل الشخص في بعض الأحيان على أن يجاوز في بعض الاتجاهات ما تمليه عليه غرائزه، ويحمله في أحيان أخرى على الكف عن عمل محبب إلى غرائزه، ويقل ظهور عنصر التحكم هذا كلما نما ضمير الإنسان واكتمل منهجه الأخلاقي](٢).

- وإذا كان علم الإجرام الحديث قد توسع في مفهوم أثر التكوين الفطري في السلوك الإجرامي وجعله يشمل جميع الجوانب العضوية - والحيويّة والنفسية، وأعطى تفسيرات عديدة لكي يؤكد بأن هذه الجوانب كلها

---

1 - Emile Durkheim - Sociologie et philosophie - Paris - 1948 - pp 94 - 98.
2 - J. C. Flugel. Man, Morals and Society - Apsyco analylical study - A mace company - London - 1945 - p. 29

تتفاعل معاً في توجيه السلوك الإجرامي - والفكر القديم قد جعل التكوين الفطري يأخذ شكل عام دون أن يتعرض في تفسيراته إلى تفصيلات عن هذه الجوانب - فإن هذا لا يعني بأن مفهوم أثر التكوين الفطري على السلوك الإجرامي لم يعرف إلا حديثاً خلال منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كما يقول معظم علماء الفقه الجنائي الغربي مثل لمبروزو، وديتوليو، وبندي ، وكينبرج ... وغيرهم[1]. وإنما هو ليس إلا تطوير لمراحل الفكر الإنساني عبر العصور المختلفة، لأن جذور مذهب الفطرة الشريرة ومفهومه عن أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي بوجه عام قد نبتت في العصور القديمة، وأن الفكر الحديث في مجال علم الإجرام لم يكن سوى أغصان طرحتها هذه الجذور التي أرتوت بفكر العلماء والفلاسفة الذين تناولوا وحدة الإنسان على مر عهود العصور القديمة والوسطى. وفي مطلع العصور الحديثة - والقول بغير ذلك لا يتفق مع الحقيقة ولا مع المنطق ولا مع أساسيات الحياة الإنسانية منذ بداية ظهورها - كما أن الفكر الغربي الحديث في تناوله لمفهوم التكوين الفطري لم يقرر بأن طبيعة كل البشر واحدة، وبأنهم جميعاً مفطورين على الشر مثل ما كان سائداً في العصور القديمة من خلال فكر مذهب الفطرة الشريرة وإنما جعل بعضهم فقط مصابين بالفساد في تكوينه الفطري دون البعض الآخر، هذا رغم أن مفهوم مذهب الفطرة الشريرة لم ينقرض في الفكر الحديث وإنما ما زال موجود وله أنصار عديدة

١- د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٩١ وما بعدها

- د. نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٢٥ وما بعدها.

يؤيدونه ويدعمون أفكاره ومعظمهم من أشهر فلاسفة العصور الحديثة - مثل توماس هوبر، وجان لوك، وشوبنهاور ، وفريدرك نيتشه[١].

- وبذلك فإن المفهوم الحديث لعلم الإجرام في تفسير أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي ليس سوى امتداداً للمفهوم القديم في هذا المجال لأن كل فكر إنساني حديث لأبد أن تكون له جذور في العالم القديم، وأن الأساس الجوهري لكل فكر إنساني يثبت دائماً بأن الحديث هو تطوير فقط لما تأسس في الماضي البعيد[٢].

---

1 - Francis Fukuyama - the End of History and the Last Man. Pp 165 ets.
2 - Henry Thomas - The Great Phelosophers – New – York – 1962 – p 413 ets

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة الشريرة والمفسرين لأثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي

تقديـــــم :

لكي نؤكد ما سبق أن عرضناه في الفصل الأول من هــذا البــاب بــأن المجتمعات الحضارية القديمة قد ظهرت فيها مفــاهيم مذهــب الفطــرة الشريرة – وتفسيرات في ضوء مفاهيم هذا المذهب تشير بأن الســلوك الإجرامي وليد عوامل داخلية نابعة من ذات طبيعة الإنسان وليس مـــن أي عوامل خارجية – وبأن العوامل الداخلية لديها القدرة في حالة عــدم كبــح جماحـــها أن تجعــل الإنســان مجــرم خطـــير .

سنعرض في هذا الفصل موجز عن أهم الفلاسفة الذين ظهروا في العالم القديم واشتركوا في تأسيس مذهب الفطرة الشريرة وقاموا فـــي ضــوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير الظاهرة الإجرامية من خلال أثــر العوامــل الداخلية في السلوك الإجرامي – وسيكون عرضنا متوافق مع التسلســل الزمني لظهور هؤلاء الفلاسفة في العالم القديم .

أبوور - Apour

فيلسوف مصري قديم ظهر منذ ما يقرب من ٢٣٥٠ سنة قبل الميلاد وانتشرت فلسفته لعلاج أوضاع المجتمع المصري من أمور الفوضى والفساد والانحلال التي ضربت أطنابها في مصر خلال الحقبة الواقعة بين الإمبراطورية القديمة والإمبراطورية الوسطى وهي التي بدأت كما يقول معظم المؤرخين من بداية حكم الأسرة الخامسة عام ٢٤٢٠ قبل الميلاد حتى نهاية حكم الأسرة العاشرة في عام ٢١٠٠ قبل الميلاد[1] - ولذا فإنه يعتبر أول فيلسوف اجتماعي في تاريخ العالم، واعتنق فلسفته وآراءه العديد من الفلاسفة والحكماء مثل شوبنهاور وشيلي وتولستوي الذين يعتبرون من أعظم فلاسفة العصور الحديثة. ([2])

ومن استقراء فكر وآراء هذا الفيلسوف يتضح أنه قد قرر في منهجه الفلسفي بأن طبيعة جميع البشر مفطورة على الشر، وبالتالي فإنه يعتبر أول من أسس مذهب الفطرة الشريرة في تاريخ البشرية، ولا يوجد في المصادر والمراجع التاريخية أي إشارة أو معلومة مؤكدة تفيد بأن أحداً قد سبقه في هذا الرأي أو عبر عن ذلك الاتجاه من قبل سواء في

---

١ - د. محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - ١٩٧٠ - الطبعة الأولى - مكتبة القاهرة الحديثة - ص ١٢٣.

- د. صوفي حسن أبو طالب - مبادئ تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٧ - دار النهضة العربية بالقاهرة - ص ٤٢٢.

2- Andre Aymard et jeannine Auboyer – Histoire General Des civilisations – Tom 1 – L'orient – et la grece Antique - pairs – 1962 – p 50 .

مصر الفرعونية أو في أي مجتمع آخر من تلك المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى ضوء ذلك قد فسر هذا الفيلسوف ظاهرة الإجرام - بأن الدوافع المحركة لسلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساسي نابع من فطرته الشريرة وليس دون ذلك - وهذه الفطرة الشريرة يمكن ضبطها والتحكم فيها وتحجيم دوافعها بعوامل التهذيب والتربية الصالحة والقوانين الرادعة والحكم العادل حتى تسلك طريق الخير وتتجنب الرذائل وارتكاب الجرائم، لأنها لا تتفاعل وتحرك السلوك نحو أعمال الشر إلا في بيئة طبيعية واجتماعية فاسدة أو إذا حرمت من العوامل الخارجية الصالحة في المجتمع الذي يصاب بأمور الفوضى والانحلال.

وقد أطلق عليه الفيلسوف المتشائم بعد أن فضل الموت أو الانتحار عن الحياة داخل المجتمع الذي تنتشر فيه أمور الفوضى والفساد والانحلال والحكم الظالم، لأنه كان يعتقد أن هذه الأمور ستجعل الفطرة الشريرة تنتعش في كيان الناس وتدفع سلوكهم نحو أعمال الشر وتصبح حياتهم سوداء ومليئة بالظالمين والأشرار والسفاحين وأسوأ من حياة الجحيم، ولذلك قال عبارته المشهورة [من الأفضل أن تنتهي حياة البشر أما بالموت أو بالانتحار، ولا يكون هناك حمل ولا ولادة إذا لم يقدر للأرض (ويقصد بذلك المجتمع) أن تتوقف عن جلبتها وللصراع أن ينعدم (ويقصد بذلك أمور الفوضى والفساد والانحلال) .[١]

1- Andre Aymard et jeannine Auboyer – op . cit . p 51

- Henry . Thomas – the Great philosophers – op . cit – p . 9

وحيث أن في عصر هذا الفيلسوف كان المجتمع المصري مصاب بالفوضى والانحلال - فقد عبر عن ذلك بكلمات وعبارات أوضح فيها منهجه الفلسفي وما دمغ في اعتقاده عن الفطرة الشريرة وعن تفسير ظاهرة الإجرام ... لأنه قال [**إلى من أتحدث اليوم؟ الأخوة الأشرار الذين يخدع بعضهم بعضاً.. إلى من أتحدث اليوم؟ إلى أصحاب القلوب الجاشعة وكل امرئ منهم يغتال متاع جارة ... إلى من أتحدث اليوم؟ إلى الذين اختفى فيهم الرجل الشريف من الظهور بينما يعيش الباغي المتعجرف فائزاً مظفراً ... إلي من أتحدث اليوم بعد أن أصبح الوقت الذي يجب فيه أن يثير سلوك المرء سخطاً نراه يبعث السرور أيضاً، وفي الوقت الذي يستحق فيه السارق الجلد بالسوط، نراه يكافأ بالثروة والشهرة**] [1].

وأيضاً قد عبر عن فكرة الفلسفي بشجاعة ودون أن يخشى أو يهاب ما يمكن أن يتعرض له من ظلم وطغيان وذلك عندما واجه الملك واتهمه بأنه السبب في انتشار الفوضى والفساد في كافة أنحاء البلاد حيث قال له دون خوف أو وجل أو تردد [**أن ما تشهده البلاد الآن من تدهور وفساد هو من نتائج الاضطرابات التي زرعتها بيداك في طول البلاد وعرضها وسط السّجس والجلبة - ولذا ترى الناس يلجأون للعنف بعضهم ضد البعض الآخر**][2].

وإذا كان هذا الفيلسوف قد فسر ظاهرة الإجرام بأنها ترجع لانتعاش الفطرة الشريرة في البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة أو التي

1- Henry Thomas - The Great Phelosophers - Op. Cit - P 9 -11.
2 - Andre Aymard et Jeannine Avboyer - Op. Cit - p. 52 .

ينخر فيها الفوضى والانحلال والاستبداد والظلم - إلا أنه قد أوضح أيضاً من خلال الكلمات والعبارات السابق الإشارة إليها مدى العلاقة التي تربط مفهوم ظاهرة الإجرام بكل من القانون الجنائي ونظام العقاب والسياسة الجنائية وذلك للأسباب التالية.

* بعد أن اتهم الملك بأنه السبب في حالة التدهور التي تمر بها البلاد - فإنه يقصد من ذلك أن فساد حكم هذا الملك وعدم صلاحية القوانين الجنائية التي فرضها في ضبط سلوك أفراد الشعب قد أدى إلى انتشار الفوضى والانحلال في المجتمع المصري - وهذا في حد ذاته يعبر عن الصلة بين القانون الجنائي ومفهوم ظاهرة الإجرام ويؤكد مدى الإرتباط الدائم والوثيق بينهما في الفكر الإنساني القديم وإن كان أيبوور أول من عبر عن ذلك في مصر الفرعونية.

* بعد أن عدد أوجه الفساد الذي انتشر في المجتمع المصري القديم بكلمات وعبارات كان لها صدى هائل في عصره وفي كل العصور التي تلته حتى عصرنا الحاضر، وعبر عن مضمون أسباب هذه الأوجه الفاسدة. فإنه بذلك يكون قد عبر بوضوح عن مدى الترابط الوثيق بين ظاهرة الإجرام وبين نظام العقاب، على أساس أنه قد جعل السبب في انتشار أوجه الفساد التي سردها في عباراته يرجع إلى الانحلال أو الخلل الذي حدث في السياسة العقابية أو في نظام العقوبة خلال تلك الحقبة وجعلها عديمة الفاعلية بدلا من أن تكون النموذج الأصلي لرد الفعل الاجتماعي ضد الجريمة، ولعل آخر عباراته عندما قال [**في الوقت الذي يستحق فيه السارق والظالم والمستبد الجلد بالسوط نراه يكافأ**

بالثروة والشهرة] خير دليلا واضحا على ذلك ... وبالتالي ليس مفهوم علم الإجرام قد اكتشف حديثا، وليس العلاقة بينه وبين علم العقاب قد وضحت معالمها في القرن التاسع عشر الميلادي كما يقرر الفقه الجنائي الغربي وعلى الأخص الفقه الفرنسي والأمريكي[١]، وإنما لعلم الإجرام جذور أصولية قديمة وله ارتباط وثيق بعلم العقاب في الفكر الإنساني القديم.

* الهدف الذي دفع هذا الفيلسوف في كشف أوجه الفساد الذي استشرى في المجتمع المصري وأدى إلى انتشار الجرائم هو حس الملك والأجهزة التي تعاونه في إدارة شئون البلاد نحو ضرورة مواجهة هذا الفساد ، وإصلاح أوضاع المجتمع المصري بأفضل النظم والوسائل التي تحميه من الفوضى والانحلال وتضبط بفاعلية سلوك أفراد الشعب لمنع انتشار الجرائم - وحيث أن هذا الهدف قد تضمن معطيات ومتطلبات لتحديد معالم الطريق الصحيح لوقاية المجتمع من الجريمة فإنه بذلك ليس سوى ما يطلق عليه الآن مصطلح علم السياسة الجنائية الذي يبحث في تطوير القواعد الجنائية لتكون أكثر ملائمة للمتغيرات التي تصيب المجتمع لكي تحقق بفاعلية الدفاع الاجتماعي.

وبالتالي لا يمكن تصديق ما يقرره الفقه الجنائي الغربي بأن السياسة الجنائية علم جديد وظهر لأول مرة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي وأن الفقيه الألماني [فوير باخ] أول من استخدم مفهوم مصطلح السياسة الجنائية - بل الحقيقة أن هذا العلم له جذور عميقة في الماضي

---

١ - د. نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص٨٠.

البعيد وله ارتباط وثيق بمفهوم علم الإجرام في الفكر الإنساني القديم من أجل وضع صياغة مثلى للنصوص الوضعية التي تحمي المجتمع من الجريمة في ضوء المعطيات والمسلمات التي تكشف الأسباب والمتغيرات الخاصة بالظواهر الإجرامية(١).

وبذلك يعتبر الفيلسوف المصري [أبوور] هو أول من أسس مذهب الفطرة الشريرة، وأول من فسر ظاهرة الإجرام في ضوء مفهوم هذا المذهب الذي يقرر بأن طبيعة كل البشر قد فطرت على الشر،كما أنه أول من وضح مدى الصلة والارتباط الوثيق بين مفهوم علم الإجرام وبين مفاهيم كل من القانون الجنائي وعلم العقاب وعلم السياسة الجنائية في تاريخ البشرية ولا نقول ذلك تعصبا على أساس أنه فيلسوف مصري ظهر في العصر الفرعوني ويعتبر من عظماء أجدادنا في الفكر الإنساني القديم. وإنما نقول الحقيقة على ضوء ما هو مسجل عنه عالميا في المصادر والمراجع التاريخية من حيث الترتيب الزمني لظهوره(٢) وذلك رغم أن فكرة الفلسفي لم يكتشف بالكامل ليضيف لنا أيضا مناهج فلسفية أخرى تعبر عن مدى ثراء الحضارة المصرية القديمة في الفكر الأدبي والفلسفي وعن مدى الدعائم التي قدمتها مصر الفرعونية للحضارة العالمية في مجال الفكر الإنساني القديم .

---

١ - د. أحمد فتحي سرور - السياسة الجنائية - مجلة القانون والاقتصاد - العدد الأول - مارس ١٩٦٩ كلية الحقوق - جامعة القاهرة - ص ٣ وما بعدها.

- د. يسر أنور، والدكتورة آمال عثمان - أصول علمي الإجرام والعقاب - طبعة ١٩٧٠ - ص٥١ وما بعدها.

- د. محمد سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٧٧ - ص ٧٩.

2 - Henry Thomas - THE GREAT Philosopheos - Op. Cit - p 11.

شيون تسي

فيلسوف صيني ولد في عام ٣٠٥ قبل الميلاد بمملكة تشاو [ومكانها جنوب ولايتي خوبى وشانسى الحاليتين] أواخر حقبة الممالك المتحاربة وتوفى عام ٢٣٥ قبل الميلاد بمملكة [تشو] بعد أن بلغ من العمر سبعين عاما.

تلقى تعليمه في مملكة [تشي] وبعد أن وصل إلى مرحلة الشباب درس الأدب والفلسفة والحكمة، وعندما تعمق في هذه الدراسة وأصبح ذات اتجاه فكري متميز وذاع صيته، عينته مملكة [تشي] في منصب رفيع، إلا أنه نتيجة الخلاف الذي احتدم بينه وبين كبار رجال البلاط الملكي في الفكر والآراء اضطر إلى مغادرة مملكة [تشي] واتجه إلى مملكة [تشو] ليعيش فيها حيث عين قاضيا، ونتيجة أراءه وفكره الفلسفي الذي يتعارض مع بعض المدارس الفلسفية الأخرى عزل من منصبه ثم أعيد إليه بعد فترة - وفي أخريات أيامه كرس معظم وقته للتدريس حتى توفى في هذه المملكة ودفن فيها بعد أن أصبح صاحب اتجاه فكري متميز ومن ضمن أشهر فلاسفة الصين القديمة[١].

١- تاريخ الصين - الجزء الأول - سلسلة كتب سور الصين العظيم - اعداد مجموعة من أكبر المؤرخين في الصين - مجلة بناء الصين - بكين ١٩٨٦ - مترجم باللغة العربية - الطبعة الأولى - ص٢٨.

- حيان بوه تسان، شاوشيون تشنغ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - دار النشر باللغات الأجنبية - الطبعة الأولى ١٩٨٥ - مترجم باللغة العربية - بكين - الصين - ص ١٥ - ص ١٧.

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٢.

اعتقد [شيون تسي] في منهج فكرة الفلسفي بأن جميــع النــاس أشرار بفطرتهم أي أنهم ولدوا وطبيعتهم مفطورة على الشـــر، وقــرر [**بأن النفس البشرية أمارة بالسوء، وما تعملــه مــن خـير متكلـف مصطنع لأن ما في الإنسان من خير غير أصيل فيه بل اكتسبه فقــط من التربية الحسنة والنظم الصالحة التي يعيش في كنفها - لأنه قــد غرس في نفسه أو في طبيعته منذ مولده حسب الكسب، فــإذا كـانت أعماله تقوم على هذا الحب فإن هذا يؤدي إلــى انتشــار المنازعـات والسرقات كما أن إنكار الذات والاستسلام للغــير ليـس مــن طبيعـة الإنسان، بل أن من طبيعته التحاسد والتباغض، ولما كانت أعمال الناس لابد أن تتفق مع طباعهم فإنهم لا يصدر عنهم إلا العنــف والأذي ، ولا نــرى فيــها إخلاصــا أو وفــاء فــي أصــل طباعــهم.**][1]..

وعلى هذا الأساس يعتبر هذا الفيلسوف المؤسس الثاني لمذهب الفطــرة الشريرة بعد الفيلسوف المصري أبوور وذلك حســب ترتيـب تــاريخ ظهورهما الزمني وانتشار فكرهما الفلسفي في العالم القديم.

وفي ضوء ما اعتقده [شيون تسي] بأن الفطــرة الإنســانية قــد طبعت على الشر، وأن جميع البشر أشرار بطبعهم - قد قــام بتفسـير الظاهرة الإجرامية على نفس الاتجاه وعلى ذات النمـــط الــذي اتبعــه الفيلسوف المصري أبوور حيث أشار بأن الدوافع التي تحــرك سـلوكه الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساســي نــابع مــن فطرتــه الشريرة- فإذا أمكن تحجيم هذه الفطرة الشريرة وضبط غرائزها ومنــع

١- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - مرجع سابق - ص ٨٤، ص٨٥.

انفعالاتها ودوافعها من خلال عوامل التربية والتهذيب والنظم القانونية الصالحة يسلك الإنسان طريق الخير ويتجنب الرذائل ويبتعد عن ارتكاب الجرائم[١] وفي ذلك يقول ... بأن [السير وفق الطبيعة البشرية وإطاعة أحاسيسها يؤديان حتما إلى الخصام واللصوصية، وإلى مخالفة الواجبات التي تتفق مع الوضع الذي وجد فيه كل إنسان، وإلى الخلط بين كل المراتب والمميزات حتى تعم الهمجية ... ولهذا كان لابد من قيام سلطان المعلمين وسلطان الشرائع، والاهتداء بقواعد الاستقامة والاحتشام التي ينشأ عنها إنكار الذات والخضوع للغير ومراعاة قواعد السلوك المنظمة، مما يؤدي إلى قيام الدولة ذات الحكومة الصالحة... وقد أدرك الملوك الأقدمون الحكماء ما طبعت عليه النفس البشرية من شر، فوضعوا قواعد الاستقامة والآداب، وسنوا النظم والقوانين ليقوموا طبائع الناس ومشاعرهم و يصلحوهم ... حتى يسلكوا جميعا العمل الصالح الذي يتفق مع العقل][٢].

وأيضا تأكيدا لما اعتقده هذا الفيلسوف بأن الطبيعة الإنسانية مفطورة على الشر وما ذهب إليه في تفسير الظاهرة الإجرامية - قال عباراته المشهورة التي أثارت اهتمام المفكرين في العصور التي تلت عصره. وهي [الناس أشرار بطبعهم، فإذا دربوا على الخير، قد يصلحون، بل أن في وسعهم إذا أريد لهم ذلك أن يكونوا قديسين ... وإن الخير الذي في المجتمع هو حاصل القيود الاجتماعية ونتيجة كبح جماح فطرة الإنسان الغليظة وتوجيهها ... لأن الفطرة الإنسانية

---

(١) د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص١٢٣.

(٢) ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - مرجع سابق - ص٨٥.

شريرة بأصلها وأن ما في النفس البشرية من خير مــــردة ترويضـــها وكبح جماحها... و أن التعليم والتهذيب والنظـــم القانونيـــة الصالحـــة والعادلة هي الأدوات الوحيدة لكبح جماح الفطرة الإنســـانية الشـــريرة وتخليص حياة المجتمع من كل أفعالها ودوافعها الخطيرة التـــي ينتـــج عنها الفوضى والفساد والانحلال] (١).

ألف **[شيون تسي]** كتابا أطلق عليه اسمه، ويحتوي على اثنيـــن وثلاثين فصلا اتسم بالترابط والتناسق ... وقرر فيه أيضا بأن الطبيعـــة الإنسانية هي السبب في شرور المجتمع إذا لم يتـــم ترويضـــها وكبـــح جماحها بالتعليم والتهذيب والحكم الصالح بالقوانين العادلة والرادعة، لأن هذه العوامل تساعد بفاعلية على إنقاص الجرائم وزيادة الفضائل وتـــأخذ بيد الناس إلى المثل العليا وتمكنهم من إقامة الدولة الفاضلة المثاليـــة ... كما ناهض بشدة في كتابة الخرافات والسحر والشعوذة التـــي ســـيطرت على أذهان معاصريه وطالب بضرورة الاحتكام إلى العقـــل وحـــده - والاستناد إلى الأحكام التي تمليها طبيعة الكون مـــع ترويـــض الفطـــرة الشريرة وتحجيم دوافعها ليتجه الناس نحو الخير ويعيشـــوا فـــي بيئـــة طبيعية والاجتماعية صالحة ونقية(٢).

وكثيرا من الأدباء والمفكرين قد أشاروا بأن الفيلسوف الإنجليزي **توماس هوبز** [١٥٨٨م - ١٦٧٩م] الذي يعتـــبر مـــن أشـــهر فلاســـفة العصور الحديثة وأطلق على فلسفته بالمذهب الفوضوي { حيـــث كـــان

---

(١) د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ١٢٤.

(٢) ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - الشرق الأقصى - الصين - مرجع سابق - ص٨٥.

يرى أن نظام الطبيعة نظام حرب عام، والكل يحارب كلا ليبقى ، والحق للقوة } قد تأثر في منهجه الفلسفي وفي أبحاثه عن السياسة وعلم الأخلاق بفكر وآراء وفلسفة [شيون تسي] وذلك مثل ما تأثر كل من شوبنهاور وشيلي وتولستوي بفلسفة أبوور[١].

وحيث أن هذا الفيلسوف كان مقتنع تماما بقدرة القوانين على ترويض الفطرة الشريرة وتقييد دوافعها إلى جانب العوامل الأخرى المتمثلة في التهذيب والتربية الصالحة – فقد تتلمذ على يديه الفيلسوف الصيني [هان في تسي] زعيم المدرسة الشرائعية التي كانت تنادي فكرها الفلسفي بأن المجتمع لا يمكن أن ينصلح حاله ويعيش الناس في أمان واستقرار ويعرفوا المعنى الحقيقي للعدل إلا إذا تم تقوية حكم هذا المجتمع بالتشريع ولا سيما التشريع الجنائي الذي يجب إعلانه وتعميمه بين كافة أفراد المجتمع حتى يلتزموا به ويحرصوا على عدم مخالفة نصوصه حتى لا تطبق عليهم العقوبات المقررة لأحكامه – كما تتلمذ على يديه أيضا الكثير من أقطاب الفكر الصيني مثل [لي سسو] الذي كان من أنصار المدرسة الشرائعية ومن أشد المؤيدين لفكرها الفلسفي، وأنه بعد أن نجحت مملكة تشين في القضاء على الممالك الأخرى وتوحيد بلاد الصين وأنشأت أول إمبراطورية كبرى بها وهي إمبراطورية تشين في عام ٢٢١ قبل الميلاد – قد عين رئيس وزراء هذه الإمبراطورية وعاون بفكره وآراءه الإمبراطور الأول [تشن. شه. هوانغ. دي] في إدارة شئون الإمبراطورية حيث كان يثق فيه ومقتنع بفكر وفلسفة المدرسة الشرائعية وعلى الأخص فكر زعيمها الأول

1 - Henry Thomas - THE GREAT Philosophers - Op. Cit - p 48.

المتزمت والصعب المراس [هان في تسـي] - ولذلـك يقـول معظـم المؤرخين بأنه يمكن اعتبار الإجراءات السياسية والنظم القانونية التـي نفذت في إمبراطورية تشين [illegible]دها لبلاد الصين تطبيقـا صارمـا لآراء وفكر ومنهج المدرسة [illegible]ية[1].

وعلى هذا الأساس يتضح أن الفيلسـوف [شـيون تسـي] هـو المؤسس الثاني لمذهب الفطرة الشريرة - والرائد الثاني أيضا في تفسير الظاهرة الإجرامية في ضوء مفهوم ومنهج هذا المذهب ، وأن انتشـار آراءه وفكره الفلسفي في الصين ثم في المجتمعات الحضارية الأخـرى التي ظهرت في العصور القديمة مثل انتشـار آراء وفكـر الفيلسـوف المصري أبـوور من قبل يدل على أن الفكر الإنساني في العالم القديم كان يعلم تماما أثر الفطرة الشريرة في تفسير السلوك الإجرامي ومـدى تأثير عوامل التربية والتعليم والتهذيب والنظم القانونية الصالحـة فـي ترويض هذه الفطرة الشريرة وكبح جماحها لكي يتحول سـلوك النـاس نحـو الخـير والأعمـال الصالحـة.

١- تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٢٨، ص٢٩.

- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص١٢٢.

Avlotien - أفلوطين

فيلسوف روماني الأصل، ولد عام ٢٠٣ ميلادية في مصر في مدينة ليقوبوليس بالقرب بمدينة أسيوط، ولم نعرف جنسيته على وجه التحديد . سوي أنه ولد في مصر وتعلم الفلسفة الشرقية واليهودية والإغريقية في مدينة الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت مسرح رئيسي للفلسفة العالمية التي كانت عبارة عن مزيج من الفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية والفلسفة اليهودية التي أسسها الفيلسوف اليهودي **فيلون** في القرن الأول الميلادي ولذلك تعلم **أفلوطين** الأصول العامة للفلسفة وتعمق في أساسياتها ومبادئها وخاصة فلسفة المصريين القدماء مثل **بتاح حتب** وأبوور و**إخناتون** ، كما تتلمذ لمدة عشر سنوات على يد الفيلسوف لامونيوس الذي أنشأ مدرسة فلسفية بالإسكندرية بعد أن قرب بين فكر **أفلاطون وأرسطو** واصبح من ضمن المؤسسين **للأفلاطونية الحديثة**[١].

غادر الإسكندرية ليشترك في حملة الإمبراطور **غورديانوس** لبلاد فارس ، ومن أجل أن يعلم الكثير عن المذاهب الفلسفية الشرقية - إلا أن النهاية المشؤومة التي آلت بالجيش الروماني بعد هزيمته وسحقه من جيش الفرس، أجبرته على اللجوء إلى **انطاكية** ، إلا أنه بعد أن بلغ الأربعين من عمره رحل إلى **روما** حيث افتتح فيها مدرسة لتعليم أصول الفلسفة التي انتهجها ولاقت نجاحا كبيرا في الأوساط الثقافية الرومانية، واستمر على ذلك إلى أن توفى في عام ٢٦٩ م بعد أن بلغ من العمر

---

١ - د. زكي نجيب محمود ، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - الطبعة الثانية - ١٩٨١ - مكتبة النهضة المصرية - بالقاهرة - ص ٢٦٧.

ستة وستين عاما(١) – وقد قام أثناء حياته بإعداد مؤلفات عديدة نشرها تلميذه الفيلسوف [فورنوريوس] الذي أعد كتابا عن حياة أفلوطين وقد قسم [فورنوريوس] مؤلفات أفلوطين إلى ستة أقسام، وكل قسم منها تضمن تسعة كتب، ومن المصدر تسعة هذا كان عنوان مؤلفات أفلوطين الفلسفية [التاسوعات] – وكان اتجاهه الفلسفي فيها بأن الأشياء المادية ليست لها أية حقيقة في ذاتها، وإنما حقيقتها تأتيها من النفس التي هي غير جسمية والتي أساسها العقل، لأن العقل هو الفكر الأبدي الذي صنعه الخالق الأعظم وهو الله الذي أوجد كل شيء بقدرته وأسس وأنشأ كل كيانات عالم المثل بفيضه الذي لا ينفذ أبدا ما دامت الحياة الإنسانية مستمرة في هذا الكون – ولذلك كانت فكرة أفلوطين الفلسفية في الوجود تتكون من أربعة جواهر أولية مرتبة ترتيبا تنازليا تبدأ أولا من الله الواحد والخالق الأعظم ثم ثانيا العقل ثم ثالثا النفس ثم رابعا المادة – وبأنه إذا اتحدت هذه الجواهر الأربعة اتحادا وثيقا ومتماسكا كانت أقرب إلى الكمال والتوافق كما تكون في غايتها نحو اقتراب فعلي مع الواحد وهو الله الأعظم(٢).

اعتقد أفوطين في ضوء منهجه الفلسفي بأن الفطرة الإنسانية مطبوعة على الشر ولا تصير إلى الخير إلا بالتأديب والتهذيب والحكم

١- د. محمد بيصار – الفلسفة اليونانية – الطبعة الأولى – غير محدد سنة الطبع – جامعة السيد محمد بن علي السنوسي – ليبيا – ص١٥٣، ص١٥٤.

- د / نور الدين أشراقية – معركة الحياة – الثورة الفكرية العالمية – النضال الثوري من أجل الوحدة العالمية – الطبعة الأولى ١٩٧٢ – مطابع دار الكتب – بيروت – لبنان – ص ٢٣٩.

٢ – شارل فرنر – الفلسفة اليونانية – ترجمة تيسير شيخ الأرض – الطبعة الأولى عام ١٩٦٨ – دار الأنوار – بيروت – لبنان – ص ٢٣٤ وما بعدها.

الصالح المستند على القوانين والنظم العادلة[1] - وعلل ذلك بالقول بأن **[النفس ليست صورة للبدن كما يقول أرسطو ، ولا البدن يتضمن النفس، وإنما النفس هي التي تتضمن البدن، وهي حاضرة فيه مثل حضور الشمس في الهواء لأنها تحتويه وتنفذ إليه بقدرتها، ولكنها من ناحية أخرى تخلص بجزئها الأعلى الذي هو العقل من كل تماس بالبدن وتبقى متحدة بالعالم المعقول لكي يسلك الإنسان طريق الخير ويبتعد عن الشر والرذيلة وارتكاب الجرائم - لأن الشر مبدؤه في الجسد الذي يمثل صورة من صور المادة والخير مبدؤه في النفس التي تمثل حياة التأمل والخير ورؤية الأشياء المعقولة ولذلك فإن الطبيعة الشريرة للإنسان تحدث عند مولده عندما تمتزج النفس بالجسد لحظة خروجه للحياة، فلكي يصبح الإنسان خيرا عليه أن يحجم طبيعته الشريرة من خلال فصل بدنه انفصالا طبيعيا عن نفسه، وفصل النفس عن البدن لا يجب مطلقا أن يكون عن طريق القوة بأن يلجأ الإنسان إلى الانتحار ليخرجه نفسه عن بدنه لأن الانتحار عملا غير مشروع في كل العقائد والأديان - وإنما يكون عن تلقي العلم الوفير والحكمة الفاضلة والامتثال لعوامل التربية والتهذيب والخضوع للقوانين العادلة وإطاعتهاوعدم مخالفة أحكامها لتضبط سلوكه وتنظم علاقاته مع الآخرين وتوفر له العدل والأمان والاستقرار داخل المجتمع الذي يعيش فيه ...]** [2].

وعلى هذا الأساس يعتبر **أفلوطين** حسب الترتيب الزمني الفيلسوف الثالث **المؤسس لمذهب الفطرة الشريرة** بعد **أبوور وشيون**

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق ، وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع - الطبعة الثالثة - ١٩٧٢ - مكتبة الأنجلو المصرية - بالقاهرة - ص٢٠١.

٢ - الإمام/ نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٤، ص٢٣٨

- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٥٢ - ص٢٦١.

- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٦٨.

تسي – كما يعتبر أيضا ثالث فيلسوف قام بتفسير ظاهرة الإجرام في ضوء المنهج الفلسفي لمذهب الفطرة الشريرة، بعد أن علل بفكرة الفلسفي بأن الإنسان يصبح خيرا إذا أمكن ترويض وكبح جماح فطرته الشريرة، من خلال فصل نفسه عن جسده انفصالا طبيعيا بالعوامل الخارجية التي يكتسبها ويلتزم بها في حياته داخل المجتمع وهي التربية والتعليم والتهذيب والقوانين العادلة – أما إذا لم يتم ذلك وظلت النفس محصورة داخل الجسد فإن الإنسان يكون كأنه قد وقع داخل الوحل منذ مولده، فيرتكب الجرائم بدافع فطرته الشريرة التي تنتعش في كيانه من أثر التفاعلات التي تحدث من اتحاد نفسه مع بدنه.

أشار بعض المفكرين والأدباء في مؤلفاتهم وعلى الأخص الغربيين بأن **أفلوطين** هو أول فيلسوف في تاريخ الإنسانية قام بتأسيس **مذهب الفطرة الشريرة** في القرن الثالث الميلادي وتبعه في ذلك اليسوعيين الذي عاشوا في القرن السادس عشر(١) – وبالطبع فإن هذا الرأي غير صحيح لأن أصحابه لم يمدوا بصرهم عبر صفحات التاريخ ليكتشفوا الحقيقة بأن أول من قام بتأسيس هذا المذهب هو الفيلسوف المصري أبوور وتلاه بعد ذلك بمدة تزيد عن عشرين قرنا الفيلسوف الصيني **[شيون تسي]** كما أن **أفلوطين** لم يكن صاحب منهج فلسفي إلا بعد أن درس بعمق فلسفة المصريين القدماء وعلى رأسهم أبوور، ولذا يطلق عليه بعض الأدباء اسم **أفلوطين المصري** على أساس أنه قد ولد في مصر وتعلم منذ طفولته أساسيات الفلسفة على يد الكثير من الأساتذة

---

٢ – د. محمد بيصار – العقيدة والأخلاق – مرجع سابق – ص٢٠١.

المصريين في مدينة الإسكندرية التي كانت في ذلك الوقت منارة للعلم والثقافة والفلسفة في العالم القديم – وهذه الحقيقة قد أكدها جانب كبير من العلماء والمفكرين والأدباء الذين التزموا الأمانة والصدق في مؤلفاتهم حيث قرروا صراحة بأن **أفلوطين** قد أكمل فقط بعد **أبوورشيون تسي** بعض الاتجاهات الفلسفية لمذهب الفطرة الشريرة، إلى جانب مدخل فكره الفلسفي في تفسير ظاهرة الإجرام في ضوء الأساسيات التي يرتكز عليها هذا المذهب.

وتأكيدا لهذه الحقيقة أيضا أن مذهب الفطرة الشريرة قد تعرض كثيرا للنقد من جانب بعض الفلاسفة والمفكرين الذي ظهروا قبل أفلوطين في المجتمعات الحضارية القديمة مثل أنصار الفكر الفلسفي **لاخناتون** في مصر الفرعونية وأنصار الفلسفة الكونفوشيوسيه في الصين القديمة وأنصار الفلسفة البوذية في الهند القديمة وأنصار **سقراط وأفلاطون وأرسطو** في بلاد الإغريق[1] – واشتد هذا النقد كما هو ثابت في صفحات تاريخ الفكر الفلسفي خلال القرن الثاني الميلادي، وتولى زعامته الفيلسوف الروماني **جالينوس البرغامي** الذي كان في ذلك الوقت من أكبر المؤيدين لمذهب الفطرة المختلطة الذي سبق الإشارة إليه وسنتعرض له تفصيلا بعد ذلك، وكان هذا الفيلسوف يعمل طبيبا خاصا للإمبراطور الروماني **ماركوس أوريليوس** الذي ولد في عام ١٢١م وجلس على العرش في عام ١٦١م بعد أن أصبح من أكبر أنصار المدرسة الرواقية ومات في عام ١٨٠م – فكيف يقال بعد ذلك أن

---

١ – الإمام / نور الدين اشرافية – معركة الحياة – مرجع سابق – ص ٢٣٨.

– د. زكي نجيب محمود ، دأحمد أمين – قصة الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٢٦٩، ص٢٧٠.

أفلوطين الذي ولد في عام ٢٠٣م وانتشر فكره الفلسفي في القرن الثـالث الميلادي هو المؤسس الأول لمذهب الفطرة الشريرة.

والنقد الذي وجه لهذا المذهب كما سبق أن أشرنا وكان في بعض الأحيان يهز أركانه بين المذاهب الفلسفية الأخرى التي ظهرت في العالم القديم علي أساس أن بعض الناس قد طبعت فطرتهم علي الخير أو فيـهم ميل فطري للخير بجانب طبيعتهم الشريرة .

بالإضافة إلى ذلك فقد وجه أيضاً خلال العصور الوسطى نقـــداً شديداً لهذا المذهب واتجاهاته في تفسير ظاهرة الإجرام من جانب معظم علماء الإسلام على أساس أنه يخالف الأخـــلاق الإســـلامية، والطبيعـــة الإنسانية ذاتها لأن الإنسان لم يخلق ليشعل بطبيعته نار الحقد والكراهيـــة ولكي يعيش على الرذيلة أو الأخلاق القبيحة، بل خلق من أجل أن يعمر الأرض وينشر فيها السلام والمحبة والإخلاص، وأن من اسم الإنســـــان اشتقت كلمة الإنسانية، والإنسانية مضمونها الأخلاق الفاضلة - كمـــا أن الأخلاق الفاضلة تنمو معظمها من الداخل، ولا تنمو بأكملها عن طريـــق التعليم والتهذيب والتلقين لأنها اقتناع داخلي وارتباط وجداني فطـــري[1] وذلك تصديقاً لقوله تعالى **[لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ...]** [2]
* وسوف نوضح ذلك بالتفصيل في الباب الثاني عندما نعرض مفـــــهوم مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام .

---

١ - د. مصطفى محمود - الماركسية والإسلام - طبعة ١٩٨٣ - دار المعارف بالقاهرة - ص٨.

٢ - سورة التين - آية ٤.

وحيث أن مجال دراستنا يقتصر فقط على عرض أهـــم أســانيد الفكر الإنساني القديم الذي قام بتفسير ظاهرة الإجرام في ضوء فلســـفة مذهب الفطرة الشريرة فإننا سنكتفي بما عرضناه عن هــؤلاء الفلاســفة الثلاثة الذين أسسوا هذا المذهب وفسروا من خـــلال فكرهــم الفلســفي ظاهرة الإجرام - وذلك لأنهم قد برهنوا بصدق بـــأن تفســير ظـــاهرة الإجرام في ضوء فلسفة مذهب الفطرة الشريرة قد عرف بيــن شــعوب العالم القديم منذ ما يزيد عن ألفي سنة قبل الميلاد وليـــس مــن صنـــع العصور الحديثة أو على الأخص خلال القرنين الثامن عشـــر والتاســع عشر كما يدعي الفقه الجنائي الغربي - كما أن جميع العلماء والمؤرخين يعترفون تماما في مؤلفاتهم بأن هؤلاء الفلاسفة الثلاثة قد ظـــهروا فـــي العصور القديمة ويعتبروا من أعظم وأشهر فلاسفة العالم القديم(١).

---

3 - Henry Thomas - THE GREAT Philosopheros - Op. Cit - pp 61 ets.

الباب الثانـي

مفهوم مذهب الفطرة الخيرة
وتفسيره لظاهرة الإجـــــرام

[أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي]

تقديم :

ظهرت في معظم المجتمعات الحضارية القديمة آراء واتجاهات فكرية وفلسفية عديدة، كونت من تواترها أسس تفسيرية لنظريات علمية تنسب السلوك الإجرامي المرتكب عمدا وبإرادة حرة إلى دوافع أو مؤثرات فعالة مصدرها الأساسي نابع من عوامل خارجية بحتة تتمثل في البيئة الاجتماعية والطبيعية التي تحيط بالجاني ويعيش ويندمج فيها، وتؤثر على شخصيته وفكره، وتؤدي من خلال فسادها أو عدم التكيف معها إلى تحريك سلوكه نحو ارتكاب الجرائم أو أمور الشر عموما، أي تحفزه على اتخاذ سلوكا منحرفا ومضادا للمجتمع - وهذه النظريات تنكر تماما وجود أي علاقة بين دوافع الجريمة والعوامل الداخلية الخاصة بالشخصية الذاتية للجاني سواء كانت تتعلق بطبيعته التي فطر عليها عند ميلاده أو بتكوينه العضوي أو بتكوينه العقلي والنفسي، بادعاء أن هذه العوامل الداخلية خيرة وكامنة في ذات الإنسان وتؤدي بانتظام وظائفها الحسنة اللازمة لحياته دون خلل أو توتر، وبالتالي لا يمكن أن تؤثر عليه وتدفعه للانحراف ، أي ليست لديها أي دور على أحداث تفاعلات مؤثرة تولد

دوافـع إيجابيـة تحـرك سـلوكه نحـو ارتكـاب الجرائـم أو أعمال الشـر عمومـاً[١].

وجميـع أصحـاب هـذه الآراء والاتجاهـات هـم الفلاسـفة الأوائـل الذيـن ظـهروا فـي شـرق وغـرب العـالم القديـم وأسسـوا مذهـب الفطـرة الإنسـانية الخـيرة الـذي يقـرر بـأن طبيعة جميـع البشـر مفطـورة علـى الخـير، وأن الشـر يرجـع إلى عوامل أخرى خارجية وبعيـدة تمامـاً عـن أصـل الفطـرة.

ولكـي نوضـح مفـهوم هـذا المذهـب وتفسـير المؤسسـين لـه لظـاهرة الإجـرام سـنعرض دراسـتنا فـي هـذا البـاب علـى النحو الآتـي:

الفصـل الأول : سـنوضح فيـه أهـم العوامـل الخارجيـة التـي تحرك سلوك الإنسـان نحـو ارتكـاب الجرائـم ثـم نعـرض أهـم الأسس التـي يسـتند عليـها مذهـب الفطـرة الخـيرة فـي تفسـير ظاهرة الإجـرام.

الفصـل الثـاني: سـنبين فيـه أهـم فلاسـفة العـالم القديـم الذيـن أسسوا مذهب الفطـرة الخـيرة وفسـروا فـي ضـوء مفـاهيم هـذا المذهـب ظـاهرة الإجـرام وأسـندوا دوافعـها إلـى عوامـل خارجيـة بحتـة – وذلـك لكـي نثبـت مـن خلالـهم وجـود تفسـيرات فـي العصـور القديمـة عـن أثـر العوامـل الخارجيـة في السـلوك الإجرامـي.

---

1 - Max Scheler - Man's place in Nature - New York - Manday press - 1928 - pp 17 - 21.

الفصل الأول

أهم العوامل والأسس التي يستندعليها مذهب الفطرة الخيرة في تفسير السلـــوك الإجرامي

تقديـــم :

ســنوضح فــي هــذا الفصــل أهــم العوامـــل الخارجيـــة التــي تدفــع أو تحــرك ســلوك الإنســان نحــو ارتكــاب الجرائـــم أو الشر، وتحوله مـــن إنســان خــير بطبعــه إلــى إنســان مجــرم أو شرير – ثـــم نعــرض بعــد ذلــك أهــم الأســس التـــي يرتكــز عليــها مذهــب الفطــرة الإنســانية الخــيرة فــي تفســير ظـــاهرة الإجــرام وإســنادها إلــى عوامــل خارجيــة بحتــة وبعيــدة تمامـــاً عن أصـــل الفطــرة الخــيرة. ولكـــي نوضــح دراســتنا فـــي هــذا الفصل سنطرحها في تسلســـل موضوعــي علــى النحــو الآتـــي:

مبحث أول: أهم العوامل الخارجية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقـــاً مفهوم مذهب الفطرة الخيرة.

مبحث ثاني : أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخــيرة فـــي تفسير ظاهرة الإجرام.

المبحث الأول

أهم العوامل الخارجية المؤثرة في السلوك الإجرامي طبقاً مفهوم مذهب الفطرة الخيرة

فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة، وعبروا بعمق أفكارهم عن الآراء والاتجاهات التي تبلورت في شكل نظريات علمية تستند في تفسيرها ظاهرة الإجرام إلى عوامل خارجية، قد قسموا هذه العوامل التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم وكافة أعمال الشر إلى خمسة أنواع، وكل نوع عبارة عن تصنيف يضم بداخله بعض العوامل الخارجية التي لا تتشابه مع العوامل الموجودة في تصنيف الأنواع الأخرى[1] - وذلك بعد أن أيد نظريات العوامل الخارجية ودافع عنها واعتنق مبادئها الكثير من الفقهاء والحكماء والمشرعين القدماء، وانتشرت أفكارها بين معظم الشعوب في شرق وغرب العالم القديم إلى جانب استناد بعض الحكومات القديمة على نتائجها في سياسة التجريم والعقاب[2] وهذا التقسيم النوعي يتلخص في الآتي:-

---

1 - J. C. Flugel - Man. Morals and society - Op - Cit pp 91 ets.

١ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٨٥.

النوع الأول: وهو خاص بالعوامل الاجتماعية التي يطلق عليها البيئة الاجتماعية المحيطة بالجاني، مثل المكان الذي ولد فيه والأسرة التي تربى في داخل أحضانها، والوسط الاجتماعي الذي يختلط به ويعيش معه سواء في المدرسة التي يتعلم فيها أو في المنطقة التي يقطن فيها أو في الجهة التي يعمل فيها ليكسب قوته أو في الدروب والحانات التي يلهو ويسهر فيها أو في النوادي والساحات الرياضية التي يتدرب فيها ليقوي بنيان جسده[1]... الخ ... فإذا فسدت هذه العوامل كلها أو بعضها أصبحت البيئة الاجتماعية غير صالحة ومرتعا خصبا للإجرام أو للشر عموما فتحرك سلوك البعض نحو الانحراف وارتكاب الجرائم أي توجه إردات بعض الأفراد نحو صور متنوعة من السلوك الإجرامي مثل السرقة والنصب والدعارة والاغتصاب والسطو المسلح والقتل ... الخ[٢].

النوع الثاني: خاص بالعوامل الطبيعية التي يعيش فيها الجاني ويطلق عليها البيئة الجغرافية مثل حالة المناخ أو الطقس الذي قد يكون

---

1 - Elizabeth Bott - Family and Social Network - London - 1957 - pp31 - 42.

٢ - د. أحمد خليفة - النظرية العامة للتحريم - دراسة في فلسفة القانون الجنائي - القاهرة ١٩٥٩ - ص ١٩ وما بعدها.

- E. Durkheim - Leducation morale - Paris - 1925 - pp 112 ets.
- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ١١٧ وما بعدها.
- راجا هويتشنج [فيلسوف هندي] - السلام العظيم - نيويورك ١٩٥٣ - ترجمة وديع سعيد - القاهرة ١٩٧٣ - دار الفكر العربي - ص٩.
- د. محمود عز العرب السقا - أضواء على فلسفة العقوبة العظمي - عقوبة الإعدام - طبعة نوفمبر ١٩٩٧ - كلية حقوق جامعة القاهرة - ص ٤٧.

حار جداً أو شديد البرودة أو غزير الأمطار، وحالة المنطقة التي قد تكون زراعية أو صحراوية جدباء، وحالة الموقع الذي قد يكون جبلي أو من قبيل الوديان والسهول - وذلك لأن حياة الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم وسلوكهم تختلف من بيئة جغرافية لأخرى، فمثلاً الذين يعيشون في المناطق الحارة ترتفع عندهم جرائم الاعتداء علي الأشخاص - والذين يعيشون في المناطق الباردة ترتفع عندهم جرائم الاعتداء على الأموال كالسرقة والنصب ، والذين يعيشون في المناطق الزراعية ومصدر رزقهم قائم على الزراعة وحصد المحاصيل نسبة الإجرام عندهم قليلة جداً، أما الذين يعيشون في المناطق الصحراوية فنسبة الإجرام عندهم مرتفعة جداً لأن مصدر رزقهم ضئيل فيضطروا إلى ارتكاب عمليات السلب والنهب ولذا كان يطلق عليهم في العصور القديمة بالبرابرة أو بالقبائل الهمجية التي تسكن في الصحراء وتعيش على سلب ونهب خيرات المدن المتحضرة، وأيضاً الذين يعيشون في المواقع الجبلية يكونوا في تعاملهم أكثر عنفاً من الذين يعيشون في السهول والوديان[(١)] - وقد عبر الفيلسوف الفرنسي منتسكيو عن ذلك بالقول [أن البيئة الجغرافية لها تأثير هام وفعال على الأخلاق والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع][(٢)].

١- د. أحمد كمال، د. كرم حبيب - علم الاجتماع الحضري - طبعة ١٩٧٣ - القاهرة - دار الجيل للطباعة - ص ١٥٦ وما بعدها.

٢ - د. حسن شحاته سعفان - مونتسكيو - غير محدد سنة النشر - دار النهضة المصرية - ص ١٢٦.

<u>النوع الثالث</u> : يتعلق بالعوامل الاقتصادية التي تخص الجاني في معيشته فقد يكون ثري أو ميسور الحال أو فقير، كما تخص أيضا مدى قدرته على تحقيق الكسب من العمل الشريف - وحيث أن معظم المجتمعات القديمة كانت قائمة على النظام الطبقي الذي كان يستند أساسا على حالة الثراء والفقر بين الأفراد، فكان دائما ينظر إلى أفراد طبقة العامة بأنهم أكثر إجراما من أفراد طبقة الأشراف، وإلى أفراد طبقة العبيد بأنهم أكثر إجراما من أفراد طبقة العامة ومن كل أفراد الطبقات الأخرى على أساس أنه كان ينظر إليهم على أنهم يمثلون أفقر وأحقر أفراد المجتمع .. وبالتالي كان يسود بين المجتمعات القديمة اتجاها يربط بين الجريمة وحالة الفقر(١).

ولكي يتم تحجيم هذا الارتباط ومنع تزايد تفاعلاته حتى لا تشكل خطورة على المجتمع كانت السلطة الحاكمة في معظم مجتمعات العالم القديم تضع قوانين تنص فيها على ضرورة أن يقوم كل فرد من أفراد الشعب وعلى الأخص أفراد الطبقة العامة بتقديم بيان كل سنة لحاكم الإقليم الذي يتبعه يوضح فيه مورد رزقه، فإذا تجاهل ذلك أو أهمل في تقديم هذا البيان ولم يثبت بوضوح وإتقان بأن له مورد رزق حلال كان يعاقب بالإعدام - وذلك مثل ما نص عليه صراحة في قانون أمازيس الذي جلس على عرش مصر وأصبح ملكا وهو من عامة الشعب في عام ٥٦٨

1 - J. C. Flugal - Man Moral and Society - Op. Cit - p 155.

قبل الميلاد[1]، وقوانين العصر الإمبراطوري في الصين القديمة الذي شمل إمبراطورية تشين وإمبراطورية هان الغربية والشرقية وامتد من عام ٢٢١ قبل الميلاد حتى عام ٢٢٠ ميلادية[2] وكان الهدف من هذه القوانين هو الحد من حالات الفقر بحس كل إنسان على الالتحاق بعمل حتي يكون له مورد رزق شريف ، وكشف كل من يحاول أن يتكسب من السرقة أو من السلب والنهب أو من أي عمل غير شريف لكي يتم ضبطه ومعاقبته وحماية المجتمع من خطورة أفعاله الإجرامية .

النوع الرابع: خاص بعوامل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلى جانب العادات والتقاليد الحسنة والمتوارثة في المجتمع – فإذا كانت هذه العوامل صالحة انخفض معدل الإجرام في المجتمع أما إذا كانت فاسدة وانتشر الجهل والانحلال والعادات السيئة بين الأفراد ارتفع معدل الإجرام في المجتمع – وذلك لأن الإنسان لا يمكن أن يبتعد تماما عن الحقد والكراهية وكل عوامل الشر والرذيلة، ويقاوم المؤثرات الخارجية التي يتعرض لها من إغراءات وملذات إلا من خلال تهذيبه وتربيته تربية صالحة مع إعطائه قدر كافي

---
2 - J. H. Breasted - A History of Egypt - Part 2 - London - 1948 - p 591.
3 - R. Grousset. La chine et son art - Paris - 1951 - p 71.
- ول ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – مرجع سابق – ص ٩٦ وما بعدها.

من التعليم والتلقين حتى يصبح ملما بأمور العلم والمعرفة ، وكثيرا من الفلاسفة القدامى قد عبروا عن ذلك وأكدوا في منهجهم الفلسفي [كما سنرى فيما بعد] بأن انتشار العلم والمعرفة بين أفراد الشعب يساعد بقدر كبير على خفض نسبة الجرائم وكل أعمال الشر – وخير تعبير عن ذلك ما قاله ارسطو [**يمكن العفو عن جميع الخطايا التي يرتكبها الإنسان جاهلا أنه يرتكبها، بل حتى التي يأتيها بناء على جهل**][1] – **وما عبر عنه أفلاطون – بأن [الجهل من أخطر أعداء الإنسانية ومن أكبر العوامل التي تؤدي إلى ارتكاب الشر، أما العلم والمعرفة فهو الطريق الواضح إلى النور حيث يحول النفس من الظلمة إلى النور والارتقاء نحو الحقيقة وعمل الخير]**[2] – ولذلك لا يمكن أن يصل الإنسان إلى الرضا والسعادة ويبتعد عن كل عوامل الشر إلا إذا اعتنى بالمعرفة الدقيقة والعلم الوافي بأمور الحياة[3].

---

١ – ارسطو طاليس – علم الأخلاق إلى نيقوماخوس – الجزء الثاني – ترجمة من اليونانية إلى الفرنسية بارتملي سانتهلير أستاذ الفلسفة اليونانية في الكولج دي فرانس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا – ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد – طبعة ١٩٢٤ – القاهرة – دار الكتب المصرية – ص ٩٧ وما بعدها.

٢ – أفلاطون – الجمهورية [جمهورية أفلاطون] – الكتاب الرابع – مرجع سابق – ص ٢٥٧.

– د . محمود عز العرب السقا – أضواء علي فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) – مرجع سابق –ص٦١ وما بعدها .

٣ – د. عبدالرحمن بدوي – الأخلاق النظرية – مرجع سابق – ص ١٦٢ – ص ١٦٤.

النوع الخامس: ويتعلق بالعوامل الخاصة بظروف وأوضاع المجتمع السياسية التي تؤثر على حياة الشعب مثل نظام الحكم الظالم أو المستبد الذي يرهق الشعب ويدفع بعض أفراده إلى ارتكاب بعض أعمال التخريب والاغتيالات انتقاما من طغيان الحاكم - وحالة الحرب وما قد يترتب عليها من آثار هامة وخطيرة داخل كيان الشعب بسبب الهزيمة أو الانتصار - وحالات الثورات والانتفاضات التي تندلع بقوة من أفراد الشعب ضد السلطة الحاكمة وما قد يترتب عليها من فوضى وأعمال قمع سواء نجحت في قلب نظام الحكم أو فشلت وأعدم زعمائها - والتاريخ القديم مدون به أحداث عديدة عن أثر ظروف المجتمع السياسية في ظاهرة الإجرام بأنه في حالة تدهور الأوضاع السياسية ترتفع معدلات الجريمة والعكس صحيح وذلك مثل ما حدث في مصر الفرعونية خلال الفترة التي أعقبت حكم الأسرة الخامسة حتى حكم الأسرة العاشرة [٢٤٢٠ - ٢١٠٠ ق.م] حيث تفككت فيها وحدة البلاد وانتشرت الفوضى وأمور الفساد في كافة أرجاء المجتمع المصري مما أدى إلى ارتفاع

- Jank Elevitch : Traite des vertus - Paris - 1970 - U.N. Uneiversity - Tokoy - pp 317 ets.

معدلات الجريمـــة بيــن أفــراد الشــعب[١] - وأيضــا مثــل مــا حــدث فــي عصــر الممــالك المتحاربــة فــي الصيــن القديمـــــة وعلـــــى الأخــــص خــــلال الفـــترة [٤٨١ - ٢٢١ ق.م] حيــث تمزقــت فيــها تمامــا وحــــدة الصيــن وانتشــرت فــي كــل أرجائــها الفوضــى والدمــار والفســاد بســبب الحــروب الطاحنــة التــي دارت رحاهـــا بصفــة مســتمرة بيــن الممــالك الصينيــة المنفصلــة ممــا أدى إلــى ارتفــاع معــدلات الجريمــة بيــن أفــراد الشــعب الصيني الـــذي هلــك مــن أثــر هــذه الحــروب[٢] - ومــا حدث أثنــاء الثــورة الشــعبية التــي اندلعــت داخــل الدولــة الفارســية فــي عــهد الملــك [ارتحشــتا الثــالث] أوائـــل القــرن الرابــع قبــل الميــلاد وأطلـــق عليـــها [ثـــورة المرازبــة الكــبرى] حيـــث ارتفعـــت فيـــها معـــدلات الجريمــة نتيجــة الفوضــى التــي عمــت معظــم أرجــــاء الإمبراطورية الفارســية مــن أثــر هــذه الثــورة التــي لــم تخمد إلى بصعوبـــة بالغـــة[٣] - ومـــا حـــدث مـــن فوضـــى وانحلال في بـــلاد الإغريـــق مـــن أثـــر الحـــروب الشرســـة التـــي دارت بيـــن أثينـــا وأســـبارطة وارتفعـــت فيـــها معـــدلات الجريمـــة وعلـــى الأخـــص بعـــد فشـــل معـــاهدة

---

١ - د. محمود السقا - تاريخ النظم القانونية والاجتماعية - مرجع سابق - ص ١٢٣.

٢ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ١٧ وما بعدها.

3- Andre aymard . et jeannine Auboyer – op . cit – p 22

نيكياس عام ٤٢١ قبل الميلاد وهزيمة أثينا من أسبارطة[١] - وما حدث في روما من فوضى وفساد عندما ثار الشعب على الملك **طاركوين الثاني** وقتله بسبب تعسفه واستبداده في عام ٥٠٩ قبل الميلاد[٢]- والأمثلة التي تؤكد بأن اضطراب الأوضاع السياسية في المجتمع تؤدي إلى ارتفاع معدلات الجريمة كثيرة جدا وحدثت في معظم المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم.

وعلى أساس هذا التقسيم النوعي للعوامل الخارجية قرر أنصار هذه النظريات عند تفسيرهم لظاهرة الإجرام بأن أي عامل خارجي من العوامل المدرجة في هذا التصنيف الخماسي يصلح بمفرده أن يكون الدافع أو المحرك الأساسي لسلوك أي إنسان نحو ارتكاب أي جريمة معينة مادام أن هذا العامل الخارجي يحيط بالإنسان ويؤثر على فكرة وشخصيته.

1 - M. Groiset - La civilisation de la Grece antique - Paris - 1932 - p. 9.

٢ - د. عمر ممدوح مصطفى - القانون الروماني - الطبعة الخامسة ١٩٦٥/١٩٦٦ - دار المعارف بالقاهرة - ص٢٤.

والعوامل الخارجية التي عرفت في مجتمعات العالم القديم . وأصبحت في حكم نظريات علمية في تفسير الظاهرة الإجرامية - هي تقريبا نفس العوامل الخارجية السائدة في عالم اليوم في تفسير السلوك الإجرامي عند أصحاب النظريات الحديثة - ولذلك لا يعتبر كل من إميل دوركهايم [Emile Durkheim] العالم الاجتماعي الفرنسي المعروف [١٨٥٨ - ١٩١٧م] - وجابريل تارد [Gabriel Tarde] العالم الاجتماعي الفرنسي المشهور [١٨٤٣ - ١٩٠٤م] - ووليام ادريان بونجر [William Adrian Bonger] العالم الاجتماعي الهولندي - وثورستن سيللين [Thorsten Sellin] عالم الاجتماع الأمريكي وغيرهم من الذين ظهروا في القرنين التاسع عشر والعشرين هم أول من أسسوا نظريات تسند السلوك الإجرامي إلى العوامل الخارجية المحيطة بالجاني[1]، وإنما تأسست هذه النظريات وتأصلت جذورها الفكرية في العصور القديمة.

---

١ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ١٠٠ وما بعدها.

المبحث الثاني

أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخيرة في تفسير ظاهرة الإجرام

جميع الفلاسفة القدماء الذين أسسوا مذهب الفطرة الخيرة قد اعتقدوا تماما بأن كل البشر طبيعتهم الإنسانية قد فطرت على الخير منذ مولدهم وخروجهم إلى الحياة - وأن الطبيعة الخيرة لأي إنسان لا تتحول إلى الشر إلا بعوامل خارجية طارئة عن أصل فطرته مثل الاختلاط مع المجرمين أو الأشرار أو التأثر بنوع من التربية الفاسدة او البيئة الغير صالحة أو غير ذلك من العوامل الخارجية العديدة التي قد تدفعه أو تغريه للوقوع تحت ربقه الانحراف وسلطان النزوات والشهوات.

ورغم أن هذا المذهب قد تعرض أيضا مثل مذهب الفطرة الشريرة للنقد شديد من جانب بعض الفلاسفة والعلماء القدامى وعلى رأسهم الفيلسوف الروماني **جالينوس** الذي كان يعمل طبيبا خاصا

للإمبراطور الروماني ماركيوس أوريليوس - على أساس أن مفاهيم هذا المذهب يترتب عليها مخالفات كثيرة للمألوفات العادية والمسلمات العقلية، لأنه إذا كان جميع البشر قد طبعت فطرتهم على الخير، وانتقل بعضهم إلى الشر بالتعليم، فمن الذي علمهم؟ فإن كان غيرهم فلابد أن يكون شريرا بطبعه، وبالتالي لا يمكن أن يكون كل البشر أخيارا بالطبع - ومن ناحية أخرى إذا كان بعض الناس قد تعلموا الشر من أنفسهم فإن معنى ذلك أما أن يكونوا أشرارا بالطبع إذا كان فيهم ميل للشر فقط وأما أن تكون طبيعتهم قد توسطت بين الخير والشر إذا كان فيهم ميل للشر إلى جانب الخير وفي الحالتين لا تكون طبيعتهم قد فطرت بالكامل على الخير(١).

إلا أن هذا النقد لم يستطع أن يهدم أساسيات هذا المذهب الذي انتشر مفهومه في معظم مجتمعات العالم القديم بعد أن تأصلت جذوره بفكر وآراء فلاسفة الأخلاق والتوحيد الذين يعتبرون من أعظم فلاسفة العصور القديمة مثل اخناتون وبوذا وكونفوشيوس

---

١ - د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص٢٠٠، ص٢٠١.

وزرادشت وسقراط ... والتي أهمها يتلخص في الآتي:

١- أن مفهوم الوحدة الإنسانية لجميع البشر الذي نادى به فلاسفة هذا المذهب على مر العصور القديمة يتفق مع مفهوم الطبيعة المتحدة لكل البشر في مذهب الفطرة الخيرة، لأن الوحدة الإنسانية في اعتقاد هؤلاء الفلاسفة كانت تعني أن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية واحدة.

٢- مفهوم الإنسانية روح واحدة وجسدا واحدا في فكر هؤلاء الفلاسفة يعني تحديداً أن كل البشر متساوون في الحقوق والواجبات وفي كل شيء في هذا العالم الحي باعتبار أن طبيعتهم الإنسانية واحدة.

٣- مبدأ الأخوة الإنسانية الذي اعتقده هؤلاء الفلاسفة في منحاهم الفكري يعني أن طبيعة كل البشر مفطورة على الخير - لأن الأخوة في الفكر الفلسفي القديم كانت تتضمن المحبة والإخلاص والترابط والتضامن الوثيق، وكل هذه الصفات تحوي في كيانها الخير ذاته وليس دون ذلك، فكون الإنسانية قد وجدت في هذا

الكون على مبدأ الأخوة يعني أنها قد تأسست طبيعتها على الخير.

٤- فكرة ضم الإنسانية كلها في وفاق مع الله التي شغلت فكر هؤلاء الفلاسفة لوضع ملامح الطريق الصحيح للحياة البشرية ... يعني أنه يجب على جميع البشر سلوك طريق الخير الذي فطروا عليه من خلال الوفاق مع الله الخالق الأعظم - لأن الوفاق مع الله الخالق الأعظم يقوي طبيعتهم الخيرة، ويبعدهم عن الانحراف والفساد، ويجعل أرادتهم قوية دائما مع الحق ولا تنزلق أبدا نحو النزوات والشهوات والإجرام أو كل أمور الشر عموما[١].

••• ومن خلال تلك المفاهيم قد قام الفلاسفة الأوائل الذين أسسوا هذا المذهب بتفسير الظاهرة الإجرامية أو ظاهرة السلوك الإجرامي تفسير فلسفيا يتلخص في الآتي :-

١- الطبيعة الخيرة التي فطر عليها جميع البشر عند ميلادهم، نقية تماما ولا يوجد بها أي أثر للشر - أي

1- Henry Thomas - THE great Philosophers - Op - Cit - pp 413 - 419

- رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٧ وما بعدها.

- Boel Rekrar - Readings in Existential Phenomenology - ed - Laurence and D'O'connor - New York - 1967 - p 390.

أن طبيعة كل إنسان عند مولده مليئة بالخير وصافية تماما من كل عوامل الشر.

٢- الطبيعة الخيرة التي ولد بها كل البشر - ليست صلدة، ولا تملك القوة بمفردها على أن تظل صافية وتجعل الإنسان يعيش طوال حياته خيرا بالطبع، وإنما لابد أن تساندها عوامل أخرى خارجية مثل التربية الحسنة والتعليم النافع والتهذيب الصالح والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية والوفاق الدائم مع الله الخالق الأعظم لهذا الكون وما فيه - وذلك لكي يتم صيانتها ويمنع تعكرها بعوامل الشر سواء كانت هذه العوامل بعيدة أو قريبة من محيط حياة الإنسان في المجتمع الذي يعيش فيه .

٣- الدوافع الأساسية التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدرها نابع فقط من العوامل الخارجية الفاسدة - وأن هذه العوامل لديها من القدرة في حالة عدم التصدي لفسادها أن تؤثر على الطبيعة الخيرة لأي إنسان وتحوله إلى مجرم أو شرير.

٤- الإنسان الذي تعكرت طبيعته الخيرة وأصبح مجرم أو شرير - من الممكن علاجه وإصلاح طبيعته

وجعلها تعود إلى أصلها صافية ومليئة بالخير، إذا أمكن إزالة العوامل الخارجية الفاسدة من حوله واستبدالها بعوامل أخرى صالحة تهديه إلى الحق وحسن الصواب.

٥ - البيئة الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بالإنسان أقوى من طبيعته الخيرة لأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها فإذا كانت فاسدة حولته إلى مجرم أو شرير وإذا كانت صالحة جعلته يستطيع أن يحافظ ويصون ويصقل طبيعته الخيرة ويعيش طوال حياته إنسانا تقيا وعفيفا وصالحا.

٦ - إذا استطاعت العوامل الخارجية الفاسدة أن تؤثر بفاعلية في الطبيعة الخيرة لشعب ما وجعلت عدد المجرمين فيه يزيد عن عدد الأخيار كتب على هذا الشعب الدمار والفناء، لأنه لا حياة لشعب في مجتمع تغلبت فيه الجرائم والانحراف والفساد وكل عوامل الشر على الرحمة والفضيلة والحق والعدل وكل أمور الخير - وقد عبرت عن ذلك صراحة الفلسفة الكونفوشيوسية بالقول **إذا فسدت الأخلاق فسدت الأمة معها**، ويحتمل أن يكون شاعر النيل المصري **أحمد شوقي** قد تأثر بهذه الحكمة ودفعته ليقول أجمل وأروع

أبيات شعره وهو [وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا] - كما عبرت عن ذلك أيضا الفلسفة البوذية والزرادشتية والسقراطية والرواقية[١]

٧ - الاستقامة والسلوك السليم هو الأساس في طبيعة الإنسان لأنه مفطور على الخير - والانحراف أو الجنوح نحو ارتكاب الجرائم أو الشر عموما شاذ عن أصل طبيعة الإنسان، لذا فإن الانحراف أو الإنعواج في السلوك لا يحدث إلا عندما يتأثر الإنسان أثناء حياته بالعوامل الخارجية الفاسدة التي تطفح من البيئة الاجتماعية والطبيعية الغير صالحة التي تحيط به ويندمج في معيشته معها.

٨ - الأصل أن ضمير جميع البشر سليم تماما من أي أمراض لأنه يتوافق في حركته السوية مع أصل طبيعتهم الخيرة التي فطروا عليها ولذا فإن الأفراد الذين يتحولون إلى مجرمين أو أشرار نتيجة تأثرهم

---

١ - ول ديورانت - قصة الحضارة الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٦٢ وما بعدها.

- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٢٦ وما بعدها.

- مذكرات د. أحمد جاد المولى عن مفهوم الخير - طبعة ١٩٥٦ - ص ٥ وما بعدها.

- Boulger D.C. - History of China - London - 1952 - pp 60 - 70 .
- Wilhelm R- short History of chinese civilization - Paris - 1955 - pp 50 - 62.
- Henry Thomas - The Great Philosophers - Op Cit - pp. 18 ets.
- M. Granet . Chinese Civilization - New York - 1930 - pp 63 - 69.

بالعوامل الخارجية الفاسدة تظل ضمائرهم في بداية هذا التحول سليمة لأنهم يشعرون بالندم والألم من نتيجة أفعالهم - أما إذا استمروا في ارتكاب الجرائم دون أي مقاومة أو ردع يرهبهم ويوقف أعمالهم الدنيئة أي تمكن الإجرام منهم وأصبح في حكم المألوف لهم ارتكابه دون خوف أو رهبة فإن ضمائرهم في هذه الحالة تتأثر وتصاب بمرض عدم الإحساس بالمسئولية وعلى أثر ذلك لا يشعرون في معظم جرائمهم بأي ندم أو أي ألم من النتائج السيئة التي تحدث من جرائمهم.

وهذا المرض يمكن الشفاء منه بسهولة تامة من خلال التخلص من العوامل الخارجية الفاسدة التي تسببت في عوج السلوك وغرس عوامل أخرى صالحة بدلا منها تنعش الفطرة الخيرة من غفوتها وتدعمها وتصقلها بكل أمور الخير التي تصونها من براثن الشر [١] . ولكن إذا اشتدت حدة هذا المرض في المجرمين الذين يرتكبون جرائم الاعتداء على الأشخاص وكان يطلق عليهم قديما أعداء البشر

---

١ - د. محمود عز العرب السقا - أضواء على فلسفة العقوبة العظمى (عقوبة الإعدام) مرجع سابق - ص٤٩

[والطب النفسي الحديث يطلق عليهم مرضي السادية] فإن العلاج هنا لا يكون صعب مثل ما يعتقده أنصار مذهب الفطرة الشريرة وإنما يحتاج أمام خطورة هذا المرض إلى جهود إصلاح مكثفة ومستمرة حتى يشفى منه المجرم ويعود إلى أصل فطرته الخيرة التي طبع عليها وضميره السليم النقي من جراثيم أمراض عدم الإحساس بالمسئولية[١].

وعلى هذا الأساس يعتقد أصحاب مذهب الفطرة الخيرة عند تفسيرهم للظاهرة الإجرامية بأن الدوافع أو المؤشرات التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم مصدرها الأساسي نابع من العوامل الخارجية التي تكمن في البيئة الطبيعية والاجتماعية الفاسدة التي تحيط بالإنسان – ولا توجد علاقة مطلقا بين العوامل الداخلية الخاصة بالإنسان أو بشكله أو بتكوينه العضوي وبين السلوك الإجرامي، وإن العوامل الخارجية أقوى من العوامل الداخلية لأنها تؤثر فيها بفاعلية فإذا كانت صالحة تصون وتدعم

---

2 - J. C. Flugel - Man , Morals and Society - Op Cit - pp 166 - 187
- J. C. Flugel - Feeling and the hormic Theory op . cit - 1940 - pp 5 ets.
- Ernest Jones - the origin and structure of the super. Egs - London - 1926 - pp 7 ets.

- رو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ٣ وما بعدها.

وتصقل الفطرة الخيرة ويصبح الإنسان طوال حياته خيرا بالطبع وإذا كانت فاسدة فإنها تحول الإنسان الخير بالطبع أثناء حياته إلى إنسان شرير أو مجرم، ولكن هذا التحول لا يعني عند أصحاب هذا المذهب أن الإنسان قد أصبح شريرا أو مجرما بالطبع وإنما بالاكتساب فقط أي أن ما يحمله من إجرام أو شر غير أصيل فيه بل اكتسبه من العوامل الخارجية الفاسدة التي توجد في البيئة الطبيعية والاجتماعية الغير صالحة والتي تحيط به، ولذا فإنه يمكن علاجه وإرجاعه إلى أصل فطرته الخيرة إذا انتزع من هذه البيئة العكرة المليئة بجراثيم الإجرام والشر ووضع في بيئة أخرى صالحة وتم تهذيبه وتلقينه بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية بصفة دائمة ومستمرة طوال حياته.

وهذا التفسير يتعارض تماما مع تفسير أصحاب مذهب الفطرة الشريرة [الذي سبق أن أوضحناه في الباب الأول] حيث يعتقدوا أن كل البشر مفطورين على الشر وأن ما فيهم من خير غير أصيل واكتسبوه من العيش في بيئة طبيعية واجتماعية صالحة ومليئة بالقيم والمبادئ الفاضلة[1].

1- M . Granet - Chinese Civilization, - Op . Cit . 1930, pp 77 ets
- Wilhelm R. Stort History of Chinese civilization - Op. Cit - pp 2, 4 ets.

وطبقا لاعتقاد أصحاب مذهب الفطرة الخيرة في العصور القديمة يتضح أن الأشخاص الذين يتحولون بأثر العوامل الخارجية الفاسدة من أخيار بالطبع إلى مجرمين أو أشرار يحملون عندهم صفات قريبة الشبه من صفات بعض المجرمين في التصنيفات الحديثة التي أعدها بعض علماء علم الإجرام في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي مثل المجرمين بالصدفة في تصنيف المجرمين عند سيزار لمبروزو، والمجرمين الوقفيين في تصنيف المجرمين عند العالم الألماني متزجر **[Mezger]**، والمجرمين العرضيين في تصنيف المجرمين عند العالم الإيطالي ديتوليو - وذلك لأن هؤلاء العلماء يروا أن ظاهرة الإجرام بالنسبة لأصناف هؤلاء المجرمين لا علاقة لها بالعوامل الداخلية وإنما هي وليدة العوامل الخارجية الفاسدة مثل الاختلاط الضار والقدوة السيئة والأنماط التربوية المضللة والجهل والفقر والتلقين الفاسد إلى جانب البيئة الطبيعة القاسية والظروف السياسية المضطربة في المجتمع كحالة الحكم الفاسد وحالة الحرب وحالة الثورة والانتفاضات الشعبية، وغير ذلك من العوامل الخارجية الفاسدة التي ليست على سبيل الحصر الآن في ظل الظروف المستحدثة التي تطرأ بين الحين والآخر في عالم اليوم[1].

---

١ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص٣٥٩ - ص٣٧٥.

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة الخيرة والمفسرين لأثر العوامل الخارجية فى السلـــوك الإجرامي

تقديـــم :

لكـــي نثبـــت مـــا ســـبق أن عرضنـــاه فـــي الفصـــــل الأول مـــن هـــذا البـــاب بـــأن المجتمعـــات الحضاريـــة القديمـــــة قـــد ظـــهرت فيـــها مفـــاهيم مذهـــــب الفطـــــرة الإنســـانية الخـــيرة وتفســيرات فـــي ضـــوء هـــذه المفـــاهيم تشـــير إلـــى أن الســـــلوك الإجرامـــي وليـــد دوافـــع نابعـــة مـــن العوامـــل الخارجيـــة الفاســـدة فقـــط وليـــس أي عوامـــل أخـــرى أي لا توجـــد علاقـــة بيـــن ظـــاهرة الإجـــرام وبيـــن العوامـــل الداخليـــة الخاصـــة بالإنســـان أو بشـــكله أو بتكوينـــه العضـــوي، وبـــأن هـــذه العوامـــل الخارجيـــــة لديها القدرة علـــى أن تؤثـــر علـــى ســـلوك الإنســـان وتحولـــه مـــن إنســـان مطبـــوع علـــى الخـــير إلـــى إنســـان مجـــرم أو شـــــرير - ســـنعرض فـــي هـــذا الفصـــل موجـــز عـــن أهـــم الفلاســـفة الذيـــن ظـــهروا فـــي العـــالم القديـــم وأسســـوا مذهـــب الفطـــرة الخــــيرة، وقـــاموا فـــي ضـــوء اتجاهـــات ومفـــاهيم هـــذا المذهـــب بتفســـــير الظـــاهرة الإجراميـــة مـــن خـــلال أثـــر العوامـــل الخارجيـــة فـــي الســـلوك الإجرامـــي - وحتـــى يكـــون عرضنـــا متوافـــــق مـــع التسلسل الزمنـــــي لظـــهور هـــؤلاء الفلاســـفة فـــي شـــرق وغـــرب العـــالم القديـــم ســـنعرضهم حســـب الـــترتيب الزمنـــــي لتـــــاريخ ظهور منهجـــــهم الفلســـفي.

اخناتـــون

فيلسوف مصري ومن أعظم ملوك الأسرة الثامنة عشر في عصر الدولة الحديثة الذي يطلق عليه العصر الإمبراطوري لمصر القديمة - ظهر حوالي عام ١٤٠٠ قبل الميلاد والاسم الحقيقي له [امنحتب الرابع] واتخذ لنفسه اسم [اخناتون] ومعناه [مكرس لله أو خادم لله] - تأثر بفكر الفلاسفة المصريين الذين سبقوه مثل أبوور وبتاح حتب ، كما تأثر بأفكار ومضمون وحكمة { كتاب طيبة عن الموتى } ، وأصبح من خلال ذلك من أشهر فلاسفة العالم القديم، وأول فيلسوف في العالم يصنع نواة أسمى إدراك للفكر البشري [إله واحد - عالم واحد - قانون عالمي واحد - توافق البشر على نظام واحد] .

ويعتبر اخناتون أيضاً أول من عبر بصدق وإيمان عميق عن مفهوم القوة العلوية في إطار فلسفي عن التوحيد [Monotheism] المرتبط بالأخلاق والفضيلة مما جعل الفلاسفة الذين ظهروا بعده على مر العصور المختلفة وحتى عالم اليوم يعتبرونه أول من أسس في تاريخ الإنسانية التعبير الصادق عن القوة العلوية وارتباطها فكرياً بفلسفة الأخلاق، كما تعتبر فلسفته عن فكرة الإله الواحد في كل شيء [أي ألوهية الكون] المصدر الأساسي للفلسفة الحلولية [Pantheism] التي عبر عنها الفيلسوف

الهولندي باروخ سبينوزا [١٦٣٢ - ١٦٧٧م] حيث رسم لله صورة تجمع الكمال كله في الكون، وبأنه امتداد في خلق كل شيء وفكر واضح في إنارة كل العقول البشرية نحو الحق والعدل والفضيلة والخير كله[1].

من خلال منهج أخناتون الفلسفي يتضح أنه أول من أسس مذهب الفطرة الخيرة - حيث قرر صراحة بأن جميع البشر قد خلقوا وطبيعتهم الإنسانية [Human Nature] مفطورة على الخير، وأن الشر عامل خارجي طارئ على أصل وحقيقة الفطرة. وعلل ذلك بالقول **[أن جميع البشر قد خلقهم الإله الواحد العظيم إله الحق والعدل وجامع كل الخير، فلا يمكن أن يخلقوا بعد ذلك إلا وطبيعتهم مفطورة على الخير لأن الأصل الخير لا يمكن أن يطرح إلا طبائع خيرة]** [2] - وعبر عن ذلك في مضمون قصيدة شعرية أهداها إلى بهاء الله الواحد وهي تعتبر الآن من أهم أناشيد العالم السامية.

1 - Henry Thomas. The Great Philosophers - Op. Cit - pp 11,12

- د. علاء الدين عبدالمحسن شاهين - رؤية مصر لجيرانها في الشرق الأدنى - من واقع النصوص المصرية القديمة - بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي - العدد الثامن - المجلد الأول - مارس ٢٠٠٠ - ص٢٢.

- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale des civilisalions - Op. Cit - P 97.

٢ - د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٣.

- J. vandier - La religion egyptienne - Paris - 1949 - pp 16 - 19.

* أيها الإله الحـي يـا مبـدع الحيـــاة
إشـراقك جميــل فــي أفــق الســماء
* لقــد خلقــت كـل الأشيـــاء
وتسـير كـل شـئ حسـب مشـيئتك
* إنك تربـط جميـع الأقطـار والأمـم
بربـــاط محبتـــك
* تضئ الأرض عندمـا يـبزغ نـور فجـرك
فتصحـوا الأرض مـن نومـها مبتهجـة
* وترفـع جميـع المخلوقـات أصواتـها .
بأنشودة العبادة لك يا مصدر النور الضياء كل الأشـياء
* الحيـة علي الأرض وفي الجـو والبحـر
تملـئ جوانبـها بلـهب مجـدك
* أنـت خالـق النبـات فـي الأرض
والبـذور فـي الأرحـام
* أنـت قـد غرستهـا
وأخرجتـها إلـي الحيـاة
* عندمـا يتحرك جنيـن الطـير فـي بيضتـه
تمنحه الأنفاس ليكسر قشـرتها ويخـرج إلـي الضـوء
* كـل شئ حـي وأنـت حياة العالم
كـم مـن العجـائب تصنعـها أيـها السـيد
* الإلـه الواحـد الحـي
لجميـع مـا فـي الكـون
* أنـت الأب المحـب للنـاس جميعـاً
فـي جميـع أقطـار الأرض (١)

1- Henry Thomas - The Great Phelosophers - Op . Cit - PP. 13, 14

- أنظر أيضاً مؤلفنا - الجرائم العدوانية عن حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - دار النهضة المصرية - ص

ولذلك فقد أرجع إخناتون جنوح الإنسان نحو الجريمة أو انحرافه نحو الشر إلى العوامل الخارجية التي تحيط به والبعيدة تماماً عن أصل طبيعته الخيرة وذلك مثل الفقر والظلم والاستبداد والتعليم الفاسد. والتلقين المضلل والاختلاط السيئ والطبيعة القاسية والسير وراء الخرافات والأوضاع المخلة بأمور المعيشة وحكمة الحياة، وجميع هذه العوامل لا علاقة بينها وبين الشخصية الذاتية للإنسان أو بشكله أو بتكوينه العضوي، وإنما لها من القدرة أن تؤثر عليه وتحوله إلى مجرم أو شرير إذا انغمس فيها، وأفتقر إلى العوامل الحسنة التي تدعم أصل فطرته وتصقلها وتنميها بصفة دائمة ومستمرة طوال حياته[1].

وإذا كان إخناتون قد أشار في منحاة الفكري بأن العوامل الخارجية الفاسدة التي تحيط بالإنسان عديدة ومتنوعة إلا أنه قد ركز صراحة على أربع عوامل رئيسية واعتبرها من أهم العوامل الخارجية التي تدفع أو تحرك بفاعلية سلوك الإنسان نحو الجريمة أو الشر عموما وهي كالآتي:

١ - <u>نظام الحكم الفاسد</u>: على أساس أن فساد نظام حكم الملك وحاشيته يولد لدى الشعب الإحساس بالظلم والاستبداد والطغيان ... الخ ، وهذه العوامل قد تدفع

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - طبعة ١٩٦٥ م - دار الفكر العربي بالقاهرة - ص ٢٠.

هـذا الشعب إلى الثورة أو التمرد من أجل التخلص من هذا الملك وحاشيته ، والثورات وحالات التمرد قد تحرك سلوك بعض الأفراد نحو ارتكاب بعض الجرائم مثل القتل والسرقة والإتلاف والحريق العمد..

٢ - المجتمع الفاسد: باعتبار أن هذا المجتمع تغيب عنه القوانين العادلة والقيم والمبادئ الأخلاقية الحسنة، وتنتشر فيه الفوضى والانحلال وكل أمور الفساد، فتزداد الجرائم في كل أرجائه، كما يقضي القوي على الضعيف، وعندما ينتهي الضعفاء يتصارع الأقوياء كأنهم في غابة كل واحد منهم يحاول بكل ما يملك أن يفترس الآخرين.

٣ - اعتناق الخرافات المضللة: لأن هذه الخرافات تجعل من يعتنقها يعيش في جهل وعدم تكييف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية الصالحة وهذا قد يدفعه إلى الجنوح نحو ارتكاب الجرائم غير مدرك للعواقب التي تنتج عنها سوى أنه يرضى ما اعتنقه من خرافات أو أوهام مبعثها لا يطفح غير الشر.

٤ - تعدد الآلهة: وذلك لأن تعدد الآلهة تجعل البشر يعيشون في صراع وتناحر، وتبعدهم عن وحدتهم الإنسانية، وينغمسون في الكفر وينكروا وحدانية خالقهم وخالق هذا الكون كله وما فيه من أشياء

ومخلوقات. وهـذه الأمـور تدفعـهم نحـو ارتكـاب الجرائـم وكـل أمـور الفسـاد والضـلال أو كـل عوامـل الشـر - ولذلك فقد أمـر اخنـاتون بتحطيـم جميـع التمـاثيل المقامـة للآلهـة العديـدة التـي كـانت منتشـرة فـي المجتمـع المصري القديم، كما أمـر بغلـق جميـع معـابد هـذه الآلهـة في كافـة أنحـاء البـلاد، وقـام بثورتـه الدينيـة والأخلاقيـة التي ركـز فيـها علـى عبـادة الإلـه الواحـد خـالق جميـع البشر وكل مـا فـي الكـون ليضـع حـدا للفسـاد والشـعوذة التي انتشـرت فـي البـلاد نتيجـة لتعـدد الآلهـة[1]، وهجـر على إثر ذلك مدينـة طيبـة لأنـه اعتبرهـا نجسـة مـن أثـر الشعوذة والكفـر النـاتج مـن تعـدد الآلهـة ، وبنـي لنفسـه عاصمـة جديـدة أطلـق عليـها اسـم [مدينـة الله] ازدهـرت فيها أفكـاره حتـى أصبحـت مركـز رائعـاً لعقيـدة التوحيـد وفلسـفة الأخـلاق وكـل أمـور الأدب والفـن والفكـر النـافع.

تعـرض إخنـاتون لمعارضـة شـديدة مـن جـانب كهنـة الآلهـة المتعـددة ووقفـوا لـه بالمرصـاد وتحـالفوا ضـده حتـى تمكنـوا

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 12,14
- Conrad zucker - psychologie de la superstition - Paris - 1952 - pp 9 - 13
- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale Des civilisations - Op. Cit - 98
- J. Vandier - la relegion egyptienne - Op. Cit - pp 21 - 27
- د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - مرجع سابق - ص ٢١.
- د. نور الدين إشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٥.

في النهاية من إسقاطه وقتله وهو في عامة الثلاثين، واستولوا على أمور الحكم في البلاد – وفي ذلك يقول الفيلسوف الأمريكي هنري توماس [**إن هدف إخناتون كان من أجل نشر عقيدة التوحيد بالإله الواحد ووضع حداً للجرائم والفساد وكل أمور الشر في المجتمع المصري، وبالرغم أنه لم يتعد الثلاثين عاماً عند وفاته إلا أنه قد خلف وراءه ميثاقاً رائعاً للحكمة يصلح لكل العصور – فقد مات في سن مبكر، وكان شهيداً للحق والعدل مثل اشعياء وسقراط ولميس**][1]

– وعلي هذا الأساس يعتبر أخناتون أول من أسس في تاريخ البشرية مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة – وأول من قام في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظاهرة الإجرام من خلال أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي – كما يعتبر أيضاً من أوائل فلاسفة الشرق والعالم القديم الذين اتجهوا بفكرهم الفلسفي صوب الإنسان .

---

2 - Henry Thomas - The great philosophers - Op - Cit p12.

بـــــوذا

فيلسوف هندي ولد في عام ٥٦٣ قبل الميلاد في بلدة على حدود نيبال - ويقال أنه كان من أسرة نبيلة وعاش طفولته وشبابه في سعادة ونعيم كما كان يحمل الكثير من الثروة والجاه وحصل على لقب أمير، وتزوج بعد أن بلغ التاسعة عشر من عمره.

عندما وصل سنة إلى التاسعة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى الزهد والتأمل، وخرج هائماً في الأحراش والغابات والكهوف راغباً عن حياة الترف وملاذ الدنيا وغير مهتم إلا بالتأملات في الكون وحكمة الوجود في الحياة الإنسانية وبعد أن استمر على هذا الاعتكاف ست سنوات وبلغ السادسة والثلاثين من عمر شعر بدفء التأمل وأحس بأن نور المعرفة والعلم والحكمة قد أشرق في نفسه وقلبه - فاتخذ لنفسه مذهباً دينياً وأخلاقياً دعا إليه بصدق عن طريق القول المقنع والعمل الصالح، وهذا المذهب قد تأسست عليه بعد ذلك الديانة البوذية وفلسفة الأخلاق المستمدة منها[1]

والاسم الحقيقي لبوذا هو [سداثنا]، واسم أسرته [جوتاما] واسم أمه [مايا]، واسم والده [شاكمين] - أما

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - مرجع سابق - ص٥٣.

اسم بوذا فهو عبارة عن لقب أدبي ومعناه [العالم] كما كان يطلق عليه لقب آخر وهو [سكياموني] ومعناه [المعتكف] بعد أن أصبح على قدر هائل من العلم والحكمة والفلسفة من خلال الدراسة والبحث العميق عن حقائق الأمور بالتجربة والمقابلات والحوار مع أصحاب الآراء المختلفة من العلماء والمفكرين الذين عاصروه في الهند القديمة، كما أنه كان على جانب عظيم من طيبة النفس وحسن الخلق ولطف المعشر، وأن إرادته القوية وإيمانه العميق بالقيم والمبادئ الأخلاقية ومحبته الجامعة لكل البشر جعلته عفيف النفس وينتصر دائماً على لذاته انتصاراً عظيماً[١].

ومن المبادئ الإنسانية الهامة التي دعا إليها بوذا بكل قوة وكانت لها صدى رائع وعميق في نفوس معظم شعوب العالم القديم وعلى الأخص شعوب مجتمعات جنوب شرق آسيا، هي إلغاء نظام الرق ونظام تعدد الطبقات في المجتمع حيث اعتبر جميع البشر سواسية ولا توجد بينهم أي فروق - كما أنه قد أشار في تعاليمه بأن الإنسان إذا أصيب بكارثة أو بمرض أو بفقر فإن ذلك يدل على أنه قد ارتكب آثاماً معينة، وأن ما حدث له جزاء على هذه الآثام[٢].

1 - Henry Thomas - The Great Philosophers - Op. Cit - pp 33 - 36.

2 - Masaharu Anesaki - History of japanese Religion with special reference to the social and Morals – life of the nation, charles E . Tuttle company . tokyo – japan, U.N. university 1980 - p 25 .

أشار بوذا من خلال فلسفته الدينية والأخلاقية الرائعة واعتناقه العميق لمبدأ الأخوة الإنسانية، بأن كل إنسان في هذا العالم الحي قد ولد وفطرته مطبوعة تماماً على الخير، وأن الشر طارئ ووليد عوامل خارجية فاسدة بعيدة تماماً عن أصل فطرته - وأن هذه العوامل الفاسدة لها من القدرة في حالة عدم التغلب عليها أن تدفع أو تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم والرذائل وكل أمور الشر - وأمام خطورة ذلك قد ركز في فلسفته وتعاليمه على ضرورة الاهتمام بتدعيم الأسس الأخلاقية في كيان كل إنسان من أجل صيانة طبيعته الخيرة من الفساد والانحراف حتى يبتعد عن الجرائم وكل عوامل الشر، ويعم الخير على كل الناس، ولذا فقد استند بوذا في تأصيل مذهبه الأخلاقي على السلوك القويم للإنسان - وذلك من أجل أن يدعم كل فرد نفسه بالأخلاق الفاضلة حتى يصون طبيعته الخيرة ويعيش في هناء وسعادة ويتجنب الجرائم وكل عوامل الشر[١].

ورغم أن بوذا قد أشار إلى العديد من العوامل الخارجية الفاسدة التي تحيط بالإنسان وتؤدي إلى انحرافه وتحويله إلى إنسان مجرم أو شرير، إلا أنه قد ركز على

---

١ - د. نور الدين إشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٦.

- Shrirama - indradeva - Growth of legal system in indian society . London - 1983 - pp 125 - 133.

ثلاثة منـــها واعتبرهـا أهـم وأخطـر هـذه العوامـل التـي تؤثـر عليه وتدفعه إلـــى الإجـرام وكـل عوامـل الشـر وهــي تتلخـص في الآتـــي:

١ - **الاستســلام للملــذات والشــهوات:** حيـــث اعتـــبر عـــدم القــدرة علــى مقاومـــــة إغــــراء الملــذات والشـــهوات والانغمـــاس فيــها يســـبب الانحــراف ويدفـــع ســـلوك الإنسان نحـــو ارتكـاب الجرائـم وكـل عوامـل الشـر، كمـا يولــد بينــه وبيــن الآخريــن الكراهيــة والحقــد بــدلاً مــن المحبــة والإخــاء، ممـــا يجعـل حياتــه مســمومة ومليئــــة بالرذيلة وأمـــور الفســاد.

٢ - **الجهل وعــــدم المعرفــة :** حيـث اعتقـد بـأن الافتقـار إلـى العلـم وعدم المعرفــة بـــأمور الحيـــاة يصيـــب عقـــل الإنســان بـــالتبلد والغبـــاء وعــــدم إدراك الأمـــور علــــى الوجه الصحيح، وهذا يفقــده القــدرة علــى التميز بيــن مـا هو خير ومـــا هــو شـر، ويدفـع سـلوكه نحـو الانحـراف وارتكاب الجرائـــم والرذائـــل.

٣ - **الابتعـــاد عــن الإيمــان والفضيلــة :** حيــث اعتــبر أن عـــدم إيمـــان الإنســـان بـــالعقيدة الدينيـــة الســـليمة واعتناقـــه للقيـــم والمبـــادئ الأخلاقيـــة المســـتمدة منـــها يجعلـــه مشـــتت الفكـــر وغـــير صـــادق مـــع نفســـه وســـيئ النيـــة مـــع الآخريـــن -

وهذه الأمور الفاسدة قد تدفع سلوكه لارتكاب الجرائم وأعمال الشر[١].

وقد أوضح بوذا بأن الخطة المقدسة لعلاج هذه العوامل الفاسدة وإصلاح أخلاق كل البشر لكي يعيشوا في هناء وسعادة ويبتعدوا عن ارتكاب الجرائم والرذائل وكل عوامل الشر تعتمد على حقيقة وجودنا في هذه الحياة وتتضمن ثمانية وجوه هي كالآتي:

١ - تعلم كيف تفهم نفسك.
٢ - كن صبوراً.
٣ - تحدث في رفق.
٤ - كن في فعلك نبيلاً.
٥ - أعمل بأمانة .
٦ - أبذل جهودك في كل حين.
٧ - كن سريع الاستجابة لحاجات الآخرين.
٨ - لتكن نظرتك إلى العالم رحيمة.

ولخص بوذا هذه الوجوه الثمانية في ثلاث كلمات هي [الشفقة، والتقوى، والمحبة] [٢].

---

١ - د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٦.

- Masaharu Anesaki - History of japanese ... op. Cit . p 25
- Shrirama indradeva - Growth of legal system in indijan society - Op. Cit pp 137 - 141.

2- Henry Thoma - The great Philosophers - Op.Cit - p 44.

وذكر بوذا أيضاً عشر وصايا تمكن الشخص الذي يأخذ بها من القدرة التامة على ضبط سلوكه والتحكم التام في إرادته ليتجنب ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر - وهذه الوصايا قد وضعها كأساس للأخلاق الفاضلة وهي كالآتي:

١ - لا تقتل أحداً ، ولا تقضي على حياة حي
٢ - لا تأخذ ما لا يقدم إليك، فلا تسرق ولا تغتصب.
٣ - لا تكذب، ولا تقل قولا غير صحيح.
٤ - لا تشرب خمراً، ولا تتناول مسكراً ما.
٥ - لا تزن، ولا تأت أي أمر يتصل بالأعضاء التناسلية إذا كان محرماً.
٦ - لا تأكل طعاماً نضج في غير أوانه.
٧ - لا تتخذ طيباً، ولا تكلل رأسك بالزهر.
٨ - لا ترقص، ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء.
٩ - لا تقتن فراشاً وثيراً، ولا تقتن أرائك فخمة، ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.
١٠ - لا تأخذ ذهباً ولا فضة لتتحلى بها.

وقد أدت هذه الوصايا نتيجة لما جاء فيها من شدة النهي إلى انقسام الذين اعتنقوا البوذية إلى قسمين - **القسم الأول هم:** هم البوذيون الدينيون الذين أخذوا بالوصايا العشر كلها ولم يحيدون عنها أبداً طوال حياتهم، **والقسم الثاني:** هم البوذيون المدنيون الذين لم يطبقوا الوصايا العشر كلها بل أخذوا طريقاً وسطاً ليس

فيه إفراط ولا شدة حيث اكتفوا بتطبيق الوصايا الخمس الأولى فقط وهي النهي عن القتل والسكر والسرقة والكذب والزنا، ولم يطبقوا الوصايا الأخرى واعتبروها خاصة بالمتدينين فقط[١].

وإذا كانت فلسفة بوذا قد نبعت من العقيدة الدينية، فإن هذه العقيدة هي التي جعلتها تستقر بقوة وروعة في قلب كل معتنقيها - وفي ذلك يقول العالم الأمريكي **جورج سارتون** في كتابه عن **[تاريخ العلم]** بأن ارتباط الديانة البوذية بالأخلاق كان ارتباطاً وثيقاً، ولا يمكن التعبير عن أحدهما دون الأخرى، وأنه في ذات مرة قد التقى حكيم هندي **بسقراط** في أثينا وسأله [أنك تدعو نفسك فيلسوفاً، فبماذا تشتغل، فأجاب **سقراط** بأنه يدرس الشؤون البشرية، فأخذ الحكيم الهندي يضحك قائلاً، أنه يستحيل للمرء أن يفهم الشؤون البشرية، ما لم يدرك الشؤون الإلهية أولاً]، ويتضح بالتالي من هذا اللقاء مدى التقابل بين نمط التفكير السقراطي، والهندي، وبأن الأول سطحي والثاني متعمق في فلسفة الكون وما به من حياة بشرية [٢].

١- د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - الديانات القديمة - مرجع سابق - ص ٧٦.

٢- جورج سارتون - تاريخ العلم - الجزء الثاني - نيويورك ١٩٥٢ - ترجمة لفيف من العلماء - بإشراف لجنة مؤلفة من د. إبراهيم بيومي مدكور، د. محمد كامل حسين، د. قسطنطين رزيق، د. محمد مصطفى زيادة - الطبعة الثانية - أكتوبر ١٩٧٨ - دار المعارف بالقاهرة - ص٧٦.

ورغم أن فلسفة بوذا الأخلاقية قد تولدت في الهند إلا أنها قد انتقلت لروعتها وجمالها في تربية وتهذيب خلق الإنسان على الفضيلة والمحبة الشاملة واجتناب الجرائم وكل أعمال الشر إلي كل الحضارات الأسيوية، كما انتشرت وتغلغلت في حضارة الإغريق ثم حضارة الرومان(١) - كما أن بهائها ما زال له قيمته في العصور الحديثة، وتأثر بها فلاسفة كثيرون أمثال القديس فرانسيس بيكون، وباروخ سبينوزا، ووالت وتمان، والبرت شيفتزر، وأن أكثر معتنقي البوذية حالياً في الهند والصين واليابان وتايلاند(٢).

وعلى هذا الأساس يعتبر بوذا من أشهر فلاسفة العالم القديم، والمؤسس الثاني لمذهب الفطرة الخيرة في تاريخ العالم، كما يعتبر أيضاً من حيث الشهرة المفسر الثاني للظاهرة الإجرامية التي تسند السلوك الإجرامي إلى عوامل خارجية فاسدة وذلك بعد الفيلسوف المصري إخناتون، وأن كانت فلسفته أكثر انتشاراً واستمراراً من فلسفة إخناتون(٣).

---

1 - Shrirama indradeva - Social structure and valuse in later samrtis - London - 1972 - pp 94 ets.
- Andre Aymard et jeannine Auboyer - Histoire Generale des Civilisation - p571.

٢ - جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٩٢.

٣ - د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٧.

لقد عاش بوذا حتى وصل إلى سن الثمانين من عمره حيث وقع فريسة للمرض، وطلب من تلاميذه أن يضعوه على فراش من أوراق الشجر ثم تلفظ لفظة أخيرة وهو في سكرات الموت، وقال **[لسنا جميعاً إلا قطرات ماء تنساب تجاه محيط السلام الأبدي ، فلنحاول جادين لكي ننال هذا السلام]** وذلك في عام ٤٨٣ قبل الميلاد فمات بعد أن وضع فلسفة رائعة تربط الدين بالأخلاق في أسلوب متكامل لفهم معنى الحياة البشرية ، وبأن الكل عند الله سواء، وأن الدين الحق هو طهارة القلوب والأخوة الجامعة **[وسلام لكل شيء حي]** [1].

2 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p46.

كونفوشيوس

من أشهر فلاسفة العالم القديم - ولد في الصين عام ٥٥١ قبل الميلاد في مملكة **[لو]** قرب مدينة **[تشوفو]** بولاية **[شانتونج]** الحالية - وتقول سجلات الصين التاريخية بأنه كان من أسرة ثرية وكريمة الأصل وأجداده ينتسبون إلى البيت الملكي لمملكة **[سونج]** ، ولكن جده الأعلى قد رحل إلى مملكة [لو] بعد أن حل الفقر بالعائلة، ولذلك فإن **كونفوشيوس** وفقا لما هو مسجل عنه يعتبر انحدر من طبقة اجتماعية نبيلة وثرية إلى طبقة اجتماعية عامة وفقيرة بعد أن حدث اضطراب شديد في أوضاع أسرته المالية.

عندما بلغ **كونفوشيوس** سن الثالثة توفى والده فاضطر أن يعمل في سن مبكر أثناء تلقيه علومه في المدرسة من أجل أن يساعد في تخفيف الأعباء المالية عن أسرته، ويعول أمه، وتعلم العزف على الناي وأصبح عازفاً بارعاً رغم صغر سنه.

عندما بلغ التاسعة عشر تزوج والتحق بوظيفة أمين مخازن غلال بحكومة مملكة [لو] ثم شغل وظيفة ملاحظ أراضي المملكة، وبعد أن أصبح صاحب خبرة في الوظائف الحكومية عين عام ٥٠١ قبل الميلاد رئيس

وزراء مملكة [لو] ورغم أنه قد حقق نجاحاً ساحقاً في عمله إلا أنه بسبب انشغال الملك في ملذاته وإهماله لشئون مملكته أصيب بإحباط شديد فاستقال من منصبه في عام ٤٩٧ قبل الميلاد، وأخذ يجوب أرجاء الصين ينشر فكره الفلسفي عن الأخلاق الفاضلة حتى استقر به المطاف في مسقط رأسه بعد تجوال استمر ثلاثة عشر عاماً، فمكث هناك ثلاثة أعوام يلقي الدروس على مريديه حتى مات في عام ٤٧٩ قبل الميلاد ودفن بمقاطعة [تشوفو] ولا يزال قبره يزار حتى الآن[١].

وقد وصف كونفوشيوس نفسه بأنه عندما كان طفلاً ثم شاباً يافعاً - كان لا شأن له ولا مكانة، يعيش في ظل ظروف صعبة - ويعمل في حرف أغلبها حقير ليعول نفسه ويرعى أمه، إلا أنه دأب على تثقيف نفسه - ولذلك تعلم آراء الفلاسفة القدماء في العقيدة الدينية وأصول الأخلاق، ودرس التاريخ والشعر وآداب اللياقة والحكمة وتفهمها جيداً، ومع تأثره بكافة الظروف التي تعرض لها من تعليم وأسرة عظيمة ثم فقر شديد ثم صاحب مكانة في المملكة ثم رحال من مكان لآخر، كون في شخصه نزوعاً إلى معالي الأمور من غير استعلاء

---

١ - أ.د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص٦٤ ، ص٦٥.

- Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p53.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص٤٠، ص٤١.

ولا غـرور، فشـعوره بمجـد أسـرته وشـرفها وكرمـها جعلـه يتجه إلـى العـزة وكرامـة النفـس ويتجـافي السـفاف، وشـعوره بـالفقر والـرزق المحـدود بعـد وفـاة والـده جعلـه شـخص عطوف ورقيـق مـع الضعفـاء ومتواضـع ومندفـع نحـو محبـة كل الناس - وبذلـك أصبـح فيلسـوفاً وحكيمـاً تعلـو نفسـه عـن الدنايـا مـن غـير كبريـاء ، وكـون مـن خـلال هـذه العوامـل فلسـفته الأخلاقيـة التـي اهتـدى إليـها، وأصبـح فيلسـوف الماديـة والواقـع الروحـي ومـن أعظـم وأشـهر فلاسـفة الأخلاق في العـالم القديـم(١).

قـرر كونفوشـيوس فـي منهجـه الفلسـفي بـأن جميـع البشـر طبيعتـهم قـد فطـرت عند ميلادهـم علـى الخـير، وأن الإجـرام أو الشـر عمومـاً ليـس سـوى وليـد ظـروف طارئـة وعوامـل خارجيـة فاسـدة تحيـط بـهم فـي معيشـتهم وبعيـدة تماماً عـن أصـل فطرتـهم، وأن هـذه الظـروف والعوامـل لـها مـن القـدرة فـي حالـة عـدم التغلـب عليـها بتحصيـن وصقـل أصـل الفطـرة بالتربيـة الصالحـة والتـهذيب الراقـي والتعليـم النـافع والتلقيـن المسـتمر بـالقيم والمبـادئ الدينيـة والأخلاقيـة، أن تحـول الإنسـان الخـير بطبعـه إلـى مجـرم أو شـرير لأنـها ذات فعاليـة فـي تحريـك سـلوكه نحـو ارتكـاب الجرائـم أو

---

١ - جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٩٧.

- د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٧.

- Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p55

الشر عموماً[1] - ولــذا كـان يقـول وهـو يجـوب بـلاد الصيـن داعيـاً إلـى إصـلاح أحـوال النــاس والمجتمـع [أن تحلـى الإنسـان بالفضيلـة هـو الـذي يجعلـه مؤتلفـا مـع نظـام السموات والأرض - فالعـالم يسـير بنظـام وقوانيـن محكمـة والـنزوع إلـى الخـير والفضيلـة طبيعـة فطريـة فـي كيـان الإنسـان - فليسـت الفطـرة الإنسـانية ميالـه إلـى الشـر نزاعـة إليـه، بـل هـي خـيرة، ولكـن لـلإرادة المسـتقلة التـي منحـها الله للإنسـان مـع غريـزة الشـهوة واللـذات يمكـن أن تشد الإنسـان فـي حالـة عـدم التغلـب عليـها إلـى الإجـرام أو عوامل الشر عمومـاً ويفعـل مـا يـنزل بـه غضـب السـماء ... وإذا كـانت النفـس فـي أصلـها خـيره والشـر انحـراف عـن الفطرة، فـإن الإنسـان الفـاضل هـو الـذي يعمـل علـى إحيـاء الفضيلـة بتنميـة قـوى النفـس الخـيرة، لأن الفضيلـة لا تطلـب لمـا فيـها مـن لـذات وإنمـا تطلـب لأنـها كمـال الإنسـان وأسـاس فطرتـه السـلمية والتـي بـها يتـم التـآلف والانسـجام بيـن الإنسـان والعـالم - فمـن يتمسـك بالفضيلـة سـهل عليـه كـل صعـب وهـان عليـه كـل شـقاء - لأن رياضـة النفـس علـى الفضيلـة تجعـل الإنسـان مثـلاً يتحمـل الفقـر والغنـى، فإن افتقر لم يهن وأن غنـى لـم يطـغ ولـم يأشـر ولـم يرتكـب أي جريمـة - فـذو الفضيلـة مسـتريح فـي فضيلتـه حريـص عليـها، والغـير فـاضل لا يسـتطيع أن يبقـى خـيراً لفـترة

---

٢ - ور صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٣ - ص٥.

طويلة سواء كان فقيراً أو غنياً وإنما لابد أن ينزلق نحو الجريمة [أوعوامل الشر عموماً ...][١].

ورغم أن كونفوشيوس قد اعتبر جميع العوامل الخارجية الفاسدة التي تحيط بالإنسان من العوامل المؤثرة التي قد تدفع سلوكه إلى ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً وتحوله إلى إنسان مجرم أو شرير إلا أنه قد جعل الجهل وعدم التحلي بالفضيلة والقيم والمبادئ الأخلاقية وعدم ضبط النفس أمام إغراءات الملذات والشهوات والظلم والطغيان والسياسة الغير حكيمة للحاكم من أخطر هذه العوامل.

وعن كيفية التغلب على العوامل الخارجية الفاسدة وتحجيم ظاهرة الإجرام في المجتمع أشار كونفوشيوس في منهجه الفلسفي بأن الإنسان الأسمى الذي يريد أن يحصن فطرته الخيرة وينميها ويصقلها عليه أن يراعي أربعة مبادئ هي [العلم الغزير والسلوك الحسن والطبيعة السمحة والعزيمة القوية] حتى يصبح على دراية كاملة بالعلم والمعرفة ويكون دائماً حسن السلوك في معاملة الآخرين وطيب القلب ورحيماً وعطوفاً على الفقراء والمحتاجين وذا عزيمة قوية يقدر بها على مواجهة الأمور، ويتصدى لأي ظلم أو فساد وأن يحب كل

---

١ - د. محمد أبو زهرة - مقارنات الأديان - مرجع سابق - ص٩٤، ص٩٥.

البشر - وعن المحبة قال كونفوشيوس [أحبوا أصدقائكم وابعدوا عن الكراهية، فالكراهية لا تولد إلى كراهية، والمحبة يمكن أن تتغلب على الكراهية كما تتغلب المياه على النار] وقال أيضاً عن المعاملة الطيبة بين الناس والتي أطلق عليها القاعدة الذهبية [لا تفعل بالآخرين ما لا تحب أن يفعله الآخرين بك][1] ... وعلى هذا الأساس قام كونفوشيوس بوضع مجموعة من القواعد في حب النظام والطاعة والتعامل من أجل الحد من انتشار الجرائم والفساد في المجتمع، وطالب في تعاليمه الناس بأن يلتزموا بها بعد أن أطلق على هذه القواعد اسم القانون الأخلاقي وأهمها يتلخص في الآتي:-

١. كن وفياً لنفسك ومنصفاً للمظلوم.
٢. إذا اعتدت أن تمد يد الكرم إلى الآخرين فإنك ستدخر من الكرم رأس مال لنفسك.
٣. لا تفسد الآخرين بفرط حبك، ولا تقض عليهم بفرط كراهيتك وخير الأمور هي الوسط بين الطرفين.
٤. عليك أن تتغلب على الشهوات والرغبات وتتجنب وتبتعد عن كل عوامل الشر وتجنح دائماً نحو السلام والخير.
٥. يجب الاطمئنان إلى الحياة بوداعة ومحاولة العيش فيها بسعادة من خلال فهم أصولها - لأنه إذا فهمنا الحياة

---

١ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٨.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٤٤ وما بعدها.
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص٩ - ص ١١.

فلا نخاف شيئاً لأن كل شيء حسن في هذا العالم الحي.

٦. عليك أن تعلم أن العدالة وتبادل المثل بالمثل شيئاً واحداً.

٧. الحاكم لا يمكن أن يحمل الناس على الجد والإخلاص والصدق والمحبة والتحلي بالأخلاق الكريمة من غير أن يحمل نفسه عليها.

٨. الحاكم الذي لا يغرس في الناس وفي نفسه القيم والمبادئ الأخلاقية الفاضلة ينزل عليه غضب السماء وتنهال عليه كل الكوارث لأنه لا تسامح في قانون الأخلاق ولو كان الآثم ملكاً.

٩. تكامل الفرد ينبع من العدالة الاجتماعية - لأن العيش في بلد تسوده العدالة الاجتماعية ويتساوى فيها الجميع يمكن الناس من ارتداء الشرف والمجد في تواضع ويتحملوا أحزانهم برباطة جأش.

١٠. المجتمع الصالح هو الذي تقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون.

١١. يجب أن يعلم الحكام جميعاً بأن السياسة هي الإصلاح، فلو كل حاكم جعل صلاح نفسه أسوة حسنة لرعيته فلا يجترئ أحد على ارتكاب الجرائم أو الانحراف نحو الفساد والرذيلة.

١٢. التهذيب الجيد والتربية الصالحة والتحلي بالفضيلة يجعل الإنسان حكيماً مع نفسه ومع الآخرين، وهادئ النفس طوال حياته.

- ووضح أيضاً في هذا القانون أسلوب الاحترام الذي ينبغي أن يؤديه الأفراد عندما يحيون بعضهم بعضاً، وسلوك الأطفال نحو والديهم، بالإضافة إلى أنه قد تضمن أيضاً أعظم أسس الديمقراطية السليمة والمحبة السامية لكل البشر[١].

وبالتالي يعتبر **كونفوشيوس** من حيث الشهرة المؤسس الثالث لمذهب الفطرة الخيرة وثالث فيلسوف في تاريخ العالم يفسر موضوعياً في ضوء مفهوم هذا المذهب ظاهرة الإجرام من خلال أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي وأن هذا التفسير قد انتشر مع فلسفته الأخلاقية في معظم أرجاء العالم القديم بعد أن أصبح اسمه يدوي في كل أنحاء الصين والمجتمعات القديمة الأخرى رمزاً للأخلاق الفاضلة وقوة المبدأ والثبات في وجه الباطل وصورة واضحة المعالم لما سماه بالتآلف العظيم بين الجنس البشري[٢].

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p61 , 62.
- د. فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص٦٨ وما بعدها.
- جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص ٩٧.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٥٦ وما بعدها.
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع ساق - ص ١٣ وما بعدها.

٢ - د. نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٨.
- للمزيد من التفاصيل عن هذا الفيلسوف وفكرة الراقي عن الأخلاق راجع د. حسن شحاته سعفان - كونفوشيوس - غير محدد سنة الطبع - دار النهضة العربية - ومؤلفنا السابق عن التاريخ العام لأهم خصائص نظم وقوانين الحضارة الصينية القديمة.
- A. Rygaloff. Viede confucius - Paris - 1946.

زرادشت

فيلسوف ولد في بلاد فارس قبل نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، وهو من أسرة نبيلة وثرية، وتوجد أساطير عديدة على أن مولده قد صاحبه كثير من المعجزات أهمها ترديدا الرواية التي تقول بأن إله النور قد استمع إلى شعب بلاد فارس الذين شكوا إليه ما يعانوه من الظلم والاستبداد والفساد فأرسل لهم رجلاً قوياً هو زرادشت ليكون خلاصهم على يديه.

عندما بلغ زرادشت سن السابعة من عمره - قام برعايته عدد من الحكماء والأدباء، اهتموا به وعلموه سبيل التقوى والفضيلة، وبعض المؤرخين والعلماء الأقدمين يشير بأن الحكماء المصريين والعبرانيين قد اشتركوا في تربيته وتعليمه وبأنه توجد أدلة واضحة في فلسفة زرادشت الأخلاقية تفيد بأنه قد تأثر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بوحي أفكار فلاسفة مصر القديمة مثل أبوور وبتاح حتب وإخناتون وجانب كبير من حكماء وفلاسفة الشرق القديم مثل بوذا في الهند ولا وتسى وكونفوشيوس في الصين[1].

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p17.

- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٥.

بعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره أتم تعليمه، وأصبح قادراً ومهيأ لأن يأخذ على عاتقه تسطير الحكمة والتدين - فكرس نفسه للخدمات الاجتماعية مثل خدمة المرضى، وإطعام الجياع، ومساعدة الفقراء والمحتاجين ومعاونة المسنين، وتذليل العقبات التي كانت تعترض حياة رفاقه - مع استمراره في الدراسة والعلم والمعرفة حتى أتم كل الدراسات العليا لعلم الحياة والتي تقوم على أسس المحبة والخدمات الإنسانية المتبادلة والتي بها تعمق في كل أمور الحياة، وما يجب أن ينتشر منْ حق وفضيلة بين كل الناس[1].

ولما أكمل سن الثلاثين - تأهب ليكون داعياً إلى عبادة الله وأستاذاً بارعاً لفلسفة جديدة للأخلاق - فأخذ يجوب العالم متنقلاً بين بلاد فارس والهند والصين وبلاد ما بين النهرين عشر سنوات داعياً إلى مبدئه، ولم ييأس أو ينهار بل كان صبوراً ومتحمساً في دعوة الناس إلى الهداية والحق، ومع استمراره في ذلك آمن به ملك الفرس وساعده على نشر دعوته في الاعتقاد الصادق والقول الطيب والعمل الصالح[2] - ولذلك انتشر دينه الأخلاقي في بلاد فارس، وازدهر في عهد الأسرة الساسانية التي

---

1 - Andre Aymard et Jeannine Auboyer - Histoire Generale Des Civilisations - Op. Cit - pp 224, 225.

٢ - د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

كانت فيها بلاد فارس في أعظم عهودها التاريخية حيث أصبح المنهج الأساسي للدين الأخلاقي في الدولة[١].

أشار زرادشت في منهج فلسفته الدينية والأخلاقية بأن جميع البشر قد ولدوا وطبيعتهم مفطورة على الخير ، وأن الشر طارئ وينتج من عوامل خارجية فاسدة بعيدة تماماً عن أصل طبيعتهم وعن تكوينهم العضوي - وفي ضوء اعتقاده بهذا المفهوم فسر الظاهرة الإجرامية بأنها وليدة العوامل الخارجية التي تحيط بالإنسان في معيشته وليس دون ذلك على أساس أن فسادها وعدم القدرة في التغلب عليها تحرك أو تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً - وذلك لأنه كان يرى أن الطبيعة الخيرة التي فطر عليها الإنسان عند مولده لا تصلح بمفردها على أن تجعله خيراً طول حياته ويصمد في مواجهة المؤثرات الفاسدة التي يتعرض لها، وإنما لابد أن يدعم ويصقل وينمي هذه الطبيعة بصفة دائمة ومستمرة من خلال التربية الصالحة والعلم النافع الوفير والتلقين الواعي بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلى جانب عوامل أخرى يلزم غرسها فيه لكي يستطيع أن يعيش

---

١ - جواهر لال نهرو - لمحات من تاريخ العالم - نقله إلى العربية لجنة من الأساتذة الجامعيين - الطبعة الأولى ١٩٥٧ - منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت - ص٢٥.

حياة طبية مليئـــة بصفــاء النفــس ومحبــة الجميــع وكــل عوامــل الخــير [١].

وقــد أوضــح رزادشــت فــي الكتــاب الــذي ألفــه وجمــع فيه كـــل مبادئـــه وآرائـــه عـــن الديـــن وفلســـفة الأخـــلاق وســـماه [افستا] ، ويعـــرف حاليـــاً فـــي عـــالم اليـــوم باســـم [زنـــد افســـتا] ومعنـــاه [تفســـير الحكمـــة] بـــأن العوامـــل الفاســـدة التـــي تحـــول الإنســـان الخـــير بطبعـــه إلـــى إنســـان مجـــرم أو شـــرير أخطرهـــا يتلخص في الآتـــي:

١ - الظلم: لأنه قـــد يدفـــع مـــن يـــذوق طعمـــه ويفشـــل بـــالطرق القانونية أو المشـــروعة فـــي الخـــلاص منـــه أو فـــي رفعـــه عنـــه وأخـــذ حقـــه إلـــى ارتكـــاب ســـلوك إجرامـــي أو أي عمـــل مـــن أعمال الشـــر معتقـــداً بـــأن هـــذا الســـلوك هـــو الوســـيلة الوحيـــدة لرفـــع الظلـــم عنـــه وأثبـــات قدرتـــه كإنســـان لـــه كيـــان فـــي المجتمع، ويملـــك مـــن الوســـائل وإن كـــانت غـــير مشـــروعه فـــي استرداد حقـــه.

٢ - الإنغمـــاس فـــي الملـــذات والشـــهوات: لأن الاستســـلام للملـــذات والشـــهوات يضعـــف قـــدرة الإنســـان فـــي التحكـــم فـــي إرادتـــه وفـــي منـــع ســـلوكه مـــن الانحـــراف وهـــذا يـــؤدي إلـــى

1- J. Duchesse - Guillemin. Zoroastre. etude criligue avec une traduction eommenter de gatha - Paris - 1950 pp 12 ets.

ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر ويولد الحق والكراهية بينه وبين الآخرين بصفة دائمة.

٣ - الجهل: وهو أخطر عدو للإنسان ويجعله دائماً في غفلة عن الحقيقة وعن معرفة ما هو خطأ وما هو صواب وما هو حق وما هو باطل ، ولذلك قد يندفع إلى ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر وهو غير مدرك عواقب سلوكه الإجرامي والنتائج السيئة التي تترتب عليه.

٤ - اعتناق الخرافات المضللة : لأنها تبعد الإنسان عن حقيقة وجوده في الحياة الإنسانية وتصيبه بحالة من الشعوذة والخوف وتجعله ينحرف عن فهم طبيعة الله ورؤية معالم الطريق الصحيح للأخوة الجامعة - وهذه الأوضاع تدفعه إلى ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً وهو في حالة فقدان وعي من الضلال الذي يسيطر عليه بسبب وهم هذه الخرافات.

٥ - تعدد الآلهة: لأنها تجعل البشر يعيشون في انشقاق، ويفقدون بالتالي وحدتهم الإنسانية ويحدث دائماً بينهم صراع وتناحر، كما يضلوا الطريق الصحيح لفهم الإله الواحد الحق ويكفرون بنعمه وفضله عليهم وهذه الأمور الفاسدة قد تدفع سلوك بعض الناس نحو ارتكاب الجرائم

أو الرذيلة أو عوامل الشر عموماً وهم يعتقدون بأنها أمور مباحة في دينهم.

٦ - التفرقة بين البشر: لأن الإخلال بالمساواة بين الناس والتمييز بينهم داخل المجتمع بأن يصبح هذا سيد والآخر عبد ، وهذا صاحب سلطة ونفوذ والآخر ليس كذلك ، وهذا غني جداً والأخر فقير جداً ولا يملك قوت يومه وهذا من المقربين للسلطة الحاكمة والآخر من المغضوب عليهم وهذا من أصحاب المكانة في تقلد الوظائف العامة والآخر محروم منها - يولد حتماً الحقد والكراهية بين الناس - والحقد والكراهية من العوامل الخطيرة التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموماً[١].

وقد عبر زرادشت أيضاً في كتابه بأنه لكي يحصن الإنسان نفسه من الانزلاق نحو الجرائم أو عوامل الشر ، ويصون طبيعته الخيرة ويتعلم كيف يفهم أخواته في الإنسانية وكيف تكون أخلاقه في تعامله مع كافة الناس عليه أن يغرس في كيانه علامات الطريق الصحيح للحياة

١- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

- J. Duchesse - Guillemin Zoroastre - Op. Cit - pp34 ets.
- Andre Aymard et Jeannine Auboyer - Histoire Generale Des civilisation - Op. Cit. P226.

الإنسانية ويلتزم دائماً بها طوال حياته وهذه العلامات وإن كانت عديدة إلا أن أهمها يتلخص فيما يلي:-

١ - **العدالة**: وهي أول معالم الطريق للسلوك الحسن حيث تنحصر في التخلص من الظلم والاستبداد والطغيان وكل ما يرتكب من خطأ في حق الآخرين وذلك عن طريق المعرفة الحقة لكل ما هو صواب وإنه من خلال هذه المعرفة يظهر النور في حياة الإنسان الذي أدخلت فيه العدالة والتزم بها في معيشته - وقد اهتدى إلى هذا المبدأ الفيلسوف الإغريقي **أفلاطون** وجعله أساس مذهبه الفلسفي في الأخلاق.

٢ - **التعاون**: وهو ثاني معالم الطريق للأخلاق الطيبة وفي التقرب إلى الله حيث اعتبره **رزادشت** رمزاً للإخاء والمحبة بين كل البشر، وعن طريقه يزول كل ما يعوق ويعكر صفو الحياة ويتحقق الخير الدائم وتتحطم كل دوافع الجريمة أو كل عوامل الشر بين الناس.

٣ - **الإيمان** : وهو ثالث معالم الطريق المؤدي إلى الله والتقوى وقال **زرادشت** في ذلك بأن الرجل المؤمن هو الذي يصل إلى أذنيه صوت الله الهامس، وأن الله يغرس في قلبه الولاء لبيته ولمجتمعه ووطنه والعالم أجمع - فإيمان الإنسان بالله ما هو إلا حبه للجنس البشري لأن الله

يضم جميع البشر في حبه الشامل الجامع، ولكي يظهر الإنسان إيمانه بالله فعليه أن يقتدي بحبه، وهذا الحب يجب أن يكون إيجابياً لا سلبياً بأن يظهر في صورة أعمال [سلوك] لا مجرد أفكار وهذه الأعمال يجب أن تكون في سبيل الخير وتبتعد تماماً عن الجرائم وأعمال الشر وبذلك يكون زرادشت أيضاً قد مهد الطريق لأفلاطون عندما قال .. أن الحب يؤدي إلى العدالة والتعاون، كما أوحى أيضاً للقديس بولس عندما صاغ فكرته وقال لا يمكن أن تسود عدالة أو تعاون أو إيمان من غير أن تسود روح المحبة الشاملة.

٤ – **السعي وراء الكمال:** وهو رابع معالم الطريق المؤدي إلى التحلي بالفضيلة والأخلاق الكريمة – وقال زرادشت في ذلك بأن السعي وراء الكمال هو الغرض من الخليقة ومعنى أصول الحياة، وأن الله قد أرادنا أن نحارب إلى جانبه لنجعل من هذا العالم شيئاً فاضلاً وذلك من أجل أن نوطد فيه أركان الخير ونحطم فيه دوافع الجرائم وكل عوامل الشر كما قرر أيضاً بأن **[الله يوصينا بأن نحول الشر إلى الخير ... فكل منا عامل في بستان الله، والحياة غاية تطمئن لها النفوس، والله يتعاون معنا لنخرج من الفوضى نظاماً ومن القبح جمالاً ومن الحرب سلاماً ومن الظلم عدلاً ... نحن جميعاً**

علينا أن نبني مصيرنا على الخير الذي طبعت فطرتنا عليه ... لأنه عندما تنتهي مهمتنا في الحياة سيتم استدعاء كل منا لتقديم حسابا عن عمله، فالذين فشلوا في السعي وراء الكمال وفي تأدية واجبهم سينالون عقاباً شديداً من الله عما ارتكبوه من ذنوب في حياتهم] وهذا يشير إلى تأثر زرادشت بفلسفة المصريين القدماء وبالفكر الفلسفي لكتاب الموتى[1].

وعلى هذا الأساس يعتبر زرادشت من حيث الشهرة هو المؤسس الرابع لمذهب الفطرة الخيرة ورابع فلاسفة الشرق في تفسير الظاهرة الإجرامية في ضوء مفاهيم هذا المذهب - وأن فلسفته عن الدين والأخلاق قد تسربت واعتنقها شعوب كثيرة في آسيا الصغرى وفي بلاد اليونان والرومان[2].

ورغم أن الشرق القديم قد ظهر فيه فلاسفة آخرون اشتركوا في تأسيس مذهب الفطرة الخيرة وقاموا أيضاً في ضوء مفاهيم هذا المذهب

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 24 - 26.

- د. نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٣.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص١٥٩.

- برتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص٢٠٥.

١ - جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٨٩.

بتفسير ظاهرة الإجرام وأسندوها إلى عوامل خارجية فاسدة إلا أننا سنكتفي بما عرضناه عن هؤلاء الفلاسفة الأربعة لأنهم كانوا أشهر من عبر عن الفلسفة المتجهة نحو الإنسان في أرقى حضارات الشرق القديم واثبتنا من خلالهم وجود فكر إنساني قديم عبر بوضوح عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي.

سقــــراط

من أشـــهر فلاسـفة الإغريـق، ولـد فـي أثينـا عـام ٤٦٩ قبـل الميـلاد، وكـان مـن أسـرة متواضعـة حيـث كـان والـده يعمل نحاتــاً، ورغـم أنـه قـد تـدرب علـى هـذه الحرفـة فـي طفولتـه وأتقنـها تمامـاً فـي شـبابه، إلا أنـه قـد أظـهر ولعـاً مبكـراً بالفلسـفة بعـد أن تعلـم قسـطاً مـن الحسـاب والهندسـة وعلـم الفلـك وتعمـق فـي الإطـلاع علـى آراء وأفكـار بعـض العلماء والأدبـاء والفلاسـفة القدمـاء إلـي جـانب إطلاعـه علـي فكر الذيـن عـاصروا فـترة ظـهوره، وأصبـح بعـد ذلـك مفكـر دقيـق الملاحظـة ومـن أوسـع النـاس حكمـة فـي أثينـا، ومـن أشـهر فلاسـفة الغـرب القديـم - وعندمـا بلـغ سـن السـبعين غضبت عليه السـلطة العليـا فـي أثينـا واتهمتـه بثـلاث جرائـم كـبرى **الأولـى**: إنكـاره لآلهـة اليونـان وهـي تهمـة ملفقـة لأن سقراط كان عـف اللسـان نحـو الآلهـة وكثـيراً مـا سـاهم فـي تقديسهم، **والثانيـة**: دعوتـه إلـى آلهـة جديـدة بسـبب قولـه أنـه مسـير بصـوت بـاطني يوحـي إليـه بمـا يقولـه وبمـا يفعلـه .وهـي جريمـة أيضـاً ملفقـة لأن مـا قالـه لا يوحـي بأن يكون سـبباً لاتـهام .

والثالثـة: إفسـاده للشـباب وهـي جريمـة باطلـة أيضـاً لأن الأثر الـذي غرسـه سـقراط فـي نفـوس الشـباب ليـس سـوى التـهذيب والإصـلاح ورغـم أن هـذه التـهم كـانت غـير قائمـة

على أساس صحيح إلا أنه قد حكم عليه بالإعدام، ولم تفلح محاولات دفاعه، وتم بالفعل إعدام بشراب مسموم في عام ٣٩٩ قبل الميلاد[1].

لقد تعمق سقراط في فلسفة الطبيعة ومفاهيم الأخلاق واهتم بهما في حداثته ، وحيث أن الفلسفة الغربية قد بدأت تتجه نحو الإنسان من خلال الفلسفة السوفسطائية التي قررت بأن الإنسان مقياس لكل شيء أي ليس مقياساً للأخلاق وحدها بل لكل الحقائق، وأن الحواس هي السبيل الوحيد لوصول المعلومات إلى الذهن بمعنى أن الإدراك الحسي هو الأساس الوحيد لجميع المعلومات، ولما كان هذا الإدراك يختلف من شخص لآخر فإن المعلومات التي تتحصل عن طريقه مختلفة أيضا وبالتالي أنكر السوفسطائيون وجود حقائق ثابتة في الواقع الخارجي كما أنكروا المثل العليا ومبادئ الأخلاق وأحدثوا من خلال ذلك بلبلة وشك مريب في الفكر اليوناني ولذا فقد تصدى لهم سقراط وهدم كل أفكارهم واصلح بقدر الإمكان ما أحدثوه من انحراف في التفكير وجنوح في الرأي والتصرف وذلك بعد أن قرر بفكره الفلسفي بأن الأفكار العامة لم تصل إلينا عن طريق الحواس وإنما من خلال العقل ذاته لأن العقل هو أداة تحصيل المعرفة وليس

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - pp 79 - 82.

- جورج سارتون - تاريخ العلم - مرجع سابق - ص٦٧ - ص٦٩.

الحواس، وإذا كانت الحواس ومدركاتها تختلف باختلاف الأشخاص فليس العقل كذلك وإنما هو عام مشترك عند جميع الناس، وبالتالي هدم سقراط فكر السوفسطائيين من أساسه بعد أن أثبت بأن الحقائق الخارجية ثابتة، وبأن جميع الناس يرونها بمنظار واحد هو العقل الذي لا يختلف إدراكه من شخص لشخص آخر، وأعلن نظرية المعرفة التي تقوم على الإدراكات العقلية دون الحسية.

من خلال النظرية الأخلاقية التي أسسها سقراط بتوحيد الفضيلة والمعرفة بعد أن اعتقد اعتقاداً راسخاً بأن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الخير إلا إذا عرف ما هو الخير، وبأن العمل الأخلاقي مؤسس على المعرفة ويجب أن يصدر عنها وأن الفضيلة والعلم شيء واحد ويستحيل على الشخص أن يعرف الخير معرفة صحيحة ولا يفعله أشار في منهجه الفلسفي بأن طبيعة الإنسان مفطورة على الخير ومجابهة الشر، وأن اندفاع أي إنسان نحو ارتكاب الجرائم أو أي عمل من أعمال الشر ليس سوى نتيجة مؤثرات خارجية عن أصل طبيعته وأهم هذه المؤثرات أو العوامل الخارجية التي تدفع سلوكه نحو الانحراف هو الجهل أو عدم تحصيل المعرفة(١)، وقال تأكيداً لذلك. بأن [**الإنسان إذا علم تماماً بأن الشيء خير**

١- د. محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢.

فإن هذا يحمله حتماً إلى عمله، وإذا عرف بضرر شيء يحمله حتماً على تركه، لأنه لا يعمل الشر وهو يعلم نتائجه، فكل الشرور ناشئة عن جهل، ولو علم المرء أين الخير لعمله حتماً، لأن كل إنسان بطبيعته يقصد الخير ويكره الشر، فمحال أن يفعل الضرر أو يرتكب جريمة أو أي عمل من أعمال الشر وهو عالم بذلك وإنما ما يصدر عنه من جرائم وأفعال دنيئة منشؤه الجهل وعدم المعرفة][1].

وإذا كان سقراط قد اعتقد بأن الدوافع التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو أعمال الشر عموماً جميعها عوامل خارجية إلا أنه قد ركز هذه العوامل جميعها في الجهل حيث اعتبره على جانب كبير من الخطورة وهو الأساس الذي يجعل الإنسان ينزلق في تيار فساد العوامل الخارجية الأخرى التي تدفع سلوكه نحو الانحراف[2] - وأشار توضيحاً لذلك في محاوراته بأن الإجرام أو الشر عموما لا يصدر إلا عن الجهل بالفضيلة، لأن الإنسان لا يندفع إلى الإجرام وفعل الشر وهو يعلم أو يعرف تماما الخير، ولا يمكن أن يتعمد ارتكاب الجرائم أو الوقوع في الشر إلا إذا كان لا يعرف الإدراك العقلي

---

١ - د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٩ وما بعدها.

- د. محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ٧٦.

٢ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٦ وما بعدها.

للخير – ولذا فإن الجهل هو الشر ذاته، لأن الانغماس في الخرافات والانزلاق وراء الشهوات والملذات وارتكاب الظلم والرذيلة وعدم إطاعة القوانين العادلة وعدم ضبط النفس – وغير ذلك من العوامل الخارجية الفاسدة منبعها الأساسي يرجع إلى الجهل[١]

وجميع تلاميذ سقراط قد نادوا بهذه الفكرة من بعده مثل ارسطو عندما قال **[يمكن العفو عن جميع الخطايا التي يرتكبها الإنسان جاهلاً أنه يرتكبها، بل حتى التي يأتيها عن جهل] كما اقتنع بها بعض فلاسفة العصور الحديثة وجعلوها أساساً لمنهجهم الفلسفي مثل الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧م) حيث قال [أن الجهل هو العلة الأولى لكل شر يرتكب]** [٢].

وكما اعتقد بأن الجهل ترتكز فيه كل العوامل الخارجية الفاسدة، اعتقد أيضاً بأن المعرفة ترتكز فيها كل العوامل الخارجية الحسنة التي تغذي وتصقل الطبيعة الخيرة في الإنسان، أي أن سقراط قد ردّ الفضائل كلها إلى المعرفة بعد أن أثبت بأن الفضيلة واحدة ومن الممكن تعليمها – وتوضيحاً لذلك قال **[لكي نعرف ما هي الفضيلة ينبغي لنا أن نعرف ما ينفع الناس، ولهذا ينبغي**

---

١ – د. محمد بيصار الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص٧٩.

٢ – برتراند رسل – حكمة الغرب – مرجع سابق – ص٨٣.

لنا أن نفحص الأشياء النافعة لنا - أن الصحة والجمال والغنى هي الأمور التي تقول أنها نافعة لنا، ولكننا نقول عن هذه الأمور ذاتها أيضاً، أنها ضارة بنا، فهي نافعة لنا حينما نحسن استعمالها، وضارة حينما نسيء هذا الاستعمال، بيد أننا نحسن استعمالها حينما تكون لدينا معرفة عقلية عن الخير، وهذا ينتهي إلى أن هذه المعرفة هي التي تقرر ما هو نافع .وما هو الشر - والأمر ذاته نجده في صفات النفس التي هي قوام الفضائل المختلفة، مثل العفة والعدالة والشجاعة والمروءة وهذه الصفات نافعة لأنها فضائل حينما تقترن بالمعرفة العقلية، فإن لم تقترن بها كانت ضارة ولم تستحق اسم الفضائل، لأن ما من شيء نافع حقا إلا ما يراه العقل بالمعرفة الكلية، على أساس أنه هو الذي يقدم لنا علم الخير..] كما قال أيضاً (أن المرء يضل في إتيان الخير أو الشر بسبب نقص المعرفة – وأنه من المستبعد أن تكون لدي المرء رغبة عمدية في ارتكاب الشر أو ما يعتقد أنه شر – لأن تفضيل الشر علي الخير ليس من الطبيعة الإنسانية – وحتي إذا اضطر المرء في ظروف معينة – إلي اختيار أحد شرين فإنه لن يلجأ إلي الشر الأعظم إذا كان أمامه اختيار القدر الأقل) [1]

---

١ - د. محمود عز العرب السقا – أضواء في فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) مرجع سابق ص٦١

وعلى أساس أن المعرفة تصقل وتنمي الطبيعة الخيرة في الإنسان ولا تنشأها قال سقراط أن علم الخير هو أساس الفضيلة وجوهرها وعلم الخير وهو المعرفة الكلية يدعي الحكمة، والفضيلة ليست شيئا آخر غير الحكمة بل أن الفضائل كلها ترتد إلى الحكمة، والحكمة هذه يمكن تعلمها، شأنها شأن العلم ذاته، ولكن ليست علم صوري، وإنما هي علم يساعد على كشف الباطن وصقل المكنون، مما يجعل طبيعة الإنسان تعبر عن حقيقة أصلها الخير فيسلك بذلك طريق الخير ويبتعد عن طريق الإجرام أو الرذيلة أو أي فعل من أفعال الشر ويعيش طوال حياته إنسانا خيرا موصوف بالفضيلة أو بالحكمة[(١)] - ولذلك فإنه بالنظر إلى نظرية سقراط [لا فضيلة إلا بالمعرفة (العلم)] يكون أمامنا نتيجتين **الأولى**: أن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الخير المفطور عليه والكامن في ذاته إلا إذا كشفه وصقله ونماه بالمعرفة [العلم] - **والثانية**: أن علم الإنسان بالخير علما تاما يحمله حتما إلى عمله، وإذا عرف الشر تمام المعرفة يحمله حتما على تركه[(٢)].

وإذا كان سقراط يعتبر من ضمن المؤسسين لمذهب الفطرة الخيرة مع فلاسفة الشرق القديم وخاصة بعد أن قال صراحة بأن **[كل إنسان يحمل الحقائق**

---

١ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٦.

٢ - د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص١٠١.

الأخلاقية والخير كله في طبيعته منذ ولادته - وهو ليس في حاجة إلى أن يتلقاها من الخارج، بل عليه أن يتأمل في طبيعته الإنسانية بالمعرفة الكلية ليكتشفها كامنة فيه] - إلا أنه قد فسر من خلال منهجه الفلسفي ظاهرة الإجرام تفسيرا يرتكز على عامل واحد خطير وهو الجهل، واعتبر أن الجهل يكمن فيه كل العوامل الأخرى الفاسدة التي تحرك السلوك نحو ارتكاب الجرائم أو عوامل الشر عموما[١].

في حين فلاسفة الشرق لم يرتكزوا على عامل واحد خطير في تفسيرهم للسلوك الإجرامي وإنما استندوا على عوامل خارجية عديدة وكل عامل فيها يمثل خطورة منفصلة عن الآخر وإن كان من الممكن أن يؤثر عامل على عامل آخر في تحريك السلوك نحو الإجرام أو أي عمل من أعمال الشر.

ونظر لأن سقراط قد قال بأنه مسير بصوت باطني يوحي إليه بما يقول وبما يفعل أي أن الآلهة تأمره بأن يفعل ذلك ليحث الناس جميعا على المعرفة الكلية للفضيلة التي تكمن في طبيعتهم - وأن فلسفته تدور في جملتها حول موضوع واحد هو الإنسان حيث قال **[أن جل اهتمامي ليس بأسرار الله، وإنما بفعل الإنسان]** - فإن

---

١ - أمانويل كانت - تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق - مرجع سابق - ص٣٣.

هذه الأمور قد دفعت شيشيرون أشهر فقهاء وخطباء الرومان إلى القول بأن [سقراط قد أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض] (١).

ورغم أن التفسير الفلسفي لسقراط بأن أصل الفطرة الخيرة لا يصلح بمفرده دون دعم خارجي على أن يجعل الإنسان يعيش خيرا طوال حياته يتشابه تماما مع تفسير فلاسفة الشرق الذين اشتركوا في تأسيس مذهب الفطرة الخيرة، إلا أن سقراط قد عبر في منهجه الفلسفي عن هذا الدعم الخارجي الذي يصقل وينمي الفطرة الخيرة بأسلوب آخر عن الذي اتبعه فلاسفة الشرق - وذلك لأن فلاسفة الشرق الذين أشرنا إليهم قد اتفقوا جميعا بأن صقل وتنمية أصل الفطرة الخيرة عند الإنسان يكون من خلال عوامل التربية الصالحة والتهذيب الحسن والتعليم النافع والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية وغير ذلك من العوامل السابق الإشارة إليها - في حين أن سقراط قد سلك طريقا آخر في ذلك وجعل منهجه في صقل وتنمية أصل الفطرة الخيرة للإنسان يرتكز على ثلاث دعائم **الأولى: تنقية وتطهير الأذهان** - من كل المعلومات الضارة والخرافات المضللة والقضايا الكاذبة

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p80.

والمعارف الخاطئة لتبقى مستعدة ومتهيئة لتلقى الحقيقة - وهذا يشابه ما يسمى عند علماء المسلمين **[التخلية قبل التحلية]** **الثانية: التولد** - وينبني على استنباط الحقيقة عن طريق الحوار مع الناس في نسق منطقي وترتيب فكري لاستخراجها من نفوسهم وما طبعت عليه من معان فطرية - **والثالثة : الغرس** - ومعناه أن يتلقى العقل المعرفة الكلية للحقائق الثابتة والمفاهيم الأصولية للفضيلة أو الحكمة حتى يعلم الإنسان الخير ويفعله ويعلم الشر والضرر ويبتعد عنه.

إن رقى فلسفة سقراط قد جعلت معظم المؤرخين يعقدون الرأي على أنه كان في تاريخ الفكر اليوناني بل والإنساني من القوة بحيث أتيح لاسمه أن يشطر الفلسفة اليونانية إلى شطرين ما قبله وما بعده[١].

---

١ - د. محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٧٤، ص٧٥.

- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص

ماركوس أوريليوس

من أشهر فلاسفة الرومان الذين اعتنقوا منهج الفلسفة الرواقية ودعم أصولها ومبادئها في الفكر الفلسفي الروماني بما كان يملك من شخصية وجاه وسلطان - ولد في عام ١٢١ ميلادية ومنذ صغر سنه كان شغوفاً بالفلسفة وحب الحكمة - ولشدة إعجابه بفكر وفلسفة **سقراط وديوجين وزينون وسينكا وابكتاتوس** تعمق في دراسة مناهجهم الفلسفية إلى جانب دراسة فكر وآراء فلاسفة الشرق حتى أصبح على درجة كبيرة من العلم والمعرفة وصاحب فكر فلسفي لامع لمفاهيم الفلسفة الرواقية ولذا عاش حياة البساطة والتقشف في شبابه وهو مرتاح البال وسعيد بمحبة كل الناس إلا أنه عندما بلغ الثامنة عشر من عمره ارتفع قدره من فيلسوف فقير إلى فيلسوف أمير بعد أن اختاره عمه الإمبراطور الروماني **انطونيوس** في عام ١٣٩ ميلادية ليكون وريثة على العرش بعد وفاته.

وبالفعل بعد أن مات عمه في عام ١٦١ ميلادية جلس هذا الفيلسوف الرواقي على عرش الإمبراطورية الرومانية وكان يبلغ من العمر في ذلك الوقت أربعين عاماً كما ورث ثروة طائلة لم يكن يرغب فيها، واستمر في الحكم دون أن يهدأ في نشر فكره الفلسفي عن الرواقية

حتى مات وهو على كرسي العرش في عام ١٨٠ميلادية[1].

ورغم أن الفلسفة الرواقية قد اشتركت في تأسيس مفاهيم مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة في العصر اليوناني، إلا أن ماركوس أوريليوس وإن كان من ضمن فلاسفة الرواقية في العصر الروماني قد أضاف بفكرة الفلسفي رونقا متسعا وتعبيرا واضحا ومقنعا لمفاهيم الرواقية عن الفطرة الخيرة كما جعل هذه المفاهيم تسير في مسارات صحيحة داخل الفكر الفلسفي الروماني وتنتشر في معظم أرجاء الإمبراطورية الرومانية وعلى الأخص خلال الفترة الأخيرة من حكمة بعد أن انتصر بفكرة الهادي على الفتن والمؤامرات التي دبرت ضده[2] – وعلى هذا الأساس قد اعتقد بفكرة العميق أن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية واحدة وأن هذه الطبيعة قد فطرت على الخير، وأن الشر ليس إلا وليد البيئة الاجتماعية والطبيعية الفاسدة التي تحيط بالإنسان والظروف القاسية التي يتعرض لها أثناء حياته، وأن هذه العوامل خارجية وبعيدة تماما عن الشخصية الذاتية للإنسان وعن شكله

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p161.

٢- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرج سابق - ص ٣٧.

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثالث من المجلد الثالث - قيصر والمسيح ترجمة محمد بدران - اختارته واتفقت على ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ - القاهرة - ص٥١ وما بعدها.

وعن تكوينه العضوي، ولها قدرة في حالة عدم التصدي لفسادها أن تدفع سلوك الإنسان إلى ارتكاب الجرائم أو أفعال الشر عموما وتحوله من إنسان خير بطبعه إلى إنسان مجرم أو شرير[1]. وقد عبر عن ذلك بالقول [**إننا جميعا أخوة، ومن طبيعة إنسانية واحدة، فطرت على الخير بحكم العناية الإلهية، فلا يسعني أن أغضب من اخوتي أو أقطع صلتي بهم لأننا قبلنا بحكم الوجود في الحياة الإنسانية أن يعين بعضنا بعضا كاخوة من أسرة بشرية واحدة... فأرفض دائما أن تكون روحا صغيرة تحمل جسدا كبيرا لأنه يجب أن تكون العكس حتى تكون بطبيعتك الخيرة أخا رحيما وعطوفا لاخوتك في كل بقاع الأرض..**]

وقال أيضا تعبيرا على أن الفطرة الخيرة لا تصلح بمفردها على أن تصون الإنسان طوال حياته من براثن الشر دون أن يدعمها ويصقلها بعوامل خارجية حسنة تغذي أواصرها حتى يبتعد عن ارتكاب الجرائم ويصمد في مواجهة الرذائل والانحراف نحو الملذات والشهوات بأن [**غاية المخلوق العاقل هو أن ينمي فطرته الخيرة بأفضل المبادئ الأخلاقية والمثل العليا حتى يصون نفسه من كل الاغراءات التي تهدد طبيعته الخيرة وسلوكه**

١- د. ذكي نجيب محمود، د. أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣١ وما بعدها.

المستقيم، ليعيش حياة هادئة ومليئة بالحب والسعادة ويمتنع بكل قوة وإرادة سليمة عن الانزلاق نحو الانحراف وارتكاب الجرائم التي تصيب وحدة الإنسانية بالآلام والمكايد والأحزان][1].

وإذا كان ماركوس **أوريليوس** قد اعتقد تماما بأن المؤثرات التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم أو الشر عموما جميعها نابعة من عوامل خارجية، إلا أنه كفيلسوف رواقي قد اعتبر أخطر هذه العوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي هي نفس الأمور التي نهت عنها الفلسفة الرواقية وأهمها يتلخص في الآتي:

١- التردد وضعف القدرة في مواجهة الإغراءات والشهوات والانغماس في الملذات.

٢- الإهمال في تدعيم النفس بالفضيلة والمفاهيم الأساسية للأخوة الإنسانية.

٣- عدم الاحتكام إلى العقل فيما يرتكب من أفعال وأقوال.

٤ - الانفعال والتأثر بأحداث المصائب والكوارث، وضعف القدرة في تحمل المشاق والآلام التي قد تحدث من إصابة أو التعرض لمرض.

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - Pp 162 ets.

٥- عدم الاعتماد على النفس فيما يتخذ من قرارات وأعمال واللهث وراء الأوهام والخرافات دون وعي أو إدراك.[١]

وأيضا قد اعتبر العوامل الصالحة في الفلسفة الرواقية وهي التي تتمثل في الوصايا الأربعة المشهورة لهم وهي [احتمل - كف بنفسك - ساير الطبيعة - اطع العقل] هي أهم العوامل التي تصون وتصقل الفطرة الخيرة للإنسان وتجعله يعيش طوال حياته إنسانا فاضلا، وهادئ النفس ومرتاح البال ومشبع بمحبة الجميع[٢] - وفي ذلك يقول [الإنسان يقدر على أن يحافظ على طبيعته الخيرة وروحه الطاهرة وسلوكه المستقيم - إذا تخلص من حالات التعاظم والتباهي، وامتنع عن الترف ورغد المعيشة وتكيف مع الطبيعة ببساطة ورفق ...، وتحرر من الألم واللذة...، وتقبل بكل سرور وقناعة كل ما يصيبه من أحداث باعتبارها قدر ومن صنع الإله الأعظم الذي هو صنعه أيضا...، ويعلم جيدا بأنه لا يوجد شيئا يمكن أن ينفصل عن المجتمع وينتسب إليه وحده ....، ويطع عقله في كل شيء ويمتنع عن كل الأعمال التي فيها

١ - د. عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - القاهرة ١٩٤٥ - مكتبة النهضة المصرية - ص١٥ وما بعدها.

١ - د. بطرس بطرس غالي، د. محمود خيري عيسى - المدخل لعلم السياسة - القاهرة ١٩٥٩ - مكتبة الأنجلو المصرية - ص١٠٦.

- د. أحمد سويلم العمري - أصول العلاقات السياسية الدولية - مرجع سابق - ص٤٧.

- د. أبو بكر محمد ذكرى - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص٣٢ وما بعدها.

رعونة أو كذب أو رياء ...، ويعلم أنه من ضمن أفراد أسرة بشرية واحدة يجمعها الأخوة الشاملة حتى يخلص تماما في مشاركة الآخرين وجدانيا ويتسع صدره دائما بين الحين والآخر ليضم بداخله محبة صافية وشاملة للجميع دون ملل أو كلل...، ويعتدل دائما في حديثه وأفعاله وعواطفه وأفكاره ويتجنب الإسراف في الطموح...، ويقوي اتزانه وزمام أموره ...، ويرضى بطيب خاطر وبال مرتاح ما قدر له ...، ويذعن بنفس طيبة لمشيئة الله في كل شيء ...، ويبعث في نفسه دائما الثقة والرزانة طوال حياته ...]

ورغم أن **ماركوس أوريليوس** هو ثالث فيلسوف رواقي في العصر الروماني حيث سبقه في اعتناق الفلسفة الرواقية الفيلسوف **سنكا** [٤ ق.م - ٦٥٠م] الذي عاش في بلاط الإمبراطور الطاغي [**نيرون**] ونتيجة تمسكه بمبادئ الرواقية أعدمه بقطع شريانه، والفيلسوف **ابيكتاتوس** [٦٠ - ١٢٠م] الذي كان من أشهر معلمي الرواقية في النصف الثاني للقرن الأول الميلادي رغم أنه كان عبدا ويذوق أشد ألوان العذاب من سيده دون أن يتألم - إلا أن **ماركوس أوريليوس** من خلال صفته كإمبراطور لأكبر وأقوى إمبراطورية عظمى في ذلك التاريخ قد انتشر فكرة الفلسفي عن الرواقية وعن مفاهيم الفطرة الإنسانية الخيرة وعن أثر العوامل الخارجية في

تفسير السلوك الإجرامي أكثر منهما حيث دوى بصوت واضح ومسموع في كل أرجاء الإمبراطورية التي كانت تسيطر في ذلك الوقت على معظم المجتمعات المتحضرة في شرق وغرب العالم القديم، ولذلك فإن ما قاله [**ما دمت إمبراطورا فمدينتي هي روما ولكن ما دمت إنسانا فوطني هو العالم ..**] يعطي تعبيزا صادقا عن مدى انتشار فكرة الفلسفي في معظم أرجاء العالم القديم(١).

تعقيب :

بناء على ما تقدم، وبما هو ثابت في سجلات تاريخ الفكر الإنساني القديم - يتضح أن أفكار وآراء مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة والتفسيرات التي طرحت في ضوء مفاهيم هذا المذهب عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي كانت أوسع انتشارا في مجتمعات العالم القديم عن أفكار وآراء مذهب الفطرة الشريرة وتفسيراته لظاهرة الإجرام - هذا بالإضافة إلى أن معظم

---

١ - راجع في ذلك بالتفصيل:

Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - p53

- د. عثمان أمين الفلسفة الرواقية - مرجع سابق - ص ٢٥ وما بعدها
- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثالث - قيصر والمسيح - مرجع سابق - ص٨٢ وما بعدها.
- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣٠.
- د. زكي نجيب محمود، د. أحمد أمين قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٢٦ - وما بعدها.
- د. سعد محمد الشناوي - مدى الأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي - فقه مقارن - مقارنات والفكر الغربي - الطبعة الثانية ١٩٨١ - ص٣٧٥ وما بعدها.

الشرائع والقوانين الجنائية في المجتمعات الحضارية القديمة قد تأثرت بمفاهيم وتفسيرات هذا المذهب - مثل الشرائع والقوانين الصينية التي صدرت في عهد إمبراطورية هان الغربية والشرقية وتأثرت بفكر وفلسفة كونفوشيوس خلال الفترة من [٢٠٢ق.م - ٢٢٠م] وكونفوشيوس من أشهر الفلاسفة المؤسسين لهذا المذهب وتفسيراته[١] - والقوانين الفارسية التي صدرت منذ بداية القرن الخامس قبل الميلاد قد تأثرت بفكر وفلسفة زرادشت ، وزرادشت أيضا من أشهر المؤسسين لهذا المذهب وتفسيراته[٢] .... وحتى القانون الروماين الذي أصبح قانون الشعوب الحديثة بعد ذلك قد تأثر بالفلسفة الرواقية بعد أن اعتنقها سنكا وابكتاتيوس وماركوس أوريليوس، وأيضا شيشيرون الذي يعتبر من أشهر خطباء وفقهاء الرومان، والفلسفة الرواقية قد اشتركت بقدر كبير في تأسيس مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام[٣].

وأيضا من أسباب اتساع فكر وفلسفة هذا المذهب بين شعوب العالم القديم هو أن جميع الفلاسفة الذين اشتركوا في تأسيسه وقاموا في ضوء مفاهيمه بتفسير أثر

---

١ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص٣٧ وما بعدها.

٢- د. نور الدين اشرافية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٢٢.

٣ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص.٢٣٠.

العوامل الخارجية على السلوك الإجرامي، كان كل واحد منهم فيلسوف متميز وصاحب مدرسة كبرى في الفلسفة المتجهة صوب الإنسان، وهذه المدارس هي التي أسست الأعمدة الرئيسية لحضارة الفكر الإنساني في العصور القديمة، كما أن معظم هذه المدارس قد ربطت في منهجها الفلسفي بين العقيدة الدينية والأخلاق وأصبحت منذ ظهورها وحتى عالم اليوم من ضمن أشهر المذاهب الدينية والأخلاقية في العالم واعتنقها عدد هائل من الشعوب وعلى الأخص في منطقة جنوب شرق آسيا وذلك مثل **البوذية والكونفوشيوسيه والزرادشتية** [١]

وهناك دليل آخر يمحو أي شك في أن مذهب الفطرة الخيرة وتفسيرات عن أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي قد ظهر وانتشر في معظم مجتمعات العالم القديم هو أن كثير من العلماء والمؤرخين قد أكدوا بأن مفاهيم هذا المذهب ومبادئه في المساواة وفي الأخوة الإنسانية وفي فكرة التوحيد وفي السلام والعدل والمحبة الشاملة بين كل البشر، قد مهدت الطريق أمام المسيحية بمبادئها الروحية السامية لكي تنتشر في كل أرجاء العالم القديم، فارتفعت بين الشعوب الصلبان رمزا للفداء والمحبة والتضحية والخلاص وقرعت الأجراس برنينها مؤذنة بميلاد جديد للعالم تهدأ فيه النفوس وتبتر فيه الوثنية

---

1 - Henry Thomas - The great Philosophers - Op. Cit - Pp 16 - 63.

والأوهام والأفكار المضللة، وليسود بين الناس نور الإيمان والمحبة وأسمى القيم والمبادئ الأخلاقية[١].

وأيضا بعد أن انتشر الإسلام بنور الحق والهداية في كل أرجاء العالم - أيد بعض رجال الفقه الإسلامي في العصور الوسطى فكر مذهب الفطرة الخيرة وتفسيره لظاهرة الإجرام - حيث قرروا بأن الإنسان قد ولد وهو يتحلى بفطرة الخير ويحمل في كيانه وفؤاده الأخلاق الفاضلة - وذلك تصديقا لقوله تعالى [فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله][٢] ولقوله تعالى [لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ..][٣] ومعنى ذلك أنه ليس من المعقول أن يخلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم وفطرته شريرة وإنما لابد أن تكون فطرته قد طبعت على الخير وليس الشر، وقوله تعالى [ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا][٤] .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد كرم الإنسان أفضل تكريم وفضله على كافة المخلوقات على أساس أن فطرته مطبوعة على الخير وليس دون ذلك - وأيضا ما

---

٢ - د. نور الدين اشرقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص٢٣٨ - ص٢٤٠.

- شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص٢٣٠.

١ - سورة الروم - الآية ٣٠.

٢ - سورة التين - الآية ٤.

٣ - سورة الإسراء - الآية ٧٠.

رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [كل مولود يولد على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه] ومعنى ذلك أن كل إنسان قد ولد وفطرته طاهرة ومليئة بالإيمان الحق والأخلاق الفاضلة أي ولد وفطرته مطبوعة على الخير وغير ملوثة على الإطلاق بأي عامل من عوامل الشر - ولذا فإن الإنحراف نحو الشر أو الجنوح نحو ارتكاب الجرائم والرذيلة هو وليد عوامل خارجية فاسدة وبعيدة تماما عن أصل الفطرة وهذه العوامل هي التي تحيط بالإنسان مثل التربية المنزلية الفاسدة والخلطة الاجتماعية السيئة، والتعليم الغير نافع، والتلقين المضلل بالأوهام المزيفة والإقناع بالأفكار الملحدة وهذه العوامل لها من القدرة في حالة عدم التصدي لها أن تحول الإنسان الخير بطبعه إلى مجرم أو شرير(١).

وبذلك فليس هناك أدنى شك عن وجود تفسيرات لظاهرة الإجرام في العصور القديمة توضح أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي وأن هذه التفسيرات قد ارتبطت بمفاهيم مذهب الفطرة الإنسانية الخيرة وانتشرت في معظم المجتمعات الحضارية التي

---

١ - راجع في ذلك - فضيلة الشيخ عبدالجواد رجب - مع الله [نظرات في الكون والحياة] تقدم الشيخ محمد الغزالي - الطبعة الثانية ١٩٧٤ - دار الاعتصام بالقاهرة - ص٣٨ وما بعدها - وفضيلة الشيخ عبدالله ناصح علوان - تربية الأولاد في الإسلام - الجزء الأول - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - الطبعة الثالثة ١٩٨١ - ص١٥٢ وما بعدها.

ظـــهرت فـــي العـــالم القديـــم - ولـــم يكـــن انتشـــارها فـــي صـــورة آراء وأفكـــار مبعـــثرة تظـــهر وتتناســـى بين الحيـــن والآخـــر كمـــا يدعـــي بعـــض علمـــاء الغـــرب الذيـــن تخصصـــوا فـــي علـــم الإجـــرام خـــلال العصـــور الحديثـــة وعلـــى الأخـــص خـــلال القـــرن التاســـع عشـــر[١] . وإنمـــا كـــانت فـــي شـــكل نظريـــات علميـــة مرتكـــزة على أسس ومفـــاهيم واضحـــة ولـــم يمســـها طـــي النسـيان طـوال زمان العصـــور القديمـــة والوســـطى وإنمـــا مســـها فقـــط النكـران في العصور الحديثـــة علـــى يـــد هـــؤلاء الذيـــن يحـــاولون بالبـــاطل وبدون أي حق طمـــس حقائقـــها ليكـــون لـــهم الســـبق فـــي تأســيس ما سموه بعلـــم الإجـــرام الحديـــث[٢].

---

١ - د. محمد نجاتي سند - علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٦ وما بعدها.

٢ - د. رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - المقدمة.

الباب الثالث

مفهوم مذهب الفطرة المختلطة
وتفسيـــره لظاهـــرة الإجـــرام

(أثر العوامل الخارجية والداخلية والمركبة في تفسير السلوك الإجرامي)

تقديـــــم :

- إذا كانت مجتمعات العالم القديم قد ظهرت فيها نظريات تفسر السلوك الإجرامي وترجعه أساساً إلي دوافع نابعة من عوامل داخلية في شخص المجرم وتبني هذا التفسير أصحاب مذهب الفطرة الشريرة ، ونظريات أخري تفسر السلوك الإجرامي وترجعه أساساً إلي مؤثرات ناشئة من عوامل خارجية بعيدة تماماً عن الشخصية الذاتية للإنسان وتكوينه العضوي والعقلي والنفسي وتبني هذا التفسير أصحاب مذهب الفطرة الخيرة ، فقد ظهرت أيضاً نظريات أخري أعطت تفسيرات لظاهرة الجريمة لا تتشابه مع التفسيرات السابقة وإن كانت لا تمثل اتجاه تفسيري واحد لدوافع السلوك الإجرامي - وهذه التفسيرات قد قررها وتزعم نشرها في معظم المجتمعات القديمة أصحاب مذهب الفطرة المختلطة الذين ذهبوا إلي القول "كما سبق أشرنا " بأن طبيعة كل البشر ليست واحدة - وإنما بعض الناس قد طبعت فطرتهم علي الخير وهم الأسوياء بطبعهم ولا يمكن أن يتحول أحداً منهم إلي مجرم أو شرير ، وبعض ثاني قد طبعت فطرتهم علي الشر وهم المجرمين بطبعهم ولا يمكن إصلاحهم أو من المستحيل تحويلهم إلي أسوياء ، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم يمكن التأثير عليه وتحويلهم إلي مجرمين أشرار أو أسوياء أخيار بالعوامل الخارجية . وبالتالي فإنه علي أساس اختلاف كل طائفة عن الأخري في الطبيعة الإنسانية قد قرر أصحاب هذا المذهب بأن تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لكل طائفة لا يتشابه مطلقاً مع تفسير الطائفتين الأخرتين ، وإن كانت

تفسيرات الطوائف الثلاثة تختلف تماما مع تفسيرات أصحـــاب مذهبـــي الفطرة الشريرة والفطرة الخيرة السابق عرضها في البابين الأول والثاني

ولكي نوضح مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفســير المؤسســين لــه لظاهرة الإجرام سنعرض دراستنا في هذا الباب علي النحو الآتي :

الفصل الأول :

سنوضح فيه أساس هذا المذهب ومفهوم أنصاره فـــي تفســير ظاهرة الإجرام .

الفصل الثاني :

سنعرض فيه أهم فلاسفة العالم القديم الذين أسسوا مذهب الفطـرة المختلطة ، وقاموا في ضوء مفاهيم هذا المذهب بتفسير ظــاهرة الإجرام كما نثبت من خلالهم وجود تفســيرات فــي العصــور القديمة عن أثر العوامل المركبة في السلوك الإجرامي .

الفصل الأول

أهم أسس ومفاهيم مذهـــب الفطـــرة المختلطة في تفسير السلوك الإجرامي

يشير أصحاب مذهب الفطرة المختلطة وعلي الأخص الفلاسفة الأوائل الذين قاموا بتأسيسه في شرق وغرب العالم القديم - بأنه إذا كان جميع البشر طبيعتهم الإنسانية ليست واحدة ، وإنما منقسمون من حيث أصل الفطرة وتفسير ظاهرة الإجرام إلي ثلاثة طوائف ، **الأولي** : تضم الأخيار بالطبع ، **والثانية** : تضم الأشرار بالطبع ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، ومن الممكن أن يتحولوا إلي أخيار بالعوامل الخارجية الصالحة أو إلي أشرار إذا كانت هذه العوامل فاسدة - إلا أن ذلك لا يعني أن مفهوم أصل فطرة طائفة الأخيار يتشابه مع مفهوم أصل فطرة مذهب الفطرة الخيرة ، ومفهوم أصل فطرة طائفة الأشرار يتشابه مع مفهوم أصل فطرة مذهب الفطرة الشريرة ، أو أن مفهوم أصل فطرة طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر يجمع بين مفهوم المذهبين - وإنما يوجد اختلاف ظاهر بين مفاهيم الطوائف الثلاثة وبين مفاهيم المذهبين الآخرين في تحديد أصل الفطرة وفي تفسير ظاهرة الإجرام (١)

ولكي نوضح مظاهر هذا الاختلاف سنعرض مفهوم أصل الفطرة عند كل طائفة وأساس تفسيرها للسلوك الإجرامي ، وذلك علي النحو التالي :

أولا : بالنسبة لطائفة الأخيار بالطبع .

يقول أصحاب هذا المذهب بان طائفة الأخيار بالطبع هم الذين ولدوا وطبيعتهم مفطورة تماما علي الخير - ولا يمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار إذا تعرضوا لعوامل خارجية فاسدة ، كما لا يمكن أن

---

1 - C . Flugel – Man , Morals and Society . Op . cit . P 31 ets .

يرتكبوا أي جريمة إلا إذا فرضت عليهم ظروف قاسية أو طارئة أو قهرية ليس من السهل دفعها أو الإفلات منها - ولذلك فإن مفهوم مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لأصل طبيعة طائفة الأخيار يختلف عن مفهوم مذهب الفطرة الخيرة السابق عرضه في الباب الثاني ، الذي يقرر بأن الأخيار بالطبع من الممكن أن يتحولوا إلي مجرمين أشرار إذا تعرضوا لعوامل خارجية فاسدة نابعة من البيئة الاجتماعية أو الطبيعية التي يعيشون فيها [١] وأيضا تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الأخيار بالطبع يختلف عن تفسير مذهب الفطرة الخيرة لظاهرة الإجرام ، وتتلخص أوجه هذا الاختلاف في الأتي :

١- الطبيعة الخيرة التي فطر عليها أفراد هذه الطائفة عند ميلادهم ، نقية تماما ولا يوجد بها مطلقا أي أثر للإجرام أو الشر ، وأن هذه الطبيعة صلدة تماما وتملك القوة بمفردها علي أن تظل صافية وتجعل الإنسان يعيش طوال حياته خيرا بالطبع - أي عكس مفهوم أصل طبيعة مذهب الفطرة الخيرة التي لا تصلح بمفردها علي أن تجعل الإنسان يظل دائما من الأسوياء أي خيرا بطبعه وإنما لابد أن تساندها عوامل أخري خارجية مثل التعليم النافع والتربية الحسنة والتهذيب الصالح والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية [٢]

٢- الدوافع النابعة من العوامل الخارجية الفاسدة التي يعتقد أصحاب

١- د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٠

٢ - محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي - تهذيب الأخلاق - طبعة ١٣٣٢ هجرية - وأعيد طبعه ومراجعته بمعرفة د /عبدالرحمن حسن محمود عام ١٩٨٦ م - القاهرة - مكتبة عالم الفكر - ص ١٤ .

مذهب الفطرة الخيرة بأنها هي التي تحرك سلوك الإنسان نحو ارتكـــاب الجرائم ، لا تحدث في اعتقاد أصحاب مذهب الفطرة المختلطة أي أثـــر في سلوك أفراد طائفة الأخيار بالطبع ولا يمكن أن تعكر صفو طبيعتـــهم الخيرة .

٣- طبيعة أفراد طائفة الأخيار بالطبع أقـــوى مـــن البيئـــة الطبيعيـــة والاجتماعية التي يعيشون فيها لأنها لا تتأثر بها وإنما هي التـــي تؤثـــر فيها ، حيث تملك القدرة علي أن تنشر فيها القيم والمبـــادئ الصالحـــة النابعة من أصلها الخير – وهذا عكس ما يقرره أصحاب مذهب الفطـــرة الخيرة حيث يعتقدون بأن البيئة التي تحيط بالإنسان أقوي من طبيعتـــه الخيرة وأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها (١)

٤- لا يمكن لأفراد طائفة الأخيار بالطبع أن يرتكبوا أي جريمة تحـــت أي مؤثرات أو دوافع خارجية – إلا في حالة الضـــرورة القصـــوي أو الظروف القهرية التي ترغمهم علي ارتكابها مثل حالة الدفاع الشـــرعي عن النفس أو المال أو العرض أو لإنقاذ حياتهم من الـــهلاك ، أو مـــن خطر مفاجئ سيلحق بهم ضررا جسيما وبذلك فإذا ارتكبوا أي جريمـــة نتيجة تعرضهم لهذه الظروف القاسية فإن هذا لا يعني بأن لديهم ميـــول إجرامية ، وإنماأجبروا وأرغمت إرادتهم علـــي ارتكابـــها وطبيعتـــهم مازالت خيرة ، وذلك مثل من يقوم بدفع إنسان كان يقف أمامه ويطرحه أرضا ويصيبه من أجل الفرار من حريق مدمر أو من منزل ينـــهار أو

---

١ - د / محمد بيصار – العقدية والأخلاق – مرجع سابق – ص ٢٠٢

من يقوم بارتكاب جريمة سرقة من أجل إنقاذ حياته من هلاك الجوع أو العطش ، ففي هذه الحالات لا يعتبر مرتكبها مجرما أو لصا وإنما اندفع إلي ارتكابها وطبيعته كما هي خيرة و صلدة عندما أحس بأن حياته في خطر أو أنها سوف تهلك ولا سبيل لإنقاذ نفسه إلا بهذا العمل الغير سوي .

بعض أنصار مذهب الفطرة المختلطة يروا بأن الجرائم التي ترتكب بدون قصد كالإصابة خطأ أو القتل الخطأ تأخذ نفس صفة الجرائم التي قد يرتكبها أفراد طائفة الأخيار عندما يتعرضون لظروف قاسية علي أساس أنها تفتقد أيضا لركن العمد والذين ارتكبوها ليست لديهم ميول إجرامية – في حين يري البعض الآخر وهم يمثلون الأغلبية بأن هذه الجرائم لا تأخذ نفس الصفة لأنها تخلوا من حالة الضرورة ويتوافر فيها عنصر الإهمال الذي يجب ألا يوجد مطلقا في صفات أفراد طائفة الأخيار بالطبع الذين يتميزون دائما بالحكمة والحيطة والحذر [١]

٥- أفراد طائفة الأخيار نيتهم دائما حسنة ويسعوا طوال حياتهم إلي تحقيق الخير ونشر كل العوامل الصالحة في المجتمع – وهم أول من يشعرون بآلام الناس ومصائبهم – ويجتهدوا بكل ما يملكون من قوة في تخفيف هذه الآلام والمصائب عنهم – ويشعرون بالسعادة والسرور إذا

1- Allan Bloom – the closing of the American Mind : How Higher Education Has Failed Democracy and inpouerished the souls of todays studrmis . Simon & schuster . New York – 1988 – p 16-20

تحقق للناس خيرا لأن طبيعتهم نقية ولا تعرف أي معني للكراهية والحقد والحسد والضغينة (١) .

٦- في حالة ارتكاب أحد أفراد هذه الطائفة لأي جريمة نتيجة تعرضه للظروف القاسية أو القهرية السابقة الإشارة إليها - فإنه يشعر بعد ارتكابها بألم شديد وعذاب ضمير قاس بسبب ما أحدثه من ضرر للمجني عليه ، ولذلك يقوم علي الفور بعد أن تزال عنه حالة الخطر أو حالة الظروف القهرية بإصلاح ما أحدثه من ضرر للمجني عليه طواعية وبدون أن يلزمه أحد لكي يرضيه ويأخذ منه التسامح ليرتاح ضميره (٢) وعلي هذا الأساس فإن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة يعتقدون تماما بأن طائفة الأخيار بالطبع جميعهم أصلهم طيب وملئ بالخير ، وأنهم مثل المعادن النفيسة كالذهب والماس والألماظ التي لا تصدأ أو تتغير أو تتبدل من زمان لزمان أو من مكان لمكان حتي لو كانت العوامل الخارجية التي تحيط بهم شديدة الفساد وأن جميع العلماء والحكماء والأدباء والفلاسفة وأصحاب الفضيلة والقدسيين الذين ظهروا في مجتمعات العالم القديم كانوا من ضمن أفراد هذه الطائفة (٣)

ثانيا : بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع .

وهم الذين ولدوا وطبيعتهم مفطورة تماما علي الإجرام والشر ، ولا يمكن إصلاحهم أومن المستحيل تحويلهم إلي أسوياء أخيار بأي عوامل

---

١ - د / محمد بيصار - العقدية والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٣ .

2 - I . C . F lugl . Man , Morals and Society . op - cit - P . 29

- ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧

خارجية صالحة مثل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بـــالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية حتى لو كثفت لهم هذه العوامــل وفرضــت عليهم قواعد قانونية شديدة الحزم أو وقعت عليهم عقوبات بالغة القســوة وبالتالي فإن مفهوم أصل طبيعة هؤلاء يختلف تماماً عن مفهوم مذهــب الفطرة الشريرة السابق عرضه في الباب الأول حيث يقرر أصحابه بـأن الأشرار بالطبع من الممكن علاجهم وتحويلــهم إلــي أســوياء أخيــار بالعوامل الخارجية الصالحة [١] – ولذلك فإن تفسير ظـــاهرة الإجـرام بالنســبة لطائفــة الأشــرار بــالطبع يتخلـــص فـــي الآتـــي :

١- أن الشر والإجرام قد تملك تماماً طبيعة أفراد هذه الطائفة وتوغل في كيانهم منذ ميلادهم ، وجعلهم غير قادرين مطلقاً أثنـــاء حياتــهم علـــي اكتساب أي عوامل خارجية صالحة تعالج طبيعتهم الشريرة وتحولهم إلي أسوياء أخيار .

٢- طبيعتهم الشريرة صلدة تماماً ولا يمكن علي الإطلاق ترويضها بأي وسيلة من وسائل الإصلاح أو العلاج – ومن المستحيل كبــح جماحــها وتحجيمتفاعلاتها في تحريك السلوك نحو الإجرام أو الشر عموماً بـــاي عوامل أو مؤثرات خارجية صالحة [٢]

٣- طبيعة أفراد هذه الطائفة أقوي من البيئة الطبيعية والاجتماعية التـــي يعيشون فيها لأنها لا تتأثر بها وإنما هي التي تؤثر فيهاوتملك القدرة علي

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

2- jean pinatel – Lombroso et la Criminalogie – paris – 1977 – p . 541 . ets .

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٧ .

أن تنشر فيها الإجرام وأمور الفساد والإنحلال والفوضى وهذا عكس ما يقرره أصحاب مذهب الفطرة الشريرة حيث يعتقدون بأن البيئة التي تحيط بالإنسان أقوي من طبيعته الشريرة وأنها هي التي تؤثر فيه ولا يؤثر هو فيها في حالة ما إذا كانت صالحة وعامرة بالفضيلة والحكمة والأخلاق الطيبة .

٤- أفراد هذه الطائفة لهم ميل أصيل للإجرام مغروس في طباعهم ولا يمكن أن يحدوا عنه ، وبالتالي ليس لديهم أي استعداد للالتزام بالقوانين والأحكام الرادعة ، ولا يجدي فيهم مطلقاً أي عقاب مهما بلغت قسوته وتنوعت أساليبه .

٥- جميع أفراد هذه الطائفة غير قادرين تماماً علي التكيف مع أي بيئة صالحة حتى لو قدمت لهم رعاية متميزة أو عناية خاصة للحد من سلوكهم الإجرامي .

٦ - أفراد هذه الطائفة غير قادرين مطلقاً علي اعتناق أي قيم أو مبادئ دينية أو أخلاقية صالحة ، كما لا يمكن إجبارهم علي الالتزام بالعادات والتقاليد الحسنة التي توجد داخل المجتمع [١] .

٧ - كل أفراد هذه الطائفة نيتهم دائماً سيئة ، ويقوموا طوال حياتهم بارتكاب الجرائم ونشر الفوضى والفساد والانحلال داخل المجتمع - وهم لا يشعرون مطلقاً بآلام الناس ومصائبهم - ويفرحوا إذا تحقق في

---

1 - Thomas Hobbes – leuiathan – op . cit . p 119 ets .
- G. F . F . Hegel – the phenonenology of Mind – Op . cit . 140 ets .
- د / أبو بكر محمد دكري - تيسير فلسفة الأخلاق - مرجع سابق - ص ٧٧

المجتمع شرا أو كارثة وذلك لأن طبيعته فاسدة ومليئة بالإجرام والحقد والحسد والضغينة وكل أمور الشر .

٨- لا يشعر مطلقا أي فرد من أفراد هذه الطائفة بأي ندم بعد أن ينتهي من جريمته حتى لو كانت جسيمة ومثلت خطورة بالغة في المجتمع الذي يعيش فيه - كما لا يشعر بأي ألم نفسي أو بتأنيب للضمير بسبب ما ارتكبه من جرم وأحدث به ضررا للمجني عليه - وذلك لأن جميع أفراد هذه الطائفة عدماء الضمير وفاقدين تماما الإحساس بآلام الآخرين (١)

٩ - جميع أفراد هذه الطائفة يندفعون نحو ارتكاب الجرائم بلا مبالاة وبدون خوف أو تردد لأن الاستعداد الإجرامي مغروس فيهم ، والجريمة بالنسبة لهم ظاهرة تعبر بوضوح عن الفساد الأصيل الموجود في طباعهم الشريرة (٢)

١٠ - قرر المؤسسين لمذهب الفطرة المختلطة في العصور القديمة بأنه يوجد ارتباط وثيق بين أصل طبيعة طائفة الأشرار وتكوينهم العضوي وأن هذا الارتباط قد جعل أفراد هذه الطائفة لهم أشكال وتقاطيع مختلفة إلي حد ما عن أصل الصفات الإنسانية المنتظمة الموجودة في الأفراد الذين طبعت فطرتهم علي الخير والذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، وذلك مثل عدم التناسق في شكل الجسم واختلاف حجم وشكل

---

1 - j . c. F lugel – Man. Marals and society – Op . Cit – P 166 ets

- د / عبدالرحمن بدوي - الأخلاق النظرية - وكالة المطبوعات بالكويت - طبعة ١٩٧٥ - ص ٧٧ - ٨٦

٢ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ١٨ وما بعدها .

الرأس وتشويه العينين ، وعدم تناسب وانتظام تقاطيع الوجه ، وقصـــر الرقبة وكبر الأنف والفم ، وفلطحة الشفتين والطول الزائد في الزراعين وأصابع اليد والقدمين ، وأنه علي اساس هـــذا الشـــكل الغـــير منظـــم والتقاطيع السيئة قد أعتبر أصحاب مذهب الفطـــرة المختلطـــة طائفـــة الأشرار بالطبع يشبهون الحيوانات الشرسة أو الوحـــوش المفترســـة أو الكلاب الضالة ، كما اعتبروهم بهذه الصفات الدميمة والأشكال القبيحـــة يمثلون أعداء البشر والحياة الإنسانية وهذا قد جعل الأسوياء فـــي كـــل المجتمعات القديمة ينظرون إليـــهم بـــالنفور والتقـــزز ، و يعتبرونـــهم كالأرواح الشريرة التي لا هم لها سوي ارتكاب الجرائم ونشر الفوضـــى وكل أمور الفساد .

وهذا الاعتقاد لا يتفق تماماً مع مفهوم مذهب الفطرة الشريرة – وذلـــك لأن أصحاب هذا المذهب قد قرروا بأنه لا يوجد حكم قاطع يشير بـــأن هناك ارتباط وثيق بين أصل طبيعة المجرم أو الشـــرير وبيـــن شـــكله وملامحه (١)

١١- جميع أفراد طائفة الأشرار قد ولدوا بدون ضمير فطري – وحيـــث أن طبيعتهم الشريرة صلدة ولا تتأثر بأي عوامل خارجية صالحة نابعـــة من البيئة التي يعيشون فيها – فإنه من المســـتحيل أن يكتســـب هـــؤلاء ضمير من خلال المران والتجربة – ولذا فإن أفراد هذه الطائفة قد ولدوا

1- Gaston stefani et George levasseur – droit penal general et proc . p . Dalloz – 1971 – P 45 .

- د / علي راشد – فلسفة وتاريخ القانون الجنائي – طبعة ١٩٧٤ – كلية حقوق عين شمس – ص ١٨٧ .
- د / ثناني سند – علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١٦ ، ص ١٧ .

بدون ضمير فطري وسيعيشون طوال حياتهم وهم غير قادرين علي اكتسابه (١)

١٢ - وجود أفراد طائفة الأشرار داخل المجتمع يمثل خطراً دائماً علي الأسوياء نتيجة ميلهم الأصيل للإجرام واندفاعهم المستمر في نشر الفوضى والإنحلال والخروج علانية عن النظام والعادات والتقاليد المتبعة داخل المجتمع (٢)- وحيث لا يرجي إصلاح أمر هذه الطائفة أو ردع أفرادها - فقد طالب أصحاب مذهب الفطرة المختلطة أمام خطورة هؤلاء وللوقاية من إجرامهم وكل أفعالهم الشريرة ، بضرورة عزلهم عن باقي أفراد المجتمع الذين يمثلون الطائفتين الأخريتين حتي لا يختلطوا بهم أو يتعاملوا معهم - كما طلبوا أيضاً ضرورة التخلص من أخطرهم بالإعدام ذبحاً أو حرقاً أو بدفنهم أحياء إذا اسشتدت خطورتهم وعكروا صفو الحياة داخل المجتمع ولم يفلح معهم العزل أو الإبعاد (٣)

وأمام انتشار فكر هذا المذهب وتفسيره لظاهرة الإجرام في المجتمعات الحضارية التي ظهرت في شرق وغرب العالم القديم - قد اتبعت معظم حكومات هذه المجتمعات تلك الوسائل لتحقق الدفاع الاجتماعي والوقاية من الخطورة الناجمة من أفراد هذه الطائفة الشريرة علي الهيئة الاجتماعية - وصفحات التاريخ مليئة بهذه الشواهد وذلك مثل ما نصت عليه قوانين بلاد ما بين النهرين والإغريق والرومان والفرس بما كان يتبع مع

1 - E.Mounier – Traite de Caracrtere . Paris – 1946 – p 708 ets
– Max scheler – le sens de la souffrance – paris – 1963 – p 88
2 - j . c. Flugel – Man, Morals and society – op . cit . p 169
٣ - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص

عتـاة الإجـرام حيـث كـان يتـم التخلـص منـهم بالإعدام ذبحاً أو حرقاً ، وأيضاً ما كان يتخذه ملوك وأباطرة الصين مع أخطر المجرمين بالفطرة حيث كانوا يدفنوهم أحياء أو يمزقوا أجسادهم بمنشار حتي يتخلصوا من شرهم ، وما نص عليه في قانون مانو بالهند القديمة بالنسبة لطبقة المبنونذين حتي اعتبر معظمهم من المجرمين بالفطرة وأمر بعزلهم ، وحرم علي جميع أفراد الشعب الذين يمثلون الطبقات الأخري أن يختلطوا معهم أو يتصلوا بهم أو يلمسوهم حتى يتجنبوا أفعالهم الشريرة وسلوكهم الإجرامي [١] .

وحيث أن النظام الطبقي كان متبع في كل المجتمعات القديمة ، فكانت بعض هذه المجتمعات تلحق طائفة الأشرار بالطبع ضمن طبقة العبيد ، والعبيد في معظم هذه المجتمعات وعلي الأخص المجتمعات الغربية التي مثلها حضارياً الإغريق والرومان لم تكن لهم أي حقوق علي الإطلاق وإنما كانوا مثل الأشياء أو الحيوانات التي تباع وتشتري وكان يجوز للأحرار أن يسخروهم بلا رحمة أو شفقة أو يكلفوهم بالأعمال الشاقة التي تفوق بقدر كبير جداً قدراتهم وطاقاتهم ، كما كان يجوز للأحرار أيضاً أن يعذبوهم بقسوة شديدة قد تصل إلي حد القتل دون أدني مسئولية علي أساس أنهم كانوا يعتبرونهم من أصحاب الطبيعة

---

١ - اندريه كريسون - المشكلة الأخلاقية والفلاسفة - ترجمة الدكتور عبدالحليم محمود - والدكتور / أبو بكر محمد ذكري - طبعة ١٩٧٩ - مطابع دار الشعب بالقاهرة - ص ٥٤ وما بعدها .

الشريرة ، وكان غالباً يتم قيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل الحديدية حتي لا يهربوا ويمثلوا خطراً علي المجتمع [١].

- ونلاحظ من خلال ذلك أن تفسير هذا المذهب لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر لا يختلف كثيراً في جوهره العام أو في مفهوم أساسياته لدوافع المحركة لارتكاب الجريمة عن تلك التفسيرات الخاصة بأثر الفطرة في السلوك الإجرامي التي جاء بها علماء علم الإجرام في العصر الحديث - وعلي الأخص العالم الإيطالي سيزار لمبروزو (Cesar lambroso) الذي ولد في عام ١٨٣٥ م وتوفي في عام ١٩٠٩ م حيث أطلق علي أفراد هذه الطائفة الشريرة صفة المجرمين بالفطرة أو بالميلاد ، وأن كان قد أضاف علي التفسير القديم بعض النتائج التي استخلصها من أبحاثه ودراساته وهي تتعلق بشكل وملامح مجرمين هذه الطائفة ووضعها في مؤلفه الشهير (الإنسان المجرم) (L'homme Crimial) الذي صدر في عام ١٨٧٤م ، وأغفل فيه كل أثر لعامل البيئة والظروف الاجتماعية في نشأة الجريمة [٢]

---

١ - د / عبدالسلام الترمانيني - محاضرات في تاريخ القانون - طبعة ١٩٦٤ - كلية الحقوق - جامعة حلب - سوريا - ص ٦٧ - ص ٦٨

- عمر ممدوح مصطفي - القانون الروماني - الطبعة الخامسة ١٩٦٥/١٩٦٦ - دار المعارف بالقاهرة - ص ١٢٤ وما بعدها

- د / عبدالمنعم البدراوي - تاريخ القانون الروماني - الطبعة الأولي ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ - دار الثقافة بالقاهرة - ص ٦٧ - ص ٧٠ .

٢ - د / رمسيس بهنام - المجرم تكويناً وتقويماً - طبعة ١٩٧٩ - كلية الحقوق - جامعة الإسكندرية - ص ٤٠

- د / مأمون سلامه - أصول علم الإجرام والعقاب - طبعة ١٩٧٩ - كلية الحقوق - جامعة القاهرة - ص ٢٩ -

- د / رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - الطبعة الثانية ١٩٧٢ - دار الفكر العربي - ص ٥١ ، ص ٥٢

- د / جلال ثروت - علم الإجرام - الطبعة الثالثة ١٩٨٩ - ١٩٩٠ - كلية الحقوق - جامعة الزقازيق - ص ١٦ وما بعدها

- وإذا كان لمبروزو ومن اتبعه من العلماء مثل رافائيلي جـارو فـالوا (raffaele Garofalo) (١٨٥١ م - ١٩٣٤ م) قـد توسـعوا فـي تفسيراتهم عن أثر الفطرة في السلوك الإجرامي بالنسبة لأفـراد طائفـة الأشرار بالطبع - فإن هذا التوسع لم يخرج عن كونه مرحلة تطوريـة للفكر الإنساني القديم وليس تفسيراً جديداً ظـهر لأول مـرة . كمـا أن النتيجة التي انتهي إليها لمبروزو بالنسبة لأفراد هذه الطائفة بأنـه مـن المستحيل علاجهم أو إصلاح أمرهم وبأنهم يمثلون أشد الفئـات خطـراً علي الهيئة الاجتماعية ولا سبيل للوقاية من إجرامهم وكـل أفعالـهم إلا بإعدامهم أو بإبعادهم نهائياً عن المجتمع من خلال احتجازهم احتجـازاً مؤبداً [١] وهي نفس النتيجة التي قررها أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع في العصور القديمة والتي سبق أن أشرنا إليها .

ثالثاً : بالنسبة لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر .

يقول أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بأن أفراد هـذه الطائفـة ولـدوا وطبيعتهم أو فطرتهم قد توسطت بين الخير والشر ، وهم يمثلون أعلـي نسبة في مجموع البشر ، وعددهم قد يساوي تقريباً مجموع عدد أفـراد الطائفتين الآخرتين (**الأخيار بالطبع والأشرار بالطبع**) ، ومن خـلال البيئة التي يعيشون فيها وما يلقن لهم من تعليم ومعرفة قد يتحولوا إلـي أخيار صالحين أو إلي أشرار ومجرمين [٢] - وحيث أن هـذا المفـهوم يعني أن أصل طبيعة أفراد هذه الطائفة يختلف تماماً مع أصل طبيعـة

---

١ - د . رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٥٢ .

٢ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٣

الطائفتين الآخرتين - فإن مفهوم أصل طبيعة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وتفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لهم . يتخلص في الآتـــي :

١- أفراد هذه الطائفة ولدوا وفطرتهم تحمل بذور من الخير وقدرمساوي لها من بذور الشر - أي في طبيعتهم ميل إلي الخير وميل آخر يعادلـــه إلي الإجرام والشر .

٢- طبيعة أفراد هذه الطائفة غير صلدة ، ولذا فإنه من الممكـــن جـداً التأثير عليها وجعلها تتحول كلية إلي الخير أو تجنح إلي الإجرام والشر.

٣- طبيعة أفراد هذه الطائفة أضعف من البيئة الطبيعيـــة والاجتماعيـــة التي يعيشون فيها ولذا فإنها تتأثر بها ولا يمكن أن تؤثر هي فيها وهـــذا عكس طبيعة أفراد الطائفتين الآخرتين لأنهما أقوي من البيئة ويؤثـــران فيها دون أن يتأثرا بها علي الإطلاق (١)

٤- ضمير افراد هذه الطائفة فطري ومتأرجح بين سمات الخير وبراثـن الشر ، ومن خلال المران والتجربة قد يكتسب النقاء والصلاح وتتوقـف فيه تفاعلات براثن الشر وقد يكتسب العكس وتتوقف فيه كـــل ســمات الخير والفلاح ويصبح متحركاً فقط بسموم الحقـد والحسـد والكراهيـة والضغينة والخداع والغش والخيانة (٢)

---

١ - رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ١٩

- R . Le senne – Traite de Morale generale – poris – 1947 – p . 628
- j .c . Flugel . Man, Morals and society – op . cit – p . 91 .

2 - E . Boiroc . Lecons de Morale – paris . 1910 – p . 7 ets
- le senne – Traite de Morale generale – op . cit – p 314

٥ - والدوافع والمؤثرات التي تحرك سلوك أفراد هـذه الطائفـة نحـو ارتكاب الجرائم وأمور الشر الأخري ترجع إلي عوامل داخلية موجـودة في أصل فطرتهم مع عوامل أخري خارجية فاسدة نابعـة مـن البيئـة الطبيعية الاجتماعية التي يعيشون فيها - أي أن ظاهرة الإجـرام عنـد أفراد هذه الطائفة تكون بسبب عوامل مركبة بعضها داخلي في شـخص الجاني والبعض الآخر خارجي موجود في البيئة التي يعيـش فيـها - وعلي هذا الأساس قد انفردت طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخـير والشر بتفسير متميز للسلوك الإجرامي عن تفسيرات المذاهب الفطريـة الأخري التي لا تقرر سوي عوامل واحدة فقط كأثر للسلوك الإجرامـي وذلك لأن مذهب الفطرة الشريرة لا يعترف مطلقاً إلا بالعوامل الداخليـة الموجودة في أصل طبيعة الإنسان كأثر للسلوك الإجرامي ويؤيـده فـي ذلك مذهب الفطرة المختلطة بالنسبة لطائفة الأشرار بـالطبع ومذهـب الفطرة الخيره لا يعترف بأي دوافع أو مؤثرات تحرك السلوك الإجرامي إلا إذا كانت نابعة من العوامل الخارجية الموجودة في البيئة التي تحيـط بالجاني (١) .

ورغم أن أصحاب مذهب الفطرة المختلطة قد تصدوا بعنف لكـل مـن عارض رأيهم عن أثر العوامل المركبة في تفسير السـلوك الإجرامـي لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر - إلا أنهم قد انقسموا إلي فريقين من حيث فاعلية كل من العوامل الداخلية والعوامـل الخارجيـة وأيـهما أقـوي فـي بدايـة التـأثير علـي الأخـرى .

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠١ وما بعدها

- thomas Hobbes – leuiathan – op . cit – p . 122
- G . Hegel – the phenomenology of Mind – op . cit – p 145

الفريق الأول : يري أن العوامل الداخلية الكامنة في طبيعة الإنسان هي أكثر فاعلية وأقوي تأثيراً علي السلوك الإجرامي من العوامل الخارجية التي تتفاعل معها في تحريك هذا لسلوك في حين يري **الفريق الثاني :** العكس ويقرر بأن العوامل الخارجية المحيطة بالإنسان والموجودة في البيئة التي يعيش فيها هي أكثر فاعلية وأقوي تأثيراً علي السلوك الإجرامي من العوامل الداخلية الفاسدة التي تستجيب معها في تحريك هذا السلوك .

– وإذا كان هذا الانقسام قد ظل موجوداً طوال العصور القديمة دون أن تكون لأي فريق كفة أرجح عن الأخر [١] ، إلا أنه خلال العصور الوسطي وعلي الأخص بعد ظهور الإسلام قد رجحت كفة الفريق الثاني [٢] ، ثم في العصور الحديثة بعد أن تبلورت فلسفة وحدة الإنسان أصبح عدد الفريق الأول قليل جداً والفريق الثاني يمثل معظم أنصار هذا المذهب [٣]

– والعوامل الداخلية والخارجية التي تعتبر عوامل مركبة في نظر أصحاب هذا المذهب هي نفس العوامل الداخلية التي يقررها أصحاب مذهب الفطرة الشريرة ونفس العوامل الخارجية التي يقررها أصحاب مذهب الفطرة الخيرة ، وحيث أنه قد سبق عرض أهم هذه العوامل في

---

١ - رو ص - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢١
- لويس بازان - وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي - ترجمة محمد جلال عباس - القاهرة - ١٩٨٩ - ص ٣٥ - ٤٢

٢ - محمد أركون - وحدة الإنسان في الفكر الإسلامي - ١٩٨٤ - الجزائر - ص ٥٧ - ٦٥ .

٣ - د رؤوف عبيد - مبادئ علم الإجرام - مرجع سابق - ص ٢١٢ وما بعدها .

الباب الأول والثاني فإننا سنكتفي بذلك حتي نبعد عن التكرار وعن الإطالة في عرض ما هو ليس جوهري في هذه الدراسة .

٦ - إذا تحول أحد أفراد هذه الطائفة إلي مجرم أو شرير ، وارتكب جرائم عديدة - فإنه من الممكن علاجه وتحويله إلي إنسان خير بالعوامل الخارجية الصالحة - لأن طبيعته التي توسطت بين الخير والشر غير صلدة ، ولذا فإن كانت سمات الخير قد توقفت عنده عندما تحول إلي مجرم أو شرير ، فإن العوامل الخارجية الصالحة تملك القدرة علي ان تشعل فيها النشاط مرة أخري لكي تتمكن بقوة في إسكات براثن الشر وإيقاف كل تفاعلاتها المؤثر علي السلوك وبالتالي فإن طبيعة أفراد هذه الطائفة عندما يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار ليست مثل طبيعة طائفة الأشرار الصلدة التي لا يمكن علاجها علي الإطلاق أو كبح جماحها أو تحجيم تفاعلاتها المؤثرة علي السلوك (١)

٧ - إذا قام أحد أفراد هذه الطائفة بارتكاب أي جريمة معينة بعد أن يتحول إلي مجرم أو شرير - فإنه لا يفقد الإحساس تماماً بالندم بعد أن ينتهي من جريمته مثل أفراد طائفة الأشرار بالطبع ، وأيضاً لا يفقد الشعور تماماً بالألم النفسي وتأنيب الضمير بسبب ما ارتكبه من جرم وأحدث به ضرراً للمجني عليه مثل أفراد طائفة الأشرار بالطبع ، وذلك لأن أفراد طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر قد ولدوا

---

١ - د / حسن شحاته سعفان - علم الجريمة - القاهرة - ١٩٦٦ - مكتبة نهضة مصر - ص ١٠١ وما بعدها

بضمير فطري وإن كان متأرجح بين سمات الخير وبراثن الشر[1] وترتيباً علي ما تقدم – لم يكن المذهب التكاملي لعلم الإجرام الذي ظـــهر فـــي منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وتولي زعامته الكثير من علمـــاء أوربا ، علي رأسهم الإيطاليين **بنينـــو ديتوليـــو Beynino Di Tullio ونيكولا بندي N. Pende** والعـــالم الســـويدي **أولـــوف كينـــبرج olof Kinberg** هو أول من قام بتفسير ظاهرة الإجرام وأرجعها إلي عوامـــل مركبة بعضها داخلي في طبيعة الإنسان والبعض الأخر خـــارجي فـــي البيئة والوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه [2] ، وإنما ســـبقه فـــي ذلـــك العلماء والفلاسفة أصحاب مذهب الفطرة المختلطة في العصور القديمـــة عندما قاموا بتفسير السلوك الإجرامي لأفراد طائفـــة الذيـــن توســـطت فطرتهم بين الخير والشر ولذلك فإن المذهب التكاملي لم يكـــن ســـوي مرحلة تطورية للفكر الإنساني القديم عن أثر العوامـــل المركبـــة فـــي السلوك الإجرامي .

– ولكـــي يؤكـــد أصحـــاب مذهـــب الفطـــرة المختلطـــة اعتقـــادهم بأن طبيعة البشر ليست واحدة ويبرهنوا تفســـيرهم لظـــاهرة الإجـــرام

---

1 - Max scheler – le sems de la souffrance – op – cit – p 91
- V . j ankelevitch - La mauvaise conscience – paris. AL can – 1939 – pp 54 – 55
- د / عبدالرحمن بدوي – الأخلاق الفطرية – مرجع سابق – ص ٧٧ – ٨٦

2 - B . Di tullie – principi di Crimenalogia – Roma – 1954 . pp – 7 – 81 .
- N . Pende . trattato di biolipologia umana – Milano 1939 – pp . 11 ets .
- Olof . Kinberg. Les problemes fondomentoux de la criminologe . trad . fr . 1960 – pp 39 – 92 .
- د / رؤوف عبيد – مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب – القاهرة ١٩٨٣ – ص ٨٥
- د / غالي سند – علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١٨٤ وما بعدها .
- د / سلوي توفيق بكير – مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب – القاهرة ١٩٨٣ – ص ٨٥ .

- قد قرروا نفس ما انتهجه أصحاب مذهب الفطرة الشريرة عن مراحل ظهور الجماعات الإنسانية وتطورها عبر التاريخ ولكن بتبرير آخر استندوا عليه كسياج منطقي لانقسام طبيعة البشر إلي ثلاث طوائف،وهذا التبرير يتلخص في الآتي :

* في العهود الأولي لتاريخ البشرية ، وخلال أزمان العصر الحجري القديم كان أفراد الجماعات البدائية وهم يتجولون في الجبال والأحراش والغابات بحثاً عن القوت اليومي لهم ، منقسمون إلي ثلاث طوائف - **الأولي** : الأخيار بالطبع وكان عددهم قليل جداً ، **والثانية** : الأشرار بالطبع وكان عددهم كثير جداً ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وكان عددهم يزيد عن طائفة الأخيار ويقل عن طائفة الأشرار ، وحيث أن الحياة الإنسانية في ذات الوقت كانت قاسية للغاية ، والقوة كانت هي الأساس لجمع القوت وحماية النفس من الأخطار - فقد دخل طائفة الأشرار بالطبع في صراع مرير مع بعضهم البعض بعد صراعهم مع طائفة الأخيار ، ولذلك ساد في هذا العصر مبدأ القوة تنشئ الحق وتحميه .

* بعد أن ظهرت العقائد الدينية وتبلور مفهوم التدين عند الجماعات الفطرية وأصبح لكل جماعة رجال دين تولوا إقامة لطقوس وغرس مبادئ العقيدة الدينية في نفوس الناس إلي جانب تهذيب أخلاقهم وجعلهم يتحلوا بالورع والتقوى - ازداد عدد الأسوياء والصالحين نتيجة تحول بعض من الذين توسطت فطرتهم إلي طائفة الأخيار ... واستمر هذا التزايد إلي أن أصبح عدد الأخيار يزيد عن عدد الأشرار ، وظهر علي أثر ذلك مبدأ تهذيب القوة بالالتجاء إلي نظام التصالح والتحكيم ، ثم

تطور هذا المبدأ مع زيادة عدد الأتقياء والصالحين وظـــهرت مرحلـــة القواعد الدينية لتنظيم العلاقات بين أفراد الجماعة وضبـــط سـلوكهم .

* مع استمرار تطور الحياة الإنسانية وتبلور المفاهيم الدينية والأخلاقيـة والفلسفية عند الناس خلال العصور القديمة ظـهرت القواعـد العرفيـة لضبط سلوك الأفراد بعد أن ظهرت الدولة ثم دونت هذه القواعـــد فـــي شكل شرائع بناء علي أوامر من السلطة الحاكمة أو بناء علي مطـــالب الشعب – وأنه في ضوء هذه الشرائع تم إحكام السيطرة علي معظم أفراد طائفة الأشرار ، أما بإعدامهم للتخلص من خطورتهم علي المجتمـــع أو بقيد حريتهم إلي الأبد في أماكن خصصت لذلك حتي لا يختلطوا بالشعب ويرتكبوا الجرائم داخل المجتمع .

– وبناء علي هذا التبرير يقول أيضاً أصحاب مذهب الفطرة المختلطـــة بأنه لولا وجود طائفة الأخيار ، وطائفة الذين توسطت فطرتهم وتحـــول بعضهم إلي أخيار بالتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بالقيم والفضائل ما استمرت الحياة الإنسانية وتطورت عبر التاريخ ... وأنهم في ضوء هـذا القول قد عارضوا مفهوم التبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطرة الشريرة علي أساس أنه لو كان طبيعة كل البشر مفطورة علـــي الشـــر لكانت الحياة البدائية عبارة عن صراع مستمر ولا بـــد أن تنتـــهي لأن الأقوياء سوف يتخلصون من الضعفاء ثم يدخلون بعد ذلك في صراع مع بعضهم البعض باعتبارهم جميعاً أشرار حتى يقضوا تماماً علي أنفســـهم وبالتالي فإن الحياة الإنسانية كانت ستنتهي في مرحلتها الأولي لو أخـــذ بالتبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطرة الشـــريرة ... وأيضـــاً عارضوا التبرير الذي استند عليه أصحاب مذهب الفطـــرة الخـــيرة ...

علي أساس أنه لو كان جميع البشر طبيعتهم مفطورة علي الخير فمـــن أين أتي الشر ومن الذي ارتكب الجرائم ، ومن المعلـــوم والمؤكـد أن الحياة البدائية كانت مليئة بالصراع وساد فيها مبدأ القوة تنشـــئ الحـق وتحميه .. وأن الشر والإجرام قد ظهر منذ بداية ظهور الحياة الإنسـانية واستمر مع تطورها ولم ينتهي ما دامت هذه الحياة مستمرة ، ويعيـــش فيها الأخيار والأشرار والذين توسطت طبيعتهم بين الخير والشر (١).

وذلك يعتقد أصحاب مذهب الفطرة المختلطة بأن التبرير الذي اســتندوا عليه هو الأساس الذي يعبر عن مراحل تطور الحياة الإنسانية في ضوء مفهوم مذهبهم عن أصل الطبيعة الإنسانية للبشـــر وتفسـيره المنطقـي لظاهرة الإجرام .

---

١ - د / نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ١٥ وما بعدها .
- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٣ وما بعدها .
- لويس بازان - وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي - مرجع سابق - ص ٣٩ وما بعدها .
- محمد أركون - الوحدة الإنسانية في الفكر الإسلامي - مرجع سابق - ص ٦٣ ، ص ٦٢ .
- Thomas Hobbes – Leuiathan – Op . cit – p . 37 ets .

الفصل الثاني

أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة المختلطة وتفسيره للعوامل المؤثرة في السلوك الإجرامي

تقديـــــــم :

تشير المصادر التاريخية بأن الفلاسفة الأوائل الذين اعتقدوا بأن طبيعـــة جميع البشر ليست واحدة وعبروا عن ذلك في منهجهم الفلسفي لم يحددوا بالكامل مفاهيم مذهب الفطرة المختلطة الذي يقرر بأن البشر منقســـمون إلي ثلاث طوائف ، وأن لكل طائفة تفسير معين لظاهرة الإجرام وإنمـــا اكتفوا فقط بالقول بأن طبيعة الناس ليست واحدة وأن بعضهم قد فطـــر علي الخير والبعض الآخر قد فطر علي الشر وعـــارضوا بذلـك آراء أصحـــاب مذهـــب الفطـــرة الخـــيرة ومذهـــب الفطـــرة الشـــريرة (١) وعلي هذا الأساس يعتبر الفلاسفة الأوائل قـــد وضعـــوا فقـــط البـــذور الأساسية لمذهب الفطرة المختلطة دون أن يحــــددوا بالكـــامل مفـــاهيم وتفسيرات هذا المذهب وأصل طبيعة كل طائفة – وأهم هؤلاء الفلاســـفة **بتاح حتب وأفلاطـــون وارســـطوا** وتتخلـــص ســـيرتهم فـــي الآتـــي :

* بتاح حتب Ptah Hotep :

فيلسوف مصري ظهر في عام ٢٧٠٠ ق . م . ولعلمه وفطنتــــه عيـــن حاكم لمدينة ممفيس ، وبعد أن اكتسب شهرة في الحكمة والعدل أختـــاره ملك مصر رئيسا لوزرائه ، وعندما اقتربت حياته من نهايتـــها أعـــتزل منصبه وكرس نفسه لتعليم النشئ والتنديد بالمجرمين الأشـــرار الذيـــن يرتكبون الجرائم ويشيعوا الفوضـــى والانحـــلال داخـــل المجتمـــع (٢) – اعتقد هذا الفيلسوف بأن طبيعة البشر ليست واحدة وإنما بعض النـــاس قد فطروا علي الخير والبعض الآخر قد فطروا علي الشر و أن الذيـــن

---

١ - د / نور الدين إشراقية – معركة الحياة – مرجع سابق – ص

2 - Andre Aymard et jennine Auboyer – op – cit – p . 72 .

فطروا علي الخير قد ظهر منهم العلماء ورجال الدين والحكماء والأتقياء والصالحين ، أما الذين فطروا علي الشر فقد ظـــهر منــهم المجرميــن والسفاحين والطغاة الذين يمثلون خطراً علي المجتمع وعلي هذا الأساس كان دائماً يطالب الذين تتوافر فيهم طبيعة الخير أن يتصدوا بكل قوة لمن تظهر فيهم صفات الطبيعة الشريرة حتى يتغلبوا عليهم وينتصر دائمـــا الخير علي الشر من أجل أن تســـتمر الحيـــاة الإنســـانية وتتطـــور [١] – ونتيجة للشهرة التي اكتسبها بتاح حتب بين فلاسفة العالم القديم – قـــد قال عنه المفكر الأمريكي هنري توماس بأنه { مـــن أوائـــل الفلاســـفة المصريين وأول فليسوف في العالم أعطي أكبر المثـــل فـــي الحكمـــة والفضيلة – كما يعد أيضاً أول فيلسوف في العالم يبرز معنـــــي وحـــدة الإنسانية تحت ألوهية واحدة وبأن هناك إله واحد لجميع البشـــر – وأن مخطوطاته في الحكمة وتعاليم الأخلاق قد أثرت في الفيلسوف اليونـــاني أفلاطون الذي ظهر بعده بما يقرب بنحو ٢٣٠٠ ســـنة ، كمـــا أثـــرت الصورة التي رسمها للرجل المتحلي بالأخلاق في **أرسطو** تلميذ **أفلاطون** عندما رسم صورة الرجل الكامل المتزن الشخصية } [٢]

* **أفلاطون Aflatoon :**

ولد في أثينا عام ٤٢٧ ق . م ، وهو تلميذ سقراط ومن أشـــهر فلاســـفة العالم القديم – ويقول معظم العلماء والمفكرين بأنه قد نزل من الســـماء ليرسم للبشر الطريق الذي يجب أن يسيروا فيه نحو الخير ولذلك أطلـــق

1 - Henry thomas – the Great Philosophers – Op . cit – P . 4

– شارل ورنر – الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٢١ .

2 - Henry Thomas - The Great Philosophers – op . cit – p . 5

عليه فيلسوف المثل والتخطيط لعالم أفضل ، وفلسفته عن المثل تعني أن كل إدراك كلي له حقيقة خارجية تعبر عن صورته ، وهـذه الحقـائق الخارجية هي المثل ، وهذه المثل عديدة كـالعدل والحكمـة والفضيلـة والشجاعة والجمال ، وأن كل المثل تسير نحو المثال الأعلى للخير [١] . وقد أشار في عبارات عديدة عن اعتقاده بأن طبيعة البشر ليست واحـدة مثل قوله بأن { **الناس متفاوتين في طبيعتهم فمنهم من ولد خيراً ومنهم من ولد خبيثاً شريراً – ولذا يجب ألا يقدم العلم والمعرفـة إلا للأفـراد الذين يتميزون بالأخلاق الفاضلة والحكمـة ويطلـق عليـهم الأرواح الذهبية)** [٢] **– وقوله أيضاً .. (أن المثل خالدة إلي الأبد ولكن النفـوس المفردة هي إما خسيسة أو شريفة** } – وعلي هـذا الأسـاس يعتـبر أفلاطون من ضمن الفلاسفة الأوائل الذين وضعـوا البـذور الأساسـية لمذهب الفطرة المختلطة دون أن يحددوا المنهج المتكامل لهذا المذهـب وذلك لأن أفلاطون كان مثل بتاح حتب في الاعتقاد بأن البشر إما أخيار بالطبع أو أشرار بالطبع ولذا لم يشير أحداً منهما في منهجه الفلسفي بأن الناس منقسمون إلي ثلاث طوائف وحدد بوضوح أصل طبيعة كل طائفة وتفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لأفرادها – والدليل علي ذلك أيضـاً أن أفلاطون قد قالها صراحة فـي بعـض كتاباتـه بـأن طبـائع البشـر بين الخـير والشـر ولـم يقـول بـأن هنـاك طائفـة مـن النـاس

---

١ - د / محمد بيصار – الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٩٨ ، ص ١٠٩

٢ - رو صن – وحدة الإنسان في الفلسفة الصينية القديمة – مرجع سابق – ص ١٧

- رؤوف عبد – مبادئ علم الإجرام – مرجع سابق – ص ١

توسطت فطرتهم بين الخير وبين الشر [١] - كما كان يعتقد بأن فلسفة العقوبة يجب أن تتحدد وتسير نحو ثلاث غايات كالأتي :

١- جبر ما حدث من ضرر .

٢- إصلاح من (وما) هو قابل للإصلاح .

٣- اقصاء من لا يرجى له الشفاء .

وهو بذلك يشير بأن البشر منقسمين إلي أخيار وأشرار كما يعبر عن مدي الترابط بين فلسفة العقاب ومفهوم علم الإجرام . [٢]

*** ارسطو Arstoo :**

ولد في عام ٣٨٤ ق . م . بمدينة (اسطاغيرا) التي كانت مستعمرة يونانية وتبعد حوالي ٣٢٠ كيلومتر عن أثينا - وهو تلميذ أفلاطون ومن أكثر فلاسفة العالم القديم شهرة كما أنه أيضا من أفضل ما أنجبته الحضارة الإغريقية للفلسفة العالمية - وحيث أنه يعتبر صاحب أول نظرية للفلسفة العقلية عن الطبيعة ، وأشار كثيرا إلي مفهوم الفطرة الإنسانية وحدد كل معاني الخير والشر [٣] ، إلا أن منهجيه الفلسفي يؤكد تماما بأنه كان مثل بتاح حتب وأفلاطون في الاعتقاد بأن طبيعة البشر غير متحدة وأن الناس أما أخيار بالطبع وإما أشرار بالطبع [٤] والدليل علي ذلك أنه قال بأن { **العقل الكامل هو الله ، ومقياس الرقي والانحطاط هو مقدار ما يتمتع به الكائن من عقل والعقل يعبر عن طبيعة الإنسان إذا كانت خيرة أم شريرة** } ومعني ذلك أنه يشير بفكره الفلسفي بأن الله هو الكمال الكلي للخير باعتباره صاحب العقل الكامل ،

---

1 - Henry Thomas – The Great Philosophers – op . cit – p 108 ets

٢ - د . محمود عز العرب السقا - أضواء علي فلسفة العقوبة (العقوبة العظمي) عقوبة الإعداء - مرجع سابق - ص ٤٥ .

٣ - شارل فرنر - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٢٨ وما بعدها .

4 - Henry Thomas – The Great Philosophers – op . cit – P 108 ets

وأن الفرق بين الإنسان الخير والإنسان الشرير هو مقدار ما يتمتع به كل منهما من عقل ، وأن هناك ارتباط وثيق بين العقل والطبيعة الإنسانية - فالإنسان الخير هو الذي يتمتع بقدر كبير من العقل والإنسان الشرير هو الذي لا يتمتع بالعقل - ولم يشير أيضا بأن الناس ينقسمون إلي ثلاث طوائف وأن لكل طائفة مفهوم خاص عن أصل الطبيعة الإنسانية وعن تفسير ظاهرة الإجرام بالنسبة لأفرادها (١)

- وعلي هذا الأساس يعتبر كل من **بتاح حتب وأفلاطون وأرسطو** هم أشهر الفلاسفة الأوائل الذين ظهروا في شرق وغرب العالم القديم وقاموا بوضع البذور الأساسية لمذهب الفطرة المختلطة - أما الفلاسفة الذين وضعوا المفهوم المتكامل لهذا المذهب وقسموا البشر إلي ثلاث طوائف **الأولي** : تضم الأخيار بالطبع وهم الأسوياء الصالحين في المجتمع ولا يمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أو أشرار بأي مؤثرات خارجية فاسدة ، **والثانية** : تضم الأشرار بالطبع وهم المجرمين الأشرار الذين يمثلون خطرا جسيما علي المجتمع وأن معظمهم لهم وجوه دميمة وأشكال قبيحة ولا يمكن علي الإطلاق علاجهم وتحويلهم إلي أخيار أسوياء بأي عوامل خارجية صالحة ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم قد يتحولوا إلي أخيار أسوياء أو إلي مجرمين أشرار بالعوامل المركبة - فقد ظهروا بداية من القرن الخامس قبل الميلاد وأشهرهم **هان فيي تسي ، وفيلو ، وجالينوس** . ولكي نثبت بأن المفهوم المتكامل لمذهب الفطرة المختلطة وتفسيره لظاهرة الإجرام قد ظهر وانتشر في معظم مجتمعات العالم القديم سنعرض موجز عن منهج كل فيلسوف من هؤلاء الفلاسفة الثلاثة لنحدد مفهومه لمذهب الفطرة المختلطة ومدي تفسيره لظاهرة السلوك الإجرامي .

---

١ - د / نور الدين اشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦

هان فيى تسي

- فيلسوف صيني ولـد فـي عـام ٢٨٠ قبـل الميـلاد فـي مملكـة هـان (Han) أواخـر حقبـة الممـالك المتحاربـة - وهـو مـن أسرة ارسـتقراطية تنتمـي بصلـة القرابـة إلـي الأسـرة المالكـة فـي مملكـة هـان - تعلـم منـذ صغـره مفـاهيم الفكـر الأدبـي والفلسـفي ، وفـي شـبابه كـان دائمـاً يعـبر عـن آرائـه نحـو مفـهوم الحيـاة بصراحـة تامـة وبـدون خـوف أو تـردد .

- أهتـم بدراسـة فكـر الفلسـفة (الطاوية) التـي تنـاقض تمامـاً فكر الفلسـفة الكونفوشيوسـيه ، وتدعـو إلـي الآتـي :

١ - اطـراح الواجبـات التـي يفرضـها المجتمـع ونبـذ كـل الأعمال التي يـترتب عليـها مسئولية .

٢ - اعتناق اللامبـالاة بكـل القيـم والمبـادئ التـي تقيـد حريـة الإنسـان فـي الإنسـجام الكلـي مـع الطبيعـة أي تدعـو الإنسـان إلـي الابتعـاد عـن مسـئوليات الحيـاة الرسـمية واللجـوء إلـي التأمل في مفاتن الطبيعـة والتسـامي بروحـه مـع الماديـات .

أهتم أيضاً بدراسـة القـانون وعلـم الإدارة وركـز أكـثر فيـها بسـبب ما تبين له من وجود ضعـف فـي كيـان المملكـة التـي ينتمـي إليـها وهي مملكة هـان .

ورغم أنه كـان مـن ضمـن تلاميـذ الفيلسـوف (شـيون تسـي) المؤسـس الثـاني لمذهـب الفطـرة الشـريرة كمـا سـبق أن

أوضحنا .. وتأثر كثيرا بفكره الفلسفي إلا أنه لم يسايره في منهجه الفكري ، وإنما اتخذ منهجا فلسفيا آخر مستقل عنه بعد أن انضم إلي مدرسة الشرائعين التي وضع أساسها الفلسفي من قبل المشرعين الأوائل وعلي رأسهم الفيلسوف اللامع (شانج يانج) (١)

ونتيجة اتساع فكر وآراء (هان فيى تسي) وانتشار فلسفته في جميع أرجاء المجتمع الصيني القديم بعد أن أصبح من أكبر زعماء المدرسة الشرائعية ، فقد اعتبره العلماء والمؤرخين من أعظم المشرعين أهمية من الناحية الفكرية ، ومن أكبر المؤسسين للمدرسة الشرائعية بعد المشرعين الأوائل (٢)

وأيضا رغم أن المدرسة الشرائعية قد وضعت في بداية تأسيسها البذور الأولي لمذهب الفطرة المختلطة بعد أن رفضت تماما ما ذهب إليه الفيلسوف كونفوشيوس وأنصاره بأن جميع البشر فطرتهم مطبوعة علي الخير ،

١- ولد شانج يانج في عام ٣٩٤ قبل الميلاد بمملكة تشين ، واستطاع بفكره الفلسفي أن يجعل هذه المملكة قوية ومرهوبه الجانب ، إلا أنه بعد وفاة حاكم هذه المملكة الذي كان دائما يقربه إليه ويكرمه ويصبغ عليه حمايته ويتبني بنفسه تنفيذ سياسته - قام أفراد الطبقة التي جردت من نفوذها وامتيازاتها بسبب آراءه بتمزيق جسده أربا في عام ٣٣٨ قبل الميلاد بعد أن ربطت أطرافه الأربعة في جياد تسير في اتجاهات مختلفة .

٢ - د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٢

- تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٢٨

- جيان بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مرجع سابق - ص ١٦

ولم تقر بالكامل ما ذهب إلي الفيلسوف **(شيون تسي)** بان طبيعة جميع البشر مفطورة علي الشر - إلا أن**(هان فيى تسي)** قد بلور بالكامل مفهوم مذهب الفطرة المختلطة وتفسيره لظاهرة الإجرام في ضوء الاتجاهات الفكرية للمدرسة الشرائعية التي أكمل تأسيسها حيث أشار بأن البشر طبيعتهم غير متحدة ومنقسمون إلي ثلاث طوائف **الأولي** : تضم الذين طبعت فطرتهم علي الخير ، **والثانية** : تضم الذين طبعت فطرتهم علي الشر ولا يمكن أن يتحولوا إلي أخيار ، **والثالثة** : تضم الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وهم قد يتحولوا إلي الخير أو إلي الشر طبقاً لظروف المجتمع وأوضاع السلطة الحاكمة كما علل بفكره الفلسفي الآتي :

١- أن سبب انتشار الجرائم والفوضى والانحلال وظهور روح التمرد والعصيان داخل المجتمع إلي جانب اللامبالاة في أعمال الناس التي تؤدي إلي تدهور الإنتاج وشيوع الفقر وفقد العزيمة في الدفاع عن البلاد ، يرجع إلي ضعف السلطة الحاكمة وغياب القوانين العادلة والرادعة ولا سيما القوانين الجنائية وذلك لأن ضعف السلطة وغياب القوانين يفتح المجال علي مصراعيه أمام طائفة الأشرار بالطبع لكي ينفذوا رغباتهم الوحيدة وهي ارتكاب الجرائم وكل الأفعال الشريرة بالطبع لكي ينفذوا رغباتهم

الوحيدة وهي ارتكاب الجرائم وكل الأفعال الشريرة التي تؤدي إلي انهيار كيان المجتمع .

٢- ترك طائفة الأشرار بالطبع تتحرك بحرية داخل المجتمع تحت أي مسميات أو أي شعارات تنادي بإعطائها حقوق في ذلك - سوف يؤدي إلي هلاك طائفة الأخيار وتحويل طائفة الذين توسطت فطرتهم إلي أشرار .

٣- لا يمكن تحويل طائفة الأشرار بالطبع إلي أخيار بأي وسيلة من الوسائل المتعارف عليها ، وإنما يمكن فقط بالحكمة والعدل عزلهم أو التخلص منهم لإنقاذ المجتمع من جرائمهم ومن مخاطر شرورهم .

٤- تحجيم نشاط طائفة الأشرار بالطبع لايمكن أن يتم بعوامل التربية والتهذيب والتعليم ولا من خلال سلطة الحكومة التي يمثلها أفراد يديرون دفتها وفقا للمبادئ والقيم الأخلاقية [١]

- وحيث أن فلسفة المدرسة الشرائعية قد اتخذت القانون دعامتها الرئيسية وعظمت من شأن الإدارة والتنظيمات الحكومية ، وجعلت من القوة والسلطة محور منحاها التفكيري ، وسبقت بالتالي فكر الماكيا فيلية الذي انتشر

---

١ - رو صن - وحدة الصين في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢٧ وما بعدها
- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٣

في أوربا خلال القرن السادس عشر الميلادي بعد أن أسسه (نيكولوماكيافيلي) (Niccolo Machiavelli) (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م) و هو من أبرز أعلام النهضة الايطالية في الفلسفة السياسية [١] فإن الفيلسوف (هان فيى تسي) قد بلورة أيضاً منهج هذه المدرسة في كيفية تنظيم الإدارة الحكومية لمواجهة طائفة الأشرار بالطبع ومنعهم بكل قوة من ارتكاب الجرائم وكافة أعمال الشر داخل المجتمع من خلال نظم وإجراءات جادة وصارمة ، أهما يتخلص في الأتي :

١- أن يمسك الملك الدولة بيد من حديد ويكون له بصفة مطلقة كل السلطات وحكومته يجب أن تكون ذات طابع مركزي صارم .

٢- أن يمارس الملك وحكومته السلطات المطلقة بواسطة التهديد بتوقيع العقوبات القاسية علي كل من يحاول تحديهم أو يقاوم نفوذهم وسلطانهم بأي صورة من الصور

٣- أن يسن الملك وحكومته قوانين دقيقة تعلن لجميع أفراد الشعب وأن تضم بين طياتها قائمة ضخمة من الجزاءات والعقوبات حتي يكون جميع الموطنين علي علم دقيق بما سيحدث لهم إذا ارتكبوا أي جريمة أو معصية .

٤ - تنظيم أفراد الشعب في جماعات تتألف من عائلات - لتكون كل عائلة متضامنة بالكامل عن سلوك وأفعال كل

---

٢ - برتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع ساب ق- ص ٢٩ .

فـرد فيـها - فـإذا كـان بينـهم شـرير يجـب عليـهم أن يقيـدوا حركتـه وتصرفاتـه حتـي لا يتـم عقابـهم جميعـاً .

٥ - يقتـل كـل شـرير بطبعـه إذا ارتكـب جريمـة قتـل أو ضـرب أو سـرقة - أو حـاول أن يشـيع الفوضـى والانحـلال داخل أي مكـان فـي المجتمـع .

٦- كل من يشـترك مـع شـرير بطبعـة فـي أي جريمـة يقطـع جسـمه قطعتيـن مـن عنـد الخصـر - وكـل مـن يتسـتر علـي شرير بطبعه ارتكب جريمـة معينـة ولـم يبلـغ عنـه توقـع عليـه عقوبة مـن يستسـلم للعـدو وهـي الإعـدام بفصـل الـرأس عـن الجسـم .

٧- كل مـن يبلـغ عـن شـرير بطبعـة ارتكـب جريمـة معينـة ينال من الحكومة مكافـأة مـن يطيـح بـرأس جنـدي مـن جنـود الأعـداء .

٨ - يجب معاقبـة مرتكبـي الجرائـم الصغـيرة عقابـا صارمـا حتـي لا يرتكبـوا الجرائـم الكبـيرة ، ويرتـدع بشـدة كـل شـرير بطبعـه - وذلـك تنفيـذا للمـبدأ الـذي اعتقـده أصحـاب هـذه المدرسةوهو (اسـتخدام العقـاب للتخلـص مـن العقـاب) [١]

- وبذلـك يـري (هان فيـى تسـي) مـن خـلال المنـهج الفلسـفي للمدرسـة الشـرائعية بـأن أفـراد طائفـة الأشـرار

---

١ - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧

- رو صن - وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة - مرجع سابق - ص ٢١

- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

بالطبع لايمكن تحويلهم إلي أخيار ولكن يمكن تقيد نشاطهم الإجرامي وإنقاذ المجتمع من مخاطر أفعالهم عن طريق السلطة القوية والقوانين الجنائية الصارمة ... وفي ذلك يقول في الكتاب الذي ألفه وأطلق عليه أسمه وضم بين دفتيه أكمل صورة لفلسفة الشرائعية (... **السلطة القوية التي تلقى الرهبة في القلوب ، تستطيع إخماد العنف بسهولة ، في حين لا يتأتي للشفقة والنخوة ردع البغاة ، أن الإنسان الحصيف وهو يسير شئون الحكم ، لا يأتمن رجالاً علي إتيان الأفعال الحميدة بمحض اختيارهم ، فعليه أن يسد أمامهم طريق ارتكاب الأفعال الشائنة ... وفي الحق ، ليس في وسعك أن تجد في دولة بأسرها عشرة رجال يوثق بفعلهم الخير تلقائياً ... ولكن أن أملتك الحيلولة بين الناس وارتكاب الشر ، فستضمن إستقرار النظام في الدولة ، فإذا كانت غالبية الناس تنزع إلي الشر ، فأجدر بالحاكم أن يقيم سياسته وفقاً لنزعات الأغلبية ، لا أن يؤسسها علي فطرة الخير الكامنة في أفراد قلائل ، فلا فائدة ترجي من أخذ الفضيلة بعين الاعتبار عند تقرير السياسة ، ولكن يجب أن يكون القانون الفيصل والحكم** ... لأنه عن طريق القانون وبفضل التفنن في التشريع ، لا سيما التشريع الجنائي والعقوبات القاسية يصبح في مكنة الحاكم الحصيف إرغام الناس علي انتهاج السبيل الذي يتفق مع المصلحة العامة

... كما يجعله لا يخشي خطورة الأشرار ، ولا يقيم وزناً لأي اعتبار ، أو يحسب حساباً لرغبات الأفراد لأنها متقلبة ولا يمكن الركون إليها ... ويستطيع بكفاءة واقتدار إقرار النظام واستتاب الأمن في المجتمع فلا يجرؤ أحد علي تحديه أو الانحراف عن جادة الصواب حتي لو رغب ذلك) (١)

- ومن الملاحظ أن الفرق بين مذهب الفطرة الشريرة الذي اعتنقه الفيلسوف (**شيون تسي**) وبين مذهب الفطرة المختلطة الذي اعتقده الفيلسوف (**هان فيى تسى**) وكل زعماء المدرسة الشرائعية في تفسير الظاهرة الإجرامية داخل المجتمع الصيني القديم وتأثرت به المجتمعات الحضارية الأخري التي أقامت علاقات مع الصين في العصور القديمة وعلي الأخص خلال العصر الإمبراطوري لإمبراطورية تشين وإمبراطورية هان الغربية والشرقية والذي امتد من عام ٢٢١ ق . م حتي عام ٢٢٠ ميلادية يتلخص في الآتي :

١- أن (**شيون تسي**) اعتقد بأن جميع البشر فطرتهم طبعت علي الشر في حين يعتقد (**هان فيي تسي**) ومعه زعماء المدرسة الشرائعية بأن البشر فطرتهم مختلطة وغير متحدة ومنقسمون إلي ثلاث طوائف أو ثلاث فئات **الأولي** : طبعت علي الخير **والثانية** : طبعت علي الشر

---

١ - د/ فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص ٢٨٨

والثالثة : توسطت طبيعتها بين الخير والشر .

٢- يري (**شيون تسي**) بأنه يمكن تحويل البشر المفطورين علي الشر إلي أخيار بترويض طبيعتهم الشريرة وتحجيم انفعالاتهم حتي لا يتحرك سلوكهم نحو الشر وارتكاب الجرائم - في حين يري (**هان في تسي**) والشرائعيون عموماً بأنه لا يمكن تحويل طائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر إلي أخيار وإنما يمكن فقط تقييد نشاطهم الإجرامي وإنقاذ المجتمع من مخاطر شرورهم أما بإعدامهم أو بحجزهم إلي الأبد في مكان بعيد ومعزول عن المجتمع .

٣ - يري (**شيون تسي**) بأن ترويض طبيعة الأشرار وتحجيم انفعالاتهم يتم من خلال عوامل التربية والتعليم والتهذيب والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلي جانب سلطة حاكمة تتمتع بالعدل والحكمة والفضيلة - في حين يري (**هان في تسي**) والشرائعيون عموماً بأن تقييد نشاط طائفة الأشرار وإنقاذ المجتمع من مخاطرهم يتم من خلال السلطة القوية صاحبة السيادة والنفوذ والحكم المطلق وما تفرضه من قوانين جنائية صارمة وعقوبات شديدة القسوة أما بالإعدام أو بالسجن المؤبد .

- انتقل (هان في تسي) إلي مملكة تشين ليعيش فيها بعد

أن أعجبت سلطتها الحاكمة بآراءه وفكره الفلسفي عن الحكومة الصالحة واصبحت من خلال ذلك من أقوي الممالك الصينية في العهد الأخير للممالك المتحاربة ، إلا أنه بعد أن رحب به الملك وأغدق عليه بالمال والجاه ، قام خصومه الذين حقدوا عليه من زيادة تقربه لبلاط السلطة الحاكمة بإثارة الدسائس حوله مما جعل ملك تشين يغضب عليه وازداد هذا الغضب حتي أمر بإعدامه في عام ٢٣٣ قبل الميلاد بعد أن بلغ من العمر سبعة وستين عاماً [1]

[1] - ول ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الرابع - مرجع سابق - ص ٩٧ وما بعدها .
- د / فؤاد محمد شبل - حكمة الصين - مرجع سابق - ص ٢٩٠ .

فيــلو Philo

- فيلسـوف يـهودي الأصـل ، ولـد عـام ٢٥ قبـل الميـلاد فـي مدينة الإسـكندرية وكـان مـن أسـرة نبيلـة ، ومـات فـي سـنة ٥٠ ميلاديـة بعـد أن بلـغ مـن العمـر ٧٥ عامـا - وهـو مـن أشـهر فلاسـفة الإسـكندرية فـي الوقـت الـذي كـانت فيـه الإسكندرية أهم منـارة علميـة فـي العـالم القديـم وملتقـي جميـع المذاهـب والمـدارس الفلسـفية التـي ظـهرت فـي الشـرق والغـرب - وقـد عـبر عـن ذلـك الفيلسـوف (أنـج Inge) بـالقول (**تقـابلت كـل العلـوم وكـل الفكـر الأدبـي والفلسـفي لشـرق وغـرب العـالم القديـم فـي شـوارع الإسـكندرية وفـي قاعـات الـدرس بـها وفـي معابدهـا ، كمـا أصطبغـت فيـها اليهودية أولا ثـم المسـيحية ثانيـا بالصبغـة اليونانيـة**) .

- كان هـذا الفيسـلوف مـن أشـد المؤمنيـن بـالوحي حسـب مـا جاءت بـه التـوراه ، كمـا كـان يؤمـن بتعـاليم وأسـس الفلسـفة اليونانيـة - وكـان يـري أن الفلسـفة اليونانيـة وحـي عميـق غـامض لبيـان الحقـائق فـي حيـن أن الكتـاب الإلـهي المقـدس بـه وحـي أكـثر عمقـا وواضـح الرؤيـة تمامـا ،وجلـي وساطع البيان لما فـي هـذا الكـون مـن حـق وعـدل وحكمـة - وقـرر أيضـا مـن خـلال مـا غـرس فـي عقيدتـه وفكـره الفلسـفي المتسـع بـأن الفلسـفة اليونانيـة مـأخوذه مـن تعـاليم العبريـة ، وأن **أفلاطـون وأرسـطو** أخـذ تعاليمـها

الأساسية من موسى عيه السلام ومن التوراة ، ومن هنا نشأ ما لهما من حكمة [١]

- يقول معظم العلماء والمؤرخين بأن الفيلسوف فيلو هو المسئول الأول الذي حمل راية الفكر الفلسفي في خلط التعاليم الفلسفية بالوحي وبالإلهام الشرقي منذ بداية القرن الأول الميلادي ، كما أنه أول من أسس مذهب الأفلاطونية الحديثة ، ومدينة الإسكندرية قد ساعدته في ذلك حيث كانت بها ثروة علمية وثقافية وفلسفية هائلة مكنته من بلورة منهجه الفلسفي وجعلته ينتشر كفكر عالمي جديد في معظم مجتمعات العصور القديمة والوسطي ، ويصبح الآن في نظر الفكر الحديث من أهم إنجازات الحضارة العالمية القديمة في مجال الفكر الأدبي والفلسفي-[٢] وجميع أصحاب الفكر الغربي الحديث يعتبرون فيلو من الثمرات الناضجة التي أنجبتها الفلسفة اليونانية في عهد اتجاهاتها الحديثة - في حين ليست كذلك لأن الحقيقة أن فيلو لم يخرج عن كونه فيلسوف مصري خلط التعاليم الفلسفية بالوحي الإلهي وذلك لأنه ولد في مصر في عام ٢٥ قبل الميلاد وتعلم ونما عقله وفكره وأصبح فيلسوف فوق أرضها ومات ودفن أيضا في مقابرها في

---

١ - د / زكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين - قصة الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ٣٦٤ .

٢ - د / سعد محمد الشناوي - مدي الحاجة للأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي - مرجع سابق - ص ٣٧٥

عام ٥٠ ميلادية بعد أن أصبح من أشهر فلاسفة عصر الاختيار للمذاهب الفلسفية المختلفة ، و كانت الإسكندرية التي عاش فيها طوال حياته تمثل المكان الأول والمركز الرئيسي للفلسفة هذا العصر ، وفي ذلك يقول الدكتور / محمد بيصار (أن فيلو قد ولد في الإسكندرية وأعتنق الديانة اليهودية ، وتعلم وأصبح صاحب فكر فلسفي متميز في الإسكندرية ، وأنه يحمل الطابع الانتخابي ما دام قد قضي الطرف الأول من حياته في القرن الأول قبل الميلاد بما له من طابع مميز ثم قضي أيضا الطرف الثاني فيها في القرن الأول الميلادي بعد أن دب فيه حينذاك من طابع مميز كذلك .)[١]

وإذا كانت هذه الحقيقة ينكرها أصحاب الفكر الغربي فعليهم أن يثبتوا العكس ويعطونا دليلا واحدا بأن فيلو قد عاش وتعلم في مكان آخر غير الإسكندرية أو أنه قد غادر مصر طوال حياته ونشر فكره الفلسفي في مكان آخر .

- كان {فيلو} يعلم بأن الله العلي القدير الذي لا يحده حد - يجب أن يكون فوق هذا العالم المحدد بالكامل - وأنه ليس هناك مطلقا لفظ ولا فكر يستطيع أن يساير أبديته ، ولا يمكن لأي فكر أن يدرك كنهه لأنه جل شأنه فوق أن تدركه العقول ، ونفس الإنسان لم تصل إلي الله الواحد

١- د / محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٥٣

الأحد عن طريق العقل والتفكير ، ولكن عن طريق رياضة النفس والكشف عن حقائق الطبيعة ولعظمة الله وعلو مكانته لا يدير هذا العالم مباشرة لأن هذا العالم مادي محدود ، وإنما له بمقدرته كائنات روحانية هم سفراءه يعملون في هذا العالم لما يريده ، ويخلقون ويحكمون – وعلاقة الله جل شأن بالملائكة وعلاقة الملائكة بالعالم علاقة انبثاق كأشعة الضوء تنبثق من مركز ساطع ، ويقل ضوء الأشعة إذا حدث إبتعاد عن المركز .. وفي ضوء ذلك يقول **الدكتور / زكي نجيب محمود والدكتور / أحمد أمين** بأن هذا الكلام الذي قرره **{ فيلو }** يعطي مدي التصوف الذي كان عليه وبعده عن منحني التفكير الذي كان عند اليونان [١]

– علي هذا الأساس اعتقد **{ فيلو }** من خلال ديانته اليهودية وفكره الفلسفي المتميز بان جميع البشر طبيعتهم ليست واحدة وإنما منهم الأخيار ، ومنهم الأشرار ، ومنهم من توسطت طبيعتهم بين الخير والشر - وأن الناس أصحاب الطبيعة الخيرة يدركون تماما قدرة الله سبحانه وتعال ، ولا يعصوا أوامره ونواهيه ، ويتبعون حسن السبيل وقلوبهم صافية ، ومغروس فيهم للأبد المحبة والإخلاص ، والملائكة ترعاهم دائما ، ولا يمكن أن

١- د / زكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين – قصة الفلسفة اليونانية – مرجع سابق – ص ٢٦٥

تتغير طبيعتهم ويتحولوا إلي أشرار - أما أصحاب الطبيعة الشريرة فهم حلفاء الشياطين ، وفي غفلة مظلمة تعميهم عن قدرة الله ، ولا طريق لهم سوي الاندفاع نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الفساد والشر ، ولا يدركون مطلقا معاني الخير والصلاح ، ولا تهدأ نفوسهم أبدا من الغل والحقد وشهوة الإضرار بالناس ، ولا يمكن أن يتحولوا إلي أخيار لأنهم في الآخرة من أهل النار - أما بالنسبة للذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، فهم قد يتحولوا بالعلم والإيمان وبقدرة الله سبحانه وتعالي إلي أخيار ويسلكوا طريق الورع والتقوى ، وقد يتحولوا إلي أشرار إذا حجب عنهم الإيمان الحق والعلم الوفير ويصبحوا حلفاء الشياطين في الدنيا ومن أهل النار في الآخرة .

- وبالتالي فإذا كان الفيلسوف { فيلو } يعتبر من حيث الشهرة المؤسس الثاني للمذهب الفطرة المختلطة إلا أن تفسيره لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الذين طبعت فطرتهم علي الشر قد اصطبغ بالطابع الديني للديانة اليهودية عن تفسير مدرسة الشرائعين التي مثلها في الصين **شانغ يانغ وهان فيي تسي** حيث جعل الأشرار كفار وحلفاء للشياطين ، وقدرتهم معدومة تماما في أن يسلكوا طريق الإيمان والتقوي أو أن ينصلح حالهم في الحياة ويدركوا عظمة الله في هذا العالم المحدود الذي

خلقه ، وأن اندفاعهم نحو ارتكاب الجرائم وكل عوامل الشر مصدره الأساسي نابع من طبيعتهم الشريرة الخالية تماما من الإيمان وكل عوامل الحق والهداية والصلاح . وأيضا إذا كانت المدرسة الشرائعية قد استندت في تفسيرها علي نظام الحكم القوي والقوانين الصارمة ولا سيما القانون الجنائي والعقوبات القاسية لحماية المجتمع من طائفة الأشرار بالطبع بكل شدة وصرامة قد تصل إلي حد التخلص منهم بفصل رؤوسهم أو بدفنهم أحياء أو بتمزيق أجسادهم وذلك مثل ما حدث في عهد الإمبراطور **{ تشن شه هوانغ دي }** { ٢٥٩ - ٢١٠ ق . م } الذي اعتنق فكر هذه المدرسة وطبقة في نظام حكمه بعد أن جلس علي عرش **مملكة تشين** ، وبعد أن وحد الصين وأسس أول إمبراطورية عظمي هي إمبراطورية تشين وأصبح أول إمبراطور لها في عام ٢٢١ قبل الميلاد [١] - إلا أن الفيلسوف **{ فيلو }** قد استند كلية إلي أمور الديانة اليهودية في حماية المجتمع من هؤلاء الأشرار ، أي لم يستند إلي نظم وقوانين من صنع البشر ، وإنما من الشريعة الموسوية التي أنزلها الله سبحانه علي سيدنا موسي عليه السلام [٢] وذلك مثل ما جاء بالوصايا العشر من نهي وتحريم كامل عن ارتكاب الجرائم سواء كانت

---

١ - تاريخ الصين - الجزء الأول - مرجع سابق - ص ٣٠ وما بعدها .

٢ - د / محمد بيصار - الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص ١٥٤ .

جرائم اعتداء علي الأشخاص أو اعتداء علي الأموال ومنها لا تقتل { الوصية السادسة } ، ولا تزن { الوصية السابعة } ، ولا تسرق { الوصية الثامنة } ، ولا تشهد شهادة زور { الوصية التاسعة } ، وبالتالي استندت الشريعة الموسوية علي نصوص واضحة غير قابلة للتأويل تحرم الجرائم وتجعلها من الأفعال التي تغضب الله كما تجعل العقوبة عبارة عن كفارة للإثم الذي ارتكبه الجاني ، ومن أهم العقوبات التي كانت تطبق علي طائفة الأشرار بالطبع هي الإعدام أو النفي بأن يرسل الجاني إلي مكان بعيد عن بلدته أو الجلد أو الحبس ، كما كانت تطبق عليهم عقوبة القصاص في غير جرائم القتل وهي { العين بالعين ، والسن بالسن ، والزراع بالزراع ... إلخ } [١]

- ولذلك يعتبر الفيلسوف { فيلو } أول من أدخل الطابع الديني الموحد بالله الخالق الأعظم لهذا الكون وكل ما عليه في تفسير الظاهرة الإجرامية لطائفة الأشرار بالطبع في مذهب الفطرة المختلطة الذي اعتنقه في تحديد طبيعة البشر [٢] .

---

١ - د / محمود عز العرب السقا – أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩١ ، دار النهضة العربية بالقاهرة – ص ١٦٩ وما بعدها .

٢- د / نور الدين اشراقية – معركة الحياة – مرجع سابق – ص ٢٣٧

جالينوس البرغامي

- فيلسوف روماني عاش في القرن الثاني الميلادي وكان يعمل { كما سبق أن أشرنا } طبيبا خاص للإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس { ١٢١م - ١٨٠ م } الذي حكم الإمبراطورية الرومانية خلال الفترة من { ١٦١ م - ١٨٠ } وكان من ضمن الذين اعتنقوا مذهب الرواقية وأصبح هو وسينكا { ٤ ق . م - ٦٥م } وابيكتاتوس { ٦٠ م - ١٢٠ م } من أشهر فلاسفة الرواقية في العصر الروماني [١]

- قرر جالينوس بأن جميع البشر طبيعتهم الإنسانية ليست واحدة وإنما مختلطة فبعض الناس فطرتهم طبعت علي الخير وعددهم قليل جدا ولا يمكن أن يتحولوا إلي الشر ، وبعض الناس فطرتهم طبعت علي الشر وعددهم أكثر من الأخيار بالطبع ولا يمكن إصلاحهم وتحويلهم إلي أخيار ، وبعض ثالث توسطت فطرتهم بين الخير والشر ويمكن أن يتحولوا إلي مجرمين أشرار بالعوامل الخارجية الفاسدة أو إلي أخيار أسوياء بعوامل التربية والتهذيب والتعليم والتلقين المستمر بالقيم والمبادئ الدينية والأخلاقية إلي

---

١ - د / عثمان أمين - الفلسفة الرواقية - طبعة ١٩٤٥ - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ص ١٨١ وما بعدها .

جـــانب القواعـــد العادلـــة لضبـــط ســـلوكهم [١]

- وعنـد تفسـيره لظـاهرة الإجـرام بالنسـبة لطائفـة الأشـــرار بـالطبع قـرر بـأن هـؤلاء طبيعتـهم سـوداء مثـل سـواد الليـل الدامـس الـذي يختفـي فيـه أي بصيـص للقمـــر ، ولا يوجـد فيـهم أي شـعاع نـور نحـو الخـير ، وأن السـواد الحـالك لطبيعتـهم لا يمكـن أن يتغـير حتـي لـو سـلطت عليـه أشـعة الشـمس وقـت الظـهيرة ، وأنـهم سـيظلوا علـي ذلـك طـوال حياتـهم منـذ مولدهـم وحتـي يحتضـن الـتراب أجسـادهم وتصعد أرواحـهم النجسـة مـن عـالم الحيـاة إلـي عـالم الغيـب وهـؤلاء الأشـرار يندفعـون بسـلوكهم إلـي ارتكـاب الجرائـم وعوامل الشر حتـي لـو عاشـوا فـي نعيـم دائـم وتوفـرت لـهم كل سـبل المتعـة والحيـاة الناعمـة السـعيدة وأزيلـت مـن علـي كاهلـهم كـل المشـاكل التـي تعكـر صفـو معيشـتهم ، وذلـك لأنـهم لا يـروا مطلقـا نـور الخـير أمامـهم ، نتيجـة تفـاعل طبيعتـهم الشـريرة داخـل نفوسـهم بصفـة دائمـة ومسـتمرة وتجعلهم فـي صـراع دائـم نحـو ارتكـاب المزيـد مـن الجرائـم وأعمال الشـر [٢]

- وعلي هـذا الأسـاس يـري **جـالينوس** بـأن الدوافـع المحركـة لسـلوك طائفـة الأشـرار بـالطبع نحـو ارتكـاب الجرائـم مصدرها الأساسـي نـابع مـن طبيعتـهم الشـريرة التـي فطـروا

---

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

2 - R . Le Senne . Traite de morale generale – op . cit – p 171 ets .

عليها منذ مولدهم وخروجهم إلي الحياة - وأن طبيعتهم الشريرة صلدة تماما ولا يمكن ترويضها أو كبح جماحها بأي عوامل خارجية وأن هؤلاء الأشرار غير قادرين تماما علي التكيف مع أي بيئة طبيعية أو اجتماعية صالحة وليس لديهم مطلقا أي استعداد للالتزام بالنظم والقوانين السائدة في المجتمع ، ولا يردعهم أي عقاب لكي ينضبط سلوكهم وينصلح حالهم ويتجهوا نحو طريق الهداية والخير (١)

- أشار أيضا **جالينوس** بأن الجرائم التي يرتكبها طائفة الأشرار بالطبع إما أن تكون متصفة بالعنف والقسوة و الوحشية والغدر مثل جرائم الاغتصاب للإناث أو الذكور ، والسرقة بالإكراه ، والقتل بالخنق أو بالذبح أو بتمزيق الجسد وذلك في حالة ما إذا كان الأشرار أقوياء البنية وصحتهم جيدة - وإما أن تكون متصفة بالخسة والخيانة مثل جرائم السرقة العادية والحريق العمد والقتل بالسم في حالة ما إذا كان الأشرار ضعفاء البنية وصحتهم ليست جيدة بالكامل (٢)

- وحيث كان النظام الطبقي سائدا في كل مجتمعات العالم القديم وكانت الإمبراطورية الرومانية تطبقه بشدة وصرامة ، فقد أشار **جالينوس** بأن أغلبية طائفة الأشرار بالطبع من طبقة العبيد ، وأن عدم إعطائهم أي حقوق علي الإطلاق

---

1 - Thomas Hobbes – Leuiathan – Op . Cit – P 127 ets
2 - Arser Melzet – The Natural Goodness Of Man – Op . Cit – P . 92 ets

واعتبارهم مثل الأشياء أو الحيوانات التي تباع وتشري ، ومعاملة الأحرار لهم بكل قسوة مع تسخيرهم في الأعمال التي تفوق طاقاتهم وهم مقيدين بالسلاسل الحديدية ، يعتبر من ضمن الوسائل التي تحجم نشاطهم الإجرامي ، ومن العوامل التي تساعد علي السيطرة عليهم وحماية المجتمع من إجرامهم وشرورهم ، وتوفر لأصحاب الفطرة الخيرة الآمان والاستقرار ، وتساعد الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر علي الابتعاد عنهم وعن كل أفعالهم الشريرة والاتجاه طواعية واختيارا صوب طريق الخير [1] وهذا الرأي كان يخالف تماما ما كان يعتقده الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس باعتباره من أشهر فلاسفة المذهب الرواقي في العصر الروماني حيث كان دائما يقرر بأن { الإنسانية جسدا واحدا وطبيعة كل البشر واحد ولا فرق بين إنسان وآخر لأننا جميعا أخوة - فلا يسعني أن أغضب أخوتي أو اقطع صلتي بهم لأننا قبلنا بحكم الطبيعة أو أن شئت فقل بحكم العناية الإلهية علي أن يعين بعضنا بعضا كأخوة من أسرة بشرية واحدة - ففي وسعك أن تضم بين جوانحك أفضل صديق أو أسوء عدو فارفض دائما أن تكون روحا صغيرة تحمل جسدا كبيرة بل العكس حتي

---

١ - د / محمد كامل ياقوت - الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية - طبعة ١٩٧٠ م - القاهرة - عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - ص ٦٧٦ وما بعدها .

تكون إنسانا لأخوتك في الإنسانية ، لأنه لا يخطر ببالك أن هناك شيئا يمكن أن ينفصل عن المجتمع البشري المتحد وينتسب إليك وحدك ... } ... وحيث أن جالينوس كان يعمل طبيبا خاصا لهذا الإمبراطور ، فكان دائما هذا الإمبراطور يحاوره في الرأي عندما يراه لكي يعدل عن فكره ، ويجعله يعتقد بأن طبيعة العبيد ليست مختلفة عن طبيعة الأحرار ، وأن الظروف الاجتماعية وقسوة الحياة هي السبب الرئيسي الذي جعل بعض الناس عبيد والبعض الأخر أحرار وليس دون ذلك [1] .

- ورغم أن كثيرا من الفلاسفة والمفكرين الذين ظهروا قبل القرن الثاني الميلادي قد عبروا عن رأي جالينوس في العلاقة بين الطبيعة الإنسانية وطبقتي الأحرار والعبيد

- إلا أن جالينوس هو الذي نال حظ وافر من الشهرة في هذا الرأي ، ولذا انتشر رأيه كاتجاه فلسفي يحمل أسمه في العصور القديمة والوسطي ، كما انتشر في العصور الحديثة وأثر علي فكر بعض الفلاسفة مثل الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو { ١٦٨٩ - ١٧٥٥ م } عندما ميز بين البشر في مؤلفه { روح القوانين } واتخذ من اللون والعبودية معيارا للتفرقة بين الأجناس وادعي بأن العبيد السود ليس لهم نفوس خيرة وإنما طبيعتهم قد فطرت علي الشر ولديهم ميل دائم نحو ارتكاب الجرائم ، وقال في ذلك

---

1 - Henry thomas – The Great Philosophers – Op . Cit – P 161 K 162

عبارتــه المشــهورة { **لا نســتطيع أن نفــهم أن الله الـــذي هــو موجود وحكيــم قــد ركــب نفســا خــيرة فــي جســم عبــد أســمر تمامـــا }** [1] وأيضـــا الفيلســـوف فردريـــك ولـــهلم نيتشـــه الـــذي ولــد فــي بروســيا عــام ١٨٤٤ م وتوفــي فــي عـــام ١٩٠٠ م حيث مـــيز بيــن النــاس وجعلــهم ثــلاث طوائــف ولكــل طائفــة منــهم أخلاقياتــها الخاصـــة . وهـــي الســـادة والعبيـــد ، والأبطـــال وذلك مـــن خـــلال نظريتـــه الأخلاقيـــة التـــي صاغـــها فـــي مؤلفـــه { مـــا وراء الخـــير والشـــر } الـــذي أصـــدره فـــي عـــام ١٨٨٦ م – حيــث قــرر فيــه بــأن { **جميــع الفضـــائل التـــي يتصـــف بـــها الإنســـان الخـــير ذو النفـــس الكريمـــة ترتبـــط بالاســـتقلال والكـــرم والاعتمـــاد علـــي النفـــس والابتعـــاد عـــن الفســـاد والانحـــراف ، وأن هـــذه الصفـــات متوافـــرة فقـــط فـــي الســـادة الأحـــرار – أمـــا النقـــائض المقابلـــة لـــهذه الصفـــات وهـــي الخضـــوع والوضاعـــة والتـــهيب والانحـــراف وارتكـــاب الجرائـــم ومـــا إلـــي ذلـــك والتـــي تمثـــل الشـــر توجـــد فقـــط فـــي طبقـــة العبيـــد لأن طبيعتـــهم فطـــرت علـــي الشـــر – أمـــا أخـــلاق الأبطال في المعارك فـــهي أرقـــي مـــن أخـــلاق العبيـــد وأقـــل مـــن أخـــلاق الأحـــرار النبـــلاء وتقـــع فيمـــا بيـــن الخـــير والشـــر)** – وبالتـــالي مـــيز نيتشـــه فـــي منهجـــه الفلســـفي بيـــن البشـــر ، وجعـــل الســـادة الاحـــرار أخيـــارا بـــالطبع ، والعبيـــد أشـــرارا

---

١ – د / حسن شحاته سعفان – مونتسكيو ، سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب – مرجع سابق – ص ١٤٤ ، ص ١٤٥ .

بالطبع ، وأبطال المعارك طبيعتهم تقع بين الخير والشر [١]

- معظم علماء أوربا قد قرروا أمام شهرة **جالينوس** في التصنيف الثلاثي لطبيعة البشر وفي تفسيره لظاهرة الإجرام لطائفة الأشرار بالطبع وطائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر ، بأنه المؤسس الأول لمذهب الفطرة المختلطة ولم يسبقه في هذا الفكر الفلسفي أي عالم أو فيلسوف من قبل [٢] والحقيقة ليست كذلك لأن مدرسة الشرائعين التي ظهرت في الصين القديمة ومثلها فلاسفة كثيرون علي رأسهم { **شانغ يانغ ، وهان فيي تسي** } قد أسست هذا المذهب وتفسيره لظاهرة الإجرام من قبل **جالينوس** بما يزيد عن ٤٥٠ سنة ، وأنه من المحتمل أن يكون جالينوس قد تأثر بفكر هذه المدرسة وما ردده ليس سوي تعبير واضح عن منهجها الفلسفي في الفطرة الإنسانية لأن فكر المذاهب الفلسفية الصينية قد انتشر في أوربا أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وعلي الأخص بعد إنشاء طريق الحرير الذي ربط بين الصين وغرب أسيا وأوربا في عهد إمبراطورية هان الغربية ثم الشرقية { ٢٠٢ ق . م - ٢٢٠ م }[٣] كما أن الفيلسوف اليهودي

---

١ - براتراند رسل - حكمة الغرب - مرجع سابق - ص ٢٠٢ .

٢ - د . محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٢

٣ - جياد بوه تسان ، شاوشيون تشنغ ، هوهوا - موجز تاريخ الصين - مرجع سابق - ص ١٥ وما بعدها .

- تاريخ الصين - الجزء الاول - مرجع سابق - ص ٤٢ وما بعدها .

{فيلو} الذي يعتبر المؤسس الثاني لهذا المذهب قد انتشر فكره الفلسفي في روما منذ منتصف القرن الأولي الميلادي ، ويحتمل أيضا أن يكون جالينوس قد تأثر بفكر هذا الفيلسوف وصاغ علي أساسه وبطابع مادي رأيه في الفطرة المختلطة ، وذلك لأن آراء وتفسيرات جالينوس عن الفطرة المختلطة وعن ظاهرة الإجرام لن تخرج عن تفسيرات وآراء المدرسة الشرائعية ولا عن المنهج الفلسفي الذي أتبعه فيلو من حيث طابعة المادي دون طابعه الروحي الذي تميز به واعتبر من خلاله من أشهر فلاسفة التوحيد في العصور القديمة

- جانب من العلماء والفلاسفة وخاصة أنصار المذهبين الفطرة الخيرة والفطرة الشريرة قد وجهوا نقدا شديدا لمذهب الفطرة المختلطة حيث قرروا بأن هذا المذهب لم يقطع بحكم واحد بالنسبة لطبيعة جميع البشر ، وإنما قسمهم من حيث الفطرة إلي ثلاث أقسام في حين أن الطبيعة الإنسانية واحد لكل البشر وأن تقسيم الناس إلي طوائف من حيث الفطرة يؤدي إلي إهدار وحدة الجنس البشري - كما أن تفسير هذا المذهب لظاهرة الإجرام غير متحد في الفكر والمفاهيم لوجود اختلاف في دوافع السلوك الإجرامي بين طائفة الأشرار بالطبع وبين طائفة الذين توسطت فطرتهم بين الخير والشر وأنه علي هذا الأساس لا يصلح فكر هذا المذهب في تحديد الطبيعة الإنسانية ولا

في تفسير العوامل التي تدفع سلوك الإنسان نحو ارتكاب الجرائم بشكل واضح ودقيق [١]

- ولكن رغم هذا النقد الشديد - إلا أن بعض علماء الفقه الإسلامي في العصور الوسطي قد أيدوا هذا المذهب وقالوا بأنه يتفق إلي حد ما مع وجهة النظر الإسلامية استنادا علي ما ورد في صحيح البخاري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال { المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانه ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر وريحها مر } [٢] - وأيضا بما رواه ابوموسى الأشعرى عندما قال - سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول {أن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنوا أدم علي قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك والسهل والحزن والطيب والخبيث) - كما استندوا إلي بعض الآيات القرآنية مثل قوله تعالي للأخيار بالطبع { أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوي لهم مغفرة وأجر عظيم} [٣]

١ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٣ وما بعدها .

٢ - محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي - تهذيب الأخلاق - مرجع سابق - ص ١٥ ، ص ٢٢ .

٣ - سورة الحجرات - الآية ٣

ومثل قوله تعالي للأشرار بالطبع { أن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله علي قلوبهم ، وعلي سمعهم ، وعلي أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم } (١) ومعني هذه الآية أن بعض الناس قد تبلدت حواسهم ، وختم الله علي قلوبهم فقست حتي صارت كالحجارة أو أشد قسوة ، فلا يحديهم وغط ولا ينفع فيهم نصح ولا يسترشدون بتوجيه ، ولا يستفيدون من الدروس والعبر ، مثل قوله تعالي في أولئك الذين تأرجحت فطرتهم بين الخير والشر فيميلون إلي أحدهما تارة وإلي الآخر تارة أخري { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله . ذلك هو الفضل الكبير } (٢) ومعني هذا أن الظالم من رجحت سيئاته ، والسابق من رجحت حسناته ، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته (٣)

- أن ما نهدف إليه من خلال عرض ما وجه لهذا المذهب من نقد وتأييد هو اثبات للحقائق التي سجلت في صفحات التاريخ الإنساني بأن مذهب الفطرة المختلطة وتفسيره لظاهرة الإجرام بالنسبة لطائفة الأشرار بالطبع قد تأسس

---

١ - سورة البقرة - الآية ٧٢٦

٢ - سورة فاطر - الآية ٣٣

٣ - د / محمد بيصار - العقيدة والأخلاق - مرجع سابق - ص ٢٠٦

بفكـر واعـي مسـتنير مـن فلاسـفة وعلمـاء العصـور القديمـة وأن الذيـن ذكرنـاهم ليس إلا مثـال لـهؤلاء - لأنـه يوجـد أيضا علماء وفلاسـفة آخـرون قـد سـاهموا فـي بلـورة مفـاهيم هـذا المذهـب وتفسيره . لظـاهرة الإجـرام فـي معظـم المجتمعات الحضاريـة التـي ظـهرت فـي شـرق وغـرب العـالم القديـم .

الخـــاتمـة

في ضوء ما تقدم يتضح أن الحقائق المسجلة في تاريخ الإنسانية لا يمكن طمسها أو تبديد أصولها بعد أن امتد جوهرها بخطوات ثابتـــة ومتزنـــة عبر العصور المختلفة ، وأكدت في سياق الوجود الكلي لهذا العالم الحي بأن الفكر الإنساني لابد أن يكون في حلقات متصلة عبر الزمـــان ، وأن معظم الأفكار الجديدة ليست سوي أفكار قديمة لبست ثوب من التطـــور وسلطت عليها الأضواء المبهرة لمتطلبات هذا العصـــر - ولـــذا فـــإن نظريات علماء الغرب التي فسرت السلوك الإجرامـــي فـــي العصـــور الحديثة وعلي الأخص خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر مثـــل نظريات المدرسة الوضعية الإيطالية ومدرسة الدفاع الاجتماعي لم تكـــن سوي مرحلة تطورية من مراحل تطور علم الإجرام وليست كما يقـــول فقهاء وعلماء الغرب بأنها البداية الأولية لتأسيس هذا العلم ، لكي ينسبوا أصوله إلي فكرهم الحديث ويقطعوا كل الأواصر الممتدة نحـــو جـــذور التي غرست ونبتت وتفرعت في الماضي البعيد .

وإذا كان مضمون ما عرضناه عن الفكر الإنساني القديم قد أكد بالأدلـــة والبراهين بأن علم الإجرام له جذور عميقة في العصور القديمة - إلا أنه يشير أيضا إلي حقيقة أخري هامة لا تقبل الشك ولا التـــأويل وهـــي أن جذور هذا العلم قد تأسست وتأصلت أولا بفكر وآراء فلاســـفة وعلمـــاء الشرق القديم ثم امتدت بعد ذلك إلي الغرب الذي مثلـــه فـــي العصـــور القديمة الإغريق والرومان ، والدليل علي ذلك يتلخـــص فـــي الآتـــي :

* فجر التأمل الفلسفي سطع أولا في الشرق منذ أربعة آلاف سنة قبـــل

الميلاد ، في حين بزغ أول شعاع له في الغرب منذ ألف سنة قبل الميلاد - وهذه الحقيقة لا يمكن إنكارها أو بث ما يضللها لأن معظم الحضارات الشرقية الكبرى مثل مصر الفرعونية وبلاد ما بين النهرين والهند والصين قد ظهرت وتألقت في مجالات عديدة وعلي الأخص في مجال الفلسفة والفكر النافع قبل الحضارة الغربية التي مثلها الإغريق الرومان بما يزد عن ألفي سنة .

* الفلسفة الشرقية قامت منذ بدايتها في العصور الأولي لتاريخ الإنسانية علي أسس مليئة بالقيم الروحية ومبادئ الأخلاق فاهتمت بالتالي بمفهوم الفطرة الإنسانية وبتحديد نسبتها إلي الخير أو الشر واستطاعت من خلال ذلك أن تصل إلي أطر موضوعية بتفسر الدوافع التي تحرك السلوك الإجرامي - في حين أن الفلسفة الغربية التي ظهرت بعد الفلسفة الشرقية بمئات السين وتمثلت أولاً في الفلسفة اليونانية قد قامت في مرحلتها الأولي علي أسس مادية بحتة وبعيدة تماماً عن المفاهيم الروحية والخلقية ، وذلك بداية من فيلسوف **طاليس {Talies}** الذي ولد في مدينة ملطية عام ٦٢٤ ق . م وقرر في منهجه الفلسفي بأن الجوهر الأوحد الذي خلقت منه السماء والأرض هو الماء ، حتي ظهور الفيلسوف **امباذوكليس {Ambazokles}** الذي ولد في جزيرة صقلية علم ٤٤٥ ق . م وقرر في منهجه الفلسفي بأن المادة الحية التي خلقت هذا الكون تتكون من أربعة جواهر هي النار والهواء والماء والتراب .

وحيث أن الفلسفة المادية لا تهتم بأي فكر غير مادي ، ومفهوم الفطرة يدخل في إطار الفكر الروحي والخلقي ، فإنه لا يمكن أن تكون الفلسفة

اليونانية في مرحلتها الأولي قد اهتمت بموضوع الفطرة الإنسانية واستندت عليها في تفسير ظاهرة الإجرام وذلك باعتبار أن جميع التفسيرات التي ظهرت في العصور القديمة عن الدوافع المؤثرة في السلوك الإجرامي كانت مرتبطة تماماً بمفهوم الفطرة الإنسانية وبتحديد نسبتها إلي الخير والشر ([1]).

* المرحلة الثانية : للفلسفة اليونانية التي بدأت بفلاسفة فيما وراء الطبيعة بداية من **اكسانوفان** { xanovan } الذي ولد في علم ٥٨٠ ق . م ثم الفلاسفة الذين جاءوا من بعده **وأشهرهم سقراط وأفلاطون وأرسطو وديوجين** { مؤسس المدرسة الكلبية } **وزينون** { مؤسس المدرسة الرواقية } - وهي تعتبر مرحلة النضج الكامل للفلسفة اليونانية حيث كانت غنية بالفلسفة الروحية والخلقية وبالفكر العميق عن حقيقة الوجود في الحياة الإنسانية - قد استندت في معظم أساسيات فكرها الفلسفي عن الفطرة الإنسانية ومدي ارتباطها بتفسير ظاهرة الإجرام علي ما تأسس من قبل في الفلسفة الشرقية القديمة بداية من فلسفة مصر الفرعونية ، وقد أكد ذلك الفيلسوف الأمريكي المعاصر **هنري توماس** في الكتاب الذي ألفه عن إعلام الفلاسفة ، حيث قرر فيه صراحة بأن { **اليونانيون قد اخذوا فلسفتهم عن الطبيعة الإنسانية وفي تحديد نسبتها إلي الخير والشر من فلسفة الشرق القديم مبتدئا بالنيل - ونحن بدورنا لابد أن نعترف بذلك حتي لا نخالف الحقيقة التي تقرر بدون أدني شك بأن تيار الفكر الإنساني قد تدفق من الشرق إلي الغرب بدون توقف** } ، كما قرر

---

١ - د / نور الدين إشراقية - معركة الحياة - مرجع سابق - ص ٢٢٩ .

أيضاً ليقطع كل شك في ذلك { ينسب كثير من المهتمين بدراسة الفلسفة إلي اليونان فضل السبق ، وليس هذا إلا وقوعاً في خطأ فاحش لأن حب الحكمة والفكر الإنساني النافع كالشمس تماماً ، يبزغ نوره في الشرق ثم ما لبث أن انتشر تجاه الغرب – ولذلك ليس في وسعنا أن نفهم فلسفة اليونان فهماً تاماً إلا إذا عرفنا أنها مدينة للفلسفة في مصر والهند والصين وفارس ، لأن جميع الخيوط والآراء الفلسفية قد انتقلت من الشرق إلي بلاد اليونان ، وأن فلاسفة اليونان قد نقحوها دون أن يغيروا في أصولها ومعناها ... ولذا فإن كان الفلاسفة والحكماء الشرقيون قد لقنوا العالم جمال القداسة فإن فلاسفة اليونان قد أكدوا قداسة الجمال }[1]

* الحضارة الرومانية التي تعتبر الحضارة الثانية في الغرب القديم – قد استندت في فكرها الفلسفي عن مفهوم الفطرة الإنسانية وعن تفسير الدوافع المحركة للسلوك الإجرامي علي ما جاء في الفلسفة اليونانية من نظريات مستمدة أصولها من الفلسفة الشرقية وذلك مثل الفلسفة الرواقية التي اعتنقها أشهر فلاسفة الرومان وهو سنكا {SeniekaC } الذي ولد في عام ٥٤ ق . م ومات في عام ٥٨ ميلادية ، وابيكتاتوس { Apiektatos C } الذي ولد في عام ٦٠ ميلادية ومات في عام ١٢٠ ميلادية – والإمبراطور الروماني **ماركوس أوريليوس** { Markos Orieluos } الذي ولد في عام ١٢١ ميلادية ومات وهو علي كرس العرش في عام ١٨٠ ميلادية ، والفلسفة الرواقية وإن كانت من

1- Henry Thomas - The Great Philosophers - op . cit - p . 4, 67 . 68 .

أشهر المدارس الفلسفية التي ظهرت في بلاد اليونان خلال القرن الرابع قبل الميلاد واهتمت بموضوع الفطرة الإنسانية وبتحديد نسبتها إلي الخير أو الشر – ألا أن كثيراً من المسلمات الفكرية تشير بأن معظم أصول هذه الفلسفة قد تم اقتباسها من فكر المدرسة الموهية التي أسسها الفيلسوف { موه تسي } وظهرت في الصين القديمة خلال القرن السادس قبل الميلاد ([1])

إن اهتمامنا بإظهار هذه الحقيقة ليس من قبيل التعصب لفكر الفلسفة الشرقية ، ولا من قبيل إنكار الدور العظيم الذي قامت به الفلسفة اليونانية والرومانية في تحديد أصل الفطرة الإنسانية ومدي ارتباطها بتفسير الدوافع المؤثرة في السلوك الإجرامي – وإنما من أجل أن نحدد نقطة البداية التي تدفق منها تيار الفكر الإنساني في مساراته الصحيحة عبر الزمان – ونكشف الآراء المضللة التي تنكر ذلك .

ولذلك ... فإن كانت هذه الدراسة تهدف في المقام الأول إلي كشف الجذور الأصولية التي أسست علم الإجرام في العصور القديمة – إلا أنها تهدف أيضا إلي ضرورة إحياء كل أصول الفلسفة الشرقية القديمة حتي لا يضعها الفكر الغربي الحديث بين أنيابه وينسبها إليه بعد أن يلبسها ثوب عصري براق لإخفاء جوهرها .

---

١ – د / فؤاد محمد شبل – حكمة الصين – مرجع سابق – ص ٦٧ وما بعدها .

– وو صن – وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – مرجع سابق – ص ٨ .

كشـــــاف

(فهرسي - أبجدي)

(أ)

* أبيقور : ص ٣١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠٨ .
* ابيكتاتوس : ص ١٥٢، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ٢١٧ .
* احشويروش : ص ٢٨ .
* أحمد أمين : ص ٢١٣ .
* أحمد شوقي : ص ٩٩ .
* أخناتون : ص ٧٠ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٢ .
* أراكي : ص ٢٨ .
* ارتحششتا الثالث : ص ٩١ .
* ارستبس : ص ٣٤ ، ٣٥ .
* الأيونيميا : ص ٣٧ .
* أرسطو : ص ٧٠ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ١٤٦ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠ .
* أسطاغيرا : ص ١٩٨ .
* أفلاطون : ص ٢٥ ، ٢٧ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢١٠ .
* أفلوطين ص ٣١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥
* إمبراطورية هان : ص ٨٨ ، ٨٩ .
* امنحتب الرابع : ص ١٠٨.
* افريكوفري : ص ٩ .

* أنطونيـــــوس : ص ١٥٢ .

* أوجســت كونــت : ص ٩ .

* الاوبنيشـــاد : ص ٣٢ .

* ألــبرت شــيفتزر : ص ١٢٢ .

* التـــوراه : ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .

* الثيمــــوس : ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

* الشــريعة الموســوية : ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

* الطاويـــة : ص ٣٢ ، ٢٠٠ .

* القديــس بولــس : ص ١٣٩ .

* المدرســة الشــرائعية : ص ١٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ .

* المدرســة الوضعيـــة : ص ٩ .

* الوصايـــا العشـــر : ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(ب)

* بـــاروخ ســـينوزا : ص ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٤٦ .

* بتـــاح حتـــب : ص ٧٠ ، ١٠٨ ، ١٣٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

* بروســـيا : ص ٢٢٢ .

* بنــــدي : ص ٥٣ ، ١٨٨ .

* بـــــوذا : ص ٩٥ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٦٠ .

(ت)

* ترياق : ص ٢٨ .
* تشاو : ص ٦٤ .
* تشن.شه.هوانغ.وي : ص ١٣ ، ٦٨ ، ٢١٥ .
* تشو : ص ٦٤ .
* تشوفو : ص ١٢٤ .
* تشي : ص ٦٤ .
* تشين : ص ٨٨ ، ٢١٥ .
* تفسير الحكمة : ص ١٣٥ .
* تنقية وتطهير الأذهان : ص ١٥٠ .
* توتم : ص ٤١ .
* تولستوي : ص ٥٨ ، ٦٨ .
* تهذيب القوة : ص ٤١ ، ١٨٩ .

(ث)

* ثورستن سيللين : ص ٩٣ .
* ثورة المرازبة : ص ٩١ .

(جـ)

* جابريل تارد : ٩٣ .
* جالينوس البرغامي : ص ٩٤ ، ١٩٩ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

* جـان جـاك روسـو : ص ٢٧ .
* جوتامـا : ص ١١٥ .
* جـورج سـارتون : ص ١٢١ .
* جوسـبن : ص ٢٨ .
* جـون ديـوي : ص ٣٢ .
* جـون كـارل فلوجـل : ص ٥٢ .
* جـون لـوك : ص ٢٦ ، ٢٩ .
* جيـه : ص ٢٨ .

(د)

* دوركـهايم : ص ٥٠ ، ٩٣ .
* ديانـه يهوديـة : ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥
* ديتوليـو : ص ٥٣ ، ١٠٤ ، ١٨٨ .
* ديوجـين : ص ١٥٢ .

(ر)

* رافـائيلي جـارو فـالوا : ص ٩ ، ١٨٣ .
* راوقيـه : ص ٣٢ ، ١٠٠ .

(ز)

* زرادشـت : ص ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .
* زكـي نجيـب محمـود : ص ٢١٣ .

• زانـــــلا فــــــتا : ص ١٣٥ .

• زينـــــــــــــون : ص ١٥٢ .

(س)

• ســـــــــــــاديه : ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

• ســـــــــــاداثنا : ص ١١٥ .

• ســـــــــــقراط : ص ٧٤ ، ٩٦ ، ١٠٠ ، ١١٤ ، ١٢١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٩٦ .

• ســـــكيا مــــوني : ص ١١٦ .

• ســــــــــــنكا : ص ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٥٢ ، ٢١٧ .

• ســــــــــــونج : ص ١٢٤ .

• ســـــــــــيكوباتية : ص ٥١ .

• ســـيزار لمـــــبروزو : ص ٩ ، ٥٣ ، ١٨٢ ، ١٨٣ .

(ش)

• شـــــــــــاكمين : ص ١١٥ .

• شـــــــــــانتونج : ص ١٢٤ .

• شانج يــانج أو شــانغ يــانغ : ص ٢٠١ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ .

• شانســــــــــــي : ص ٦٤ .

• شـــريعة موســـــوية : ص ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

• شـــــو بنـــــــهاور : ص ٥٤ ، ٥٨ .

• شـــيون تســـــي : ص٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ .

* شيشـــــيرون : ص ١٥٠ ، ١٥٩ .
* شـــــيلي : ص ٥٨ ، ٦٨ .

(ط)

* طـــار كويـــن الثـــاني : ص ٩٢ .
* طريق الحريـــر : ص ٢٢٣ .

(ف)

* فرنســـيس بيكـــون : ص ١٢٢ .
* فلسفة الأفلاطونيـــة الحديثـة : ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .
* فلفســـة اللـــذة والألم : ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ .
* فورنوريـــوس : ص ٧١ .
* فيلـــو : ص ١٩٩، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ .
* فيلـــون : ص ٧٠ .
* فينومينولوجيـــا العقـــل : ص ٢٦ .

(ق)

* قـــانون أمـــازيس : ص ٨٧ .
* قـــانون مـــانو : ص ١٨١ .
* قـــائل القـــوط : ص ٤٩ .
* قـــائل الونـــدال : ص ٤٩ .

* قبـــائل الهـــون : ص ٤٩ .

* قبيلـــة شـــيو نغنـــو : ص ٤٩ .

* قورينـــــــــــا : ص ٣٤ .

(ك)

* كتـــاب تـــاريخ العلـــم : ص ١٢١ .

* كتـــاب جمهوريـــة أفلاطـــون : ص ٢٥ ، ٢٧ .

* كتـــاب روح القوانـــين : ص ٢٢١ .

* كتاب مـــا وراء الخـــير والشـــر : ص ٢٢٢ .

* كـــــــــوخ : ص ٥١ .

* كونفوشـــــــيوس : ص ٩٥ ، ٩٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢٠٠ .

* كينـــــــــبرج : ص ٥٣ ، ١٨٨ .

(ل)

* لا موينـــــــــوس : ص ٧٠ .

* لاوتســـــــــي : ص ١٣٢ .

* لـــــــــــو : ص ١٢٤ .

* لـــــي ســـــو : ص ٦٨ .

* ليقوبوليـــس : ص ٧٠ .

(م)

• مـــاركوس أوريليـــــوس : ص ٧٤ ، ٩٥ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٢١٧ ، ٢٢٠

• ماكيـــــــــافيلي : ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

• مايـــــــــــا : ص ١١٥ .

• مـــــــــــتزجر : ص ١٠٤ .

• محمـــــد بيصـــــار : ص ٢١٣ .

• مدينة الإســـكندرية القديمـــة : ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤

• موســـــــــــليني : ص ٢٨ .

• موســي عليـــه الســـلام : ص ٢١١ ، ٢١٥ .

• منتســــــــــكيو : ص ٨٦ ، ٢٢١ .

• ميخالويثميـــــــــا : ص ٢٧ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ .

(ن)

• نتيشـــــــــــــه : ص ٣٢ ، ٥٤ ، ٢٢٢ .

• نـــــــــيرون : ص ٢٨ ، ١٥٧ .

• نيكيـــــــــاس : ص ٩٢ .

(هـ)

• هـــــــــــان : ص ٢٠٠ .

• هـــان فيـــي تســـي : ص ٦٨ ، ٦٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ .

* هتلـــــــــــر : ص ٢٨ .
* هـــنري تومـــاس : ص ١١٤ ، ١٩٦ .
* هويـــــــــــز : ص ٢٥ ، ٣٢ ، ٥٤ ، ٦٧ .
* هيجـــــــــــل : ص ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٢ .

(و)

* والـــت وتمـــان : ص ١٢٢ .
* وليـــام ادريـــان : ٩٣ .

قائمة المراجع

أولاً : المراجع العربية .

- د . أبوبكر محمد زكري : تيسير فلسفة الأخلاق - الطبعة الأولى - ١٩٦٧ - ١٩٦٨ - دار التأليف بالقاهرة .
- د .أحمد الخشاب : دراسات في النظم الاجتماعية - طبعة ١٩٥٨ - مكتبة القاهرة الحديثة .
- د.أحمد جاد المولي : مذكرات عن مفهوم الخير - طبعة ١٩٥٦ - القاهرة .
- د. أحمد خليفة : النظرية العامة للتجريم - دراسة في فلسفة القانون الجنائي القاهرة - ١٩٥٩ .
- د .أحمد سويلم العموي : أصول العلاقات السياسية الدولية - الطبعة الثالثة - ١٩٥٩ القاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية .
- د . أحمد فتحي سرور : السياسة الجنائية - مجلة القانون والاقتصاد - العدد الأول - مارس ١٩٦٩ - كلية الحقوق - جامعة القاهرة .
- د. أحمد كمال ، د .كرم جبيب : علم الاجتماع الحضري - طبعة ١٩٧٣ - القاهرة - دار الجيل للطباعة .
- د.اسحق عبيد: تاريخ العصور الوسطي المبكرة - طبعة ١٩٨٠ /١٩٨١ القاهرة - مكتبة الحرية - جامعة عين شمس .
- د.اسماعيل مظهر: فلسفة اللذة والألم - القاهرة ١٩٣٧ - مكتبة النهضة المصرية .
- د.القشيري : الرسالة القشيرية - طبعة ١٩٥٩ القاهرة كلية آداب عين شمس .
- د.بطرس بطرس غالي ، د/ محمود خيري عيسي : المدخل لعلم السياسة - القاهرة - ١٩٥٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .
- د.حسن شحاته سعفان : علم الجريمة - طبعة ١٩٦٦ - مكتبة نهضة مصر بالقاهرة.
- .... : مونتسكيو - سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - (غير محدد سنة الطبع) .

- .... : كونفوشيوس - غير محدد سنة الطبع دار النهضة العربية - بالقاهرة .
- د.رمسيس بهنام : المجرم تكويناً وتقويماً - طبعة ١٩٧٩ كلية الحقوق - جامعة الاسكندرية .
- د.رؤوف عبيد : مبادئ علم الإجرام - طبعة ١٩٧٢ دار الفكر العربي بالقاهرة .
- د.ذكي نجيب محمود ، د / أحمد أمين : قصة الفلسفة اليونانية - الطبعة الثانية ١٩٨١ - مكتبة النهضة المصرية .
- د.سعد محمد الشناوي : مدي الأخذ بنظرية المصالح المرسلة في الفقه الإسلامي - مقارنات والفكر الغربي - الجزء الأول والثاني الطبعة الثانية - ١٩٨١ - القاهرة .
- د.سلوي توفيق بكير : مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب - القاهرة ١٩٨٣ .
- د .سمير عبدالمنعم أبو العنين: العلاقات الدولية في العصور القديمة - طبعة ١٩٨٩ - القاهرة - دار النهضة العربية .
- .... : أصول الاخلاق - طبعة ١٩٩٠ - القاهرة - دار النهضة العربية .
- .... : المضمون الأخلاقي لقواعد القانون - طبعة ١٩٨٩ - مكتبة مدبولي بالقاهرة .
- .... : الجرائم العدوانية علي حقوق الوحدة البشرية في العصور القديمة - طبعة ١٩٩١ - القاهرة - دار النهضة المصرية .
- .... : المبادئ العامة لتاريخ النظم والشرائع - طبعة ١٩٩٨ - القاهرة - دار النهضة المصرية .
- د.صوفي حسن أبو طالب: مبادئ تاريخ القانون - طبعة١٩٦٧ - دار النهضة العربية
- الشيخ.عبدالجواد رجب : مع الله (نظرات في الكون والحياة) تقديم الشيخ / محمد الغزالي - الطبعة الثانية - ١٩٧٤ - دار الاعتصام بالقاهرة
- د.عبدالرحمن بدوي : الأخلاق النظرية - الطبعة الأولي ١٩٧٥ - وكالة المطبوعات بالكويت .

- د.عبدالسلام الترمانيني : محاضرات في تاريخ القانون – طبعة ١٩٦٤ كلية الحقوق – جامعة حلب – سوريا .
- د.عبدالفتاح الصيفي : علم الإجرام – طبعة ١٩٧٣ – كلية الحقوق – جامعة الإسكندرية .
- الشيخ/عبدالله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام – الجزء الأول – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت – لبنان الطبعة الثالثة – ١٩٨١ .
- د.عبدالمنعم البدراوي : تاريخ القانون الروماني – الطبعة الأولي ١٩٤٨ /١٩٤٩ دار الثقافة بالقاهرة .
- د.عثمان آمين : الفلسفة الرواقية – طبعة ١٩٤٥ – مكتبة النهضة المصرية – القاهرة .
- د.علاء الدين عبدالمحسن : رؤية مصر لجيرانها في الشرق الأدني – من واقع النصوص المصرية القديمة – بحث منشور بمجلة المؤرخ العربي – العدد الثامن – المجلد الأول – مارس ٢٠٠٠ م .
- د.علي راشد : فلسفة وتاريخ القانون الجنائي – طبعة ١٩٧٤ القاهرة – كلية الحقوق جامعة عين شمس
- د.عمر ممدوح مصطفي : القانون الروماني – الطبعة الخامسة – ١٩٦٥/١٩٦٦ دار المعارف بالقاهرة .
- د.فؤاد محمد شبل : حكمة الصين – دراسة تحليلية لمعالم الفكر الصيني منذ أقدم العصور – الجزء الثالث ١٩٦٨ – تم طبعه بمكتبة الدراسات الفلسفية – ونشره بدار المعارف بالقاهرة
- د.مأمون سلامة : أصول علم الإجرام والعقاب – طبعة ١٩٧٩ كلية الحقوق – جامعة القاهرة .
- د.محمد أبو زهرة : مقارنات الأديان – الديانات القديمة – طبعة ١٩٦٥م دار الفكر العربي – القاهرة .
- د.محمد أركون : وحدة الإنسان في الفكر الإسلامي – ١٩٨٤

الجزائر – كلية آداب جامعة القاهرة .

- د.محمد بيصار : العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع الطبعة الثانية ١٩٧٢ – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة
- د.محمد بيصار : الفلسفة اليونانية –الطبعة الأولي – غير محدد سنة الطبع جامعة السيد محمد بن علي السنوسي – ليبيا
- د.محمد عبدالمنعم القيعي: عقيدة المسلمين – الطبعة الثانية ١٩٨٦ القاهرة وزارة الأوقاف – المجلس الأعلي للشئون الإسلامية
- د. محمد كامل ياقوت : الشخصية الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية طبعة ١٩٧٠ م –القاهرة – عالم الكتب للطباعة والنشر والتزيع .
- د.محمود عز العرب السقا : أبحاث في تاريخ الشرائع القديمة – طبعة ١٩٩١ دار النهضة العربية بالقاهرة .
- د.محمود عز العرب السقا : تاريخ النظم القانونية والاجتماعية – الطبعة الاولي – ١٩٧٠ – مكتبة القاهرة الحديثة .
- د.محمود عز العرب السقا : فلسفة العقوبة العظمي (عقوبة الإعدام) طبعة نوفمبر ١٩٩٧ – كلية الحقوق – جامعة القاهرة .
- د. مصطفي محمود : الماركسية والإسلام – طبعة ١٩٨٣ دار المعارف بالقاهرة .
- الشيخ/محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي : تهذيب الأخلاق – طبعة ١٣٣٢ هجرية – وأعيد طبعه ومراجعته بمعرفة د / عبدالرحمن حسن محمود – عام ١٩٨٦م – مكتبة عالم الفكر بالقاهرة .
- د. نجاتي سند : علم الإجرام – الطبعة الثالثة ١٩٨٩ / ١٩٩٠ كلية الحقوق – جامعة الزقازيق .
- د. نور الدين إشراقية : معركة الحياة (الثورة العالمية – النضال الثوري من أجل الوحدة العالمية) – الطبعة الأولي ١٩٧٢ – مطابع دار الكتب – بيروت – لبنان .

• د. يسري أنور، الدكتورة / آمال عثمان : أصول علمي الإجرام والعقاب – طبعة ١٩٧٠ – القاهرة .

ثانيا : المراجع المترجمة .

• ارسطو طاليس : علم الأخلاق إلي نيقوماخوس – الجزء الثاني – ترجمة من اليونانية إلي الفرنسية بارتملي سانتهلير – أستاذ الفلسفة اليونانية في الكولج دي فراس ثم وزير خارجية فرنسا سابقا – ونقله إلي العربية أحمد لطفي السيد – طبعة ١٩٢٤ – القاهرة – دار الكتب المصرية .

• أفلاطون : جمهورية أفلاطون – الكتاب الرابع – ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا – مراجعة عن الأصل اليوناني – د / محمد سليم سالم – طبعة ١٩٦٨ م القاهرة – دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

• أما نويل كانت : تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق – مراجعة وتقدم وتعليق د / عبدالغفار مكاوي – مراجعة د / عبدالرحمن بدوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة .

• أندريه كريسون : المشكلة الأخلاقية والفلاسفة – ترجمة الدكتور / عبدالحليم محمود والدكتور / أبوبكر محمد زكري – طبعة ١٩٧٩ – مطابع دار الشعب بالقاهرة

• برتراند رسل: حكمة الغرب – لندن ١٩٦١م – ترجمة الدكتور / فؤاد زكريا – الطبعة الأولي ١٩٨٣م عالم المعرفة بالكويت .

• تاريخ الصين : الجزء الأول – سلسلة كتب سور الصين العظيم مجلة بناء الصين – إعداد مجموعه من أكبر المؤرخين في الصين – بكين ١٩٨١ – مترجم باللغة العربية – الطبعة الأولي .

- **جواهر لال نهرو :** لمحات من تاريخ العالم – نقله إلي العربية لجنة من الأساتذة الجامعين – الطبعة الأولي ١٩٥٧ – منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر بيروت – لبنان .
- **جورج سارتون :** تاريخ العلم – الجزء الثاني – نيويورك ١٩٥٢ ترجمة لفيف من العلماء بإشراف لجنة مؤلفة من الدكاترة (إبراهيم بيومي مدكور ، ومحمد كامل حسين ، وقسطنطين رزيق – ومحمد مصطفي زيادة) – الطبعة الثانية – أكتوبر ١٩٧٨ – دار المعارف بالقاهرة .
- **جيان بوه تسان ، شاوشيون ، تشنغ ، هوهوا :** موجز تاريخ الصين – دار النشر باللغات الأجنبية – الطبعة الأولي ١٩٨٥ – مترجم باللغة العربية – بكين – الصين .
- **راجا هويتشنج :** (**فيلسوف هندي**) السلام العظيم – نيويورك ١٩٥٩ – ترجمة وديع سعيد – القاهرة ١٩٧٣ – دار الفكر العربي .
- **رالف . ب . وين :** قاموس جون ديوي للتربية – نيويورك ١٩٥٩ ترجمة د / محمد علي العريان – تصدير عبدالعزيز سلامة – الطبعة الأولي ١٩٦٤ – مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة .
- **رو صن :** وحدة الإنسان في فلسفة الصين القديمة – ترجمة د/محمد جلال عباس – طبعة ١٩٨٩ –كلية آداب جامعة القاهرة .
- **شارل فرنر :** الفلسفة اليونانية – ترجمة تسير شيخ الأرض – الطبعة الأولي ١٩٦٨ – دار الأنوار – بيروت – لبنان .
- **لويس بازان :** وحدة الإنسان في الفكر التركي المغولي – ترجمة محمد جلال عيسى – ١٩٨٩ – كلية آداب جامعة القاهرة .

- مـــــــــــاكيفر : المجتمع – ترجمة أحمد عيسي – الطبعـــة الأولي ١٩٧٣ – القاهرة – مكتبة نهضة مصر .
- ول ديورانـــــــــت : قصة الحضارة – الجزء الرابع – الشرق الأقصى – ترجمـــة د/محمد بدران – اختارته وأنفقت علي ترجمته الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – غير محدد سنة الطبع
- ول ديورانـــــــــت : قصة الحضارة – الجزء الثـــالث مـــن المجلـــد الثـــالث – قيصر والمسيح – ترجمة محمد بـــــدران – اختارتـــه وانفقت علي ترجمته الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية عام ١٩٦١ – القاهرة .
- سانت . ل . ب . موس : ميلاد العصور الوسطي – نيويـــورك ١٩٣٥ – ترجمـــة عبدالعزيز جاويد – مراجعة الدكتور / السيد البـــاز العريني – الطبعة الأولي ١٩٦٧ عالم الكتب بالقاهرة

٩٥٠

ثالثا : المراجع الأجنبية .

- **Allan Bloom** : The closing of the American Mind – How Higher Education has failed Democracy and inpouerished the souls of todays studrmis – Simon & Schuster New York – 1988 .
- **Alpert Herch Man:** the passions and the interests – New Gersy – 1977 .
- **Andre Aymard** **Et jeannine Auboyer** : Histoire General Des civilisations – Tom - L'orient et la grece Antique – paris –1962
- **Arser Melzer** : The natural Goodness of man – New American Library – New york – 1990 .
- **A.Rygoloff** : Viede confucius – paris – 1946 .

- **A.T. olmstead:** History of Persian empire achaemenid Period – Chicago – the university of Chicago press – 1972 .
- **B. Ditullie :** Principl de Crimenalogia – Roma – 1954 .
- **Boel Rekrar :** Readings in Existential Phenomenology " ed" lourence and D'o'connor New York – 1967
- **Boulger .D.C :** Hislory of china – London – 1952 .
- **Conrad Zucker :** Psychologie de la superstition– paris – 1952
- **Elie Metchnikoff :** Etude sur la nature humaine – essai de philosophe optimiste – paris – Maloine 1903 .
- **Elizabethe Bott:** Family and social - Net work London – 1957 .
- **Emile Durkheim:** Sociologie et philosophie – paris – 1948 .
- **....................:** L'education Morale – paris – 1925 .
- **E.Mounier :** Traite de caractere – paris – 1946 .
- **Ernest Jones :** The origin and structure of the super – Egs – London – 1925 .
- **Fran cis Fukuyama** : The End of History and the lost MAN – New York – 1992 .
- **Friedrich Nietzsche** : On the Genealogy of morals and Ecce Homs Trans .W. Kaufmann vintage Book – New York – 1967 .
- **Gabriel Modinior :** La conscience Morale – paris 1963 .

- **Gaston stefani Et Georage levasseur :** Droit penal general et procpen – Dalloz – 1971 .
- **Georg .F.F. Hegel :** The phenomenology of Mind – New York 1967 .
- **G.R. Driver and John C . Miles:** The Body lanoir Lowers – Wol . 1. Oxford universty – 1962 .
- **Henri Berr :** La synthese en histoire - paris – 1911 .
- **Henry Thomas :** The great philosophers - New York -1962
- **Hevery cleckly:** The Mask of sanity London – 1941 .
- **Jank Elevitch :** Traite des vertus – paris – 1970 – U.N. University . tokoy
- **Jean Pinatel :** Lombroso et la criminalogie - paris - 1977
- **J.c. Flugel :** Man, Morals and society Apsyco Analylical study – A Mace company – London 1945
- **………………… :** Feeling and the Hormic theary – character personality London – 1939 .
- **J.H.Bresseted :** A History of Egypt - part 2 – London – 1948
- **J-Duchesse :** Guillemin Zoroastre, etude criligue avec une traduction eommenter de gotha – paris – 1950 .
- **J . Vandier :** La religion Egyptienne – paris – 1949
- **L.Delaporte :** Lea Hittite – Paris – 1936
- **Max Scheler :** Le sens de la sufferance – paris – 1963
- **………………… :** Man's place in Nature – New York – Manday – Perss – 1928 .

- **Masaharu Anesaki** : History of japanese Religion with special reference to the social and Morals life of the nation, Charles E. Tuttle company . Tokyo – japan – U. N . university – 1980 .
- **M . Granet** : Chinese Cililization – New York - 1930
- .... : La civilisation la Grece antique – paris – 1932 .
- **N . Hartmann** : Ethies – London – 1963
- **N . Pende** : Trattato di biolipologia Umana – Milono 1939 .
- **R . Gousset** : La Chine et son art – paris – 1951 .
- **R . Lesenne** : Traite de Morale generale – paris – 1947.
- **Olof. Kinbery** : La problemes fondomentoux de la criminologe . Trad . Fr. Paris – 1960 .
- **Shrirama indradeva** : Growth of legol system in indian society – London –1983 .
- .... : Social structure and valuse in later smrtis – New Delhey – india – 1972 .
- **Thomas Hobbes** Leuiathan – part 1 and 11 – Babbs – Merrll indianapolis – 1958 .
- **V.Jankelevitch:** La mouvaise consience – Paris – Al can 1939
- **Wilhelm .R** : Short History of Chinese Civilization New York . 1952 .

الفهـــــرس

المقدمة ٧

الباب الأول

مفهوم مذهب الفطرة الشريرة - وتفسيره لظاهرة الإجرام

(أثر العوامل الداخلية في السلوك الإجرامي) ١٧

تقـــديم : ١٩

الفصـــل الأول : أهم العوامل والأسس التي يستند عليها مذهـــب الفطرة الشريرة في تفسير الســـلوك الإجرامـــي ٢١

المبحـــث الأول : أهم العوامل الداخلية المؤثرة في السلوك الإجرامـــي طبقاً لمفهوم مذهب الفطرة الخيرة ٢٤

أولاً : الإحساس بالذات (الثيموس) ٢٤

ثانياً : الرغبة في المجد والسلطة (الميجالوثيميـــا) ... ٢٦

ثالثاً : الأنانية ٢٨

رابعا : الكذب ٣٠

خامسا : التحاسد والتبـــاغض ٣١

سادسا : الإفراط في تحصيل اللذات ٣٣

المبحـــث الثـــاني : أهم الأسس التي يستند عليـــها مذهـــب الفطـــرة الشريرة في تفسير ظاهرة الإجرام ٤٠

الفصـــل الثـــاني : أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة الشريرة والمفسرين لأثر العوامـــل الداخليـــة في السلوك الإجرامـــي ٥٥

* أبوور ٥٨

* شيون تســـي ٦٤

* أفلوطين ٧٠

الباب الثاني
مفهوم مذهب الفطرة الخيرة - وتفسيره لظاهرة الإجرام
(أثر العوامل الخارجية في السلوك الإجرامي) ٧٧

تقـــــديم : ٧٩

الفصـــل الأول : أهم العوامل والأسس التي يستند عليها مذهـب
الفطرة الخيرة في تفســير الســلوك الإجرامـي ٨١

المبحـــث الأول : أهم العوامل الخارجية المؤثرة في السلوك الإجرامـي
طبقاً لمفهوم مذهب الفطرة الخيرة ٨٤

* النوع الأول : العوامل الاجتماعيـة ٨٥

* النوع الثاني : العوامـــل الطبيعيـــة أو البيئـة
الجغرافيـة.. ٨٥

النوع الثالث : العوامل الاقتصادية ....

النوع الرابع : عوامل التربية والتعليم والتـــهذيب
والتلقـــــــــــين ٨٨

النوع الخامس : العوامل الخاصة بظروف وأوضاع
المجتمــــــع السياســــية ٩٠

المبحـــث الثـــاني : أهم الأسس التي يستند عليها مذهب الفطرة الخيوة
في تفســير ظـاهرة الإجــرام ٩٤

الفصـــل الثـــاني : أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة
الخيرة والمفسرين لأثـــر العوامـــل الخارجيـــة في
السلوك الإجرامـــي ١٠٥

* أخنـــاتون ١٠٨

* بـــــوذا ١١٥

* كونفوشيوس ١٢٤
* زرادشت ١٣٢
* سقراط ١٤٢
* ماركوس أوريليوس ١٥٢

الباب الثالث
مفهوم مذهب الفطرة المختلطة - وتفسيره لظاهرة الإجرام
(أثر العوامل الخارجية والداخلية والمركبة في تفسير
السلوك الإجرامي) ١٦٥

تقديم : ١٦٧
الفصل الأول : أهم أسس ومفاهيم مذهب الفطرة المختلطة في
تفسير السلوك الإجرامي ١٦٩
أولاً : بالنسبة لطائفة الأخيار بالطبع ١٧١
ثانياً : بالنسبة لطائفة الأشرار ١٧٥
ثالثاً : بالنسبة لطائفة الذين توسطت فطرتهم بين
الخير والشر ١٨٣
الفصل الثاني : أهم فلاسفة العالم القديم المؤسسين لمذهب الفطرة
المختلطة وتفسيره للعوامل المؤثرة في السلوك
الإجرامي ١٩٣
* بتاح حتب ١٩٥
* أفلاطون ١٩٦
* ارسطو ١٩٨

* هان في تسي ٢٠٠

* فيلـــو ٢١٠

* جالينوس البرغـلمي ٢١٧

الخاتمـــــــة : ....

كشـــــاف (فهرسي - أبجدي) ١٠

المراجـــــع : ٢٤٩

الفـــــهرس :.. ٢٦١